جامعة اليرموك
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

صورة اليهودي في الشِّعر العربي في القرن العشرين

The image of the Jew in the Arabic poetry in the ٢٠th century

إعداد:
خولة فايز رسلان دايخ
إشراف:
د. حامد كساب عياط

العام الجامعي:
٢٠١٠م/٢٠١١م

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

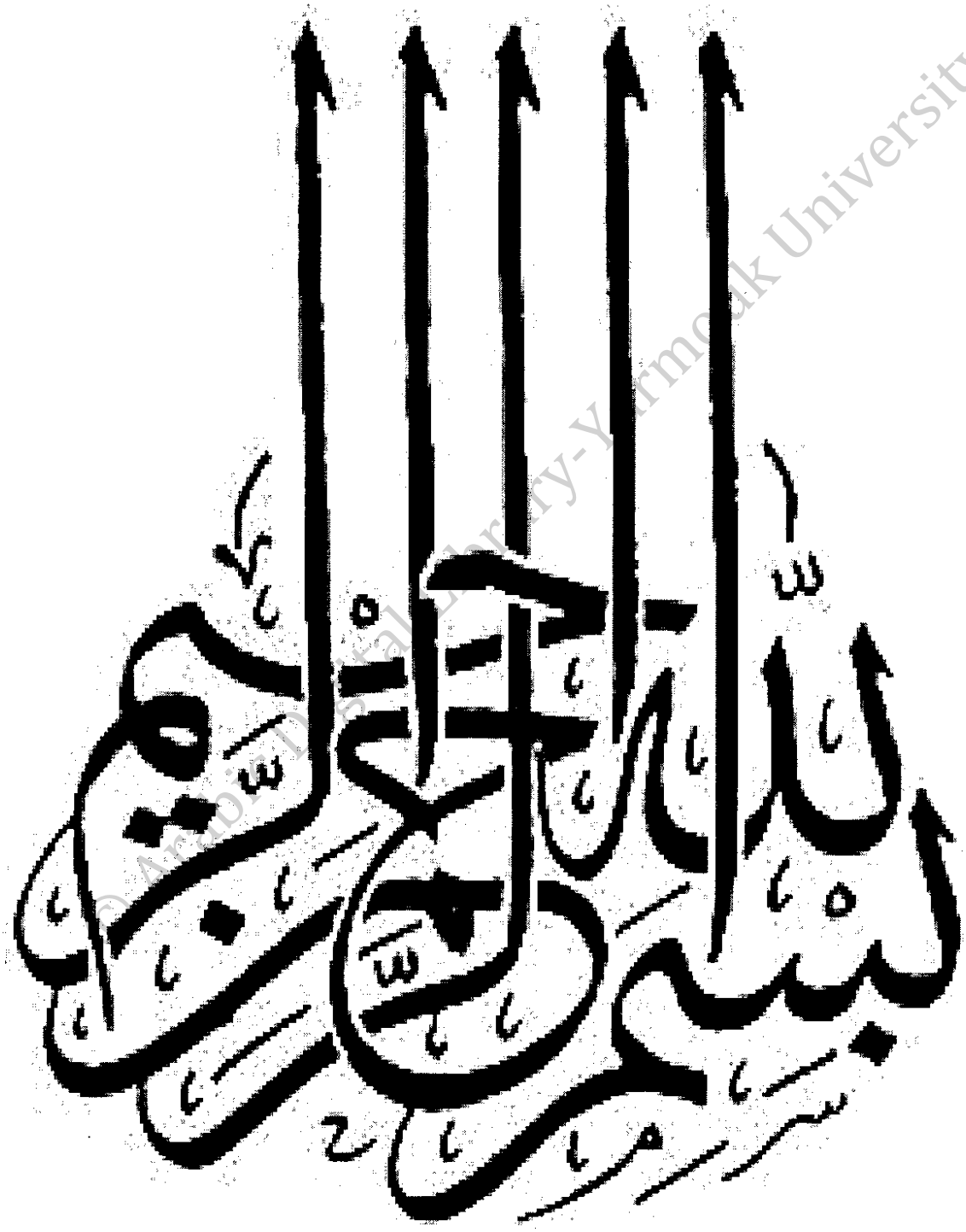

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صورة اليهودي في الشّعر العربي في القرن العشرين

The image of the Jew in the Arabic poetry in the 20th century

إعداد:

خولة فايز رسلان دايخ

إشراف:

د. حامد كساب عياط

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب والنقد في

قسم اللغة العربية في جامعة اليرموك

This thesis has been submitted in partial fulfillment of the Requirements for obtaining the Degree of Master in Literature and Criticism in the Department of Arabic Language and Literature at Yarmouk University.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أعضاء لجنة المناقشـــة		التوقيـــع
الدكتور حامد كساب عياط	(مشرفاً رئيساً)	.....
الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخالدي	(عضواً)	.....
الأستاذ الدكتور خليل محمد الشيخ	(عضواً)	.....
الدكتور نايف خالد العجلوني	(عضواً)	.....

الإهداء

إلى الأحبّة الذين وقفوا إلى جانبي

إلى والديّ الكريمين

وإلى إخوتي وأخواتي

أُهدي هذا الجهد المتواضع

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شكر وتقدير

إنَّ القلم ليعجز أن يُسطِّر كلمات الشكر والتقدير لكُلِّ من كان لهُ الفضلُ، ومد يد العون في سبيل إخراج هذه الرسالة على هذا النحو، وأخصُّ بالشكر الجزيل أستاذي الفاضل الدكتور حامد كساب عياط، الّذي أعطاني الكثير من وقته بصدرٍ رحبٍ، ونفسٍ راضيةٍ. كما أتقدَّمُ بالشكر الجزيل للأستاذين الفاضلين: الدكتور أحمد المناعي والدكتور عبد الحكيم الزبيدي، اللذين كانت توجيهاتهما السديدة خير عونٍ لي على إتمام هذا العمل، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وأُقدِّمُ خالص شكري وتقديري إلى والديَّ الكريمين أدام الله عليهما لباس الصحة والعافية، ولإخوتي وأخواتي وصديقاتي، وإلى من دفعني للارتقاء في معارج العلم ومدَّ لي يد العون. وأسألُ الله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، فهو القصدُ، ومنه التوفيقُ والعونُ والسَّدادُ.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
قرار لجنة المناقشة	أ
الإهداء	ب
شكر وتقدير	ج
فهرس الموضوعات	د
الملخَّص باللغة العربية	هـ – و
المقدمة	١– ٤
التمهيد:	
أولاً– أسماء اليهود	٥– ٩
ثانياً– صورة اليهودي في العهدين القديم والجديد	٩– ١٩
ثالثا– صورة اليهودي في القرآن الكريم	١٩– ٢٧
رابعاً– صورة اليهودي في الأدب العربي	٢٧– ٣٩
الفصل الأول– صورة اليهودي في الشعر العربي في القرن العشرين: دراسة موضوعية	٤١– ٤٢
المبحث الأول: صورة اليهودي العدواني الغادر.	٤٢– ٨٧
المبحث الثاني: صورة اليهودي الجبان.	٨٨– ٩٣
المبحث الثالث: صورة اليهودي عابد الذهب والعجل.	٩٤– ١٠٣
المبحث الرابع: صورة اليهودي عدو السَّلام.	١٠٤– ١١٨
المبحث الخامس: صورة اليهودي المُزيِّف للتاريخ.	١١٩– ١٢٥
المبحث السادس: صورة اليهودي السجان.	١٢٦– ١٣٨
المبحث السابع: صورة اليهودي الإيجابية.	١٣٩– ١٤٧
الفصل الثاني– صورة اليهودي في الشعر العربي في القرن العشرين: دراسة فنية	١٤٩
المبحث الأول: اللغة الشعرية.	١٥٠– ١٩٦
المبحث الثاني: الصورة الشعرية.	١٩٧– ٢٢٩
المبحث الثالث: الموسيقا الشعرية.	٢٣٠– ٢٦٨
الخاتمة	٢٦٩– ٢٧٠
ثَبْتُ المصادر والمراجع	٢٧١– ٢٨٧
الملخَّص باللغة الإنجليزية	٢٨٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الملخَّص باللغة العربية

صورة اليهودي في الشعر العربي في القرن العشرين

The image of the Jew in the Arabic poetry in the 20th century

إعداد:

خولة فايز رسلان دايخ

إشراف:

د. حامد كساب عياط

تناولت هذه الدراسة صورة اليهودي كما تجلَّت في الشعر العربي في القرن العشرين، وقد اشتملت على تمهيدٍ وفصلين، وقد تناولتُ في التمهيد وبشكلٍ موجزٍ أربع قضايا أساسية للدخول في صُلب الموضوع، وتحدثتُ في القضية الأُولى عن أسماء اليهود التي أطلقوها على أنفسهم، أو أطلقها غيرُهم عليهم، ثُمّ تحدثتُ عن صورتهم في العهدين: القديم (التَّوراة)، والجديد (الإنجيل)، وفي القضية الثالثة عرضتُ صورة اليهودي كما جاءت في القرآن الكريم، وتناولتُ في القضية الأخيرة صورة اليهودي في الأدب العربيّ، منذ العصر الجاهليّ حتى أواخر القرن التاسع عشر.

أمَّا الفصل الأول فقد تناولتُ فيه صورة اليهوديّ في الشعر العربي في القرن العشرين: دراسة موضوعية، وجاء مُقسَّماً إلى سبعة مباحث، وهي:

المبحث الأول: صورة اليهودي العدواني الغادر.

المبحث الثاني: صورةُ اليهودي الجبان.

المبحث الثالث: صورة اليهودي عابد الذهب والعجل.

المبحث الرابع: صورة اليهودي عدو السّلام.

المبحث الخامس: صورة اليهودي المزيِّف للتاريخ.

المبحث السادس: صورة اليهودي السجَّان.

المبحث السابع: صورة اليهودي الإيجابية.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وأمَّا الفصل الثاني فقد تناولتُ فيه صورة اليهودي في الشعر العربي في القرن العشرين: دراسة فنية، وعرضتُ فيه لقضايا ثلاث، هي:

- اللغة الشعريّة.
- الصورة الشعريّة.
- الموسيقا الشعريّة.

وأثبتُ في نهاية الدراسة خاتمةً تبيّنُ خلاصة البحث ونتاجاته.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المقدمة

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

كثُرت الدراسات الأدبية في الآونة الأخيرة حول موضوع صورة اليهود في الأدب العربي عامةً والشعر خاصةً: فقد تناول كثير من الأدباء هذا الموضوع بصور مختلفة، فالدكتور عادل الأسطة تناول الموضوع بصورة مستقلة في كتابه "اليهود في الأدب الفلسطيني بين ١٩١٣م- ١٩٨٧م"، أمَّا الدكتور المتوكل طه فقد تناوله في كتابه "صورة الآخر في الشعر الفلسطيني ١٩٩٤م- ٢٠٠٤م"، وتناول كتاب "هدي النجمة: دراسات وأبحاث في الأدب العربي الحديث" للدكتور فاروق مواسي، الذي يضمُّ دراسات أدبيةً ونقديةً للأدب العربي الحديث، صورة اليهودي في الشعر العربي في فلسطين المحتلة منذ ١٩٤٨م، في إحدى فصول ذلك الكتاب، وتناول آخرون لا مجال لحصرهم هذا الموضوع. وقد جاء الحديث عن اليهود في أكثر من شكل، فكان الحديث عنهم في كتاب مستقل، أو جزءاً من كتاب يحمل عنواناً مختلفاً.

ومع ذلك – وربما أكون مخطئة- فإنَّ موضوع صورة اليهودي في الشعر العربي الحديث لَمْ يأخذ حظَّه من الاهتمام والدراسة الكافيين، وبالتحديد صورة اليهودي في الشعر العربي الحديث في القرن العشرين موضوع الدراسة. وقد اعتمدتُ على المنهج التحليلي الفني للنصوص منهجاً في هذه الدراسة، كما استعنتُ بمناهج أخرى علَّها تسعفني في الكشف عن تجليات صورة اليهودي في الشعر العربي في هذه الفترة، خاصةً المنهج النفسي.

---

[1] سورة الأعراف، الآية١٦٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ولا ريب في أنَّ هذا العنوان قد يثير بعض التساؤلات، وأولها السبب الذي حملني على تلك الدراسة، فمن يقرأ التاريخ يرَ أن شعوباً كثيرةً نزلت بها مآسٍ ونكبات، ولكن أكبر مأساة حلَّت بالأمة العربية والإسلامية في التاريخ المعاصر هي مأساة فلسطين وشعبها. ففلسطين اليوم تعيش حدثاً سياسياً فُرِضَ عليها، لذا كان من الطبيعي أَنْ يترك هذا الحدث أثراً في حياة الشعب الفلسطيني من الناحية الأدبية والاجتماعية، وحياة غيره من الشعوب العربية، من هذا المنطلق عقدتُ العزم على أَنْ يكون موضوع رسالتي متعلِّق باليهود وطبائعهم وصفاتهم.

وثمة أمر آخر لا يمكن إغفاله في هذه الدراسة، وهو تحديد الفترة الزمنية لها وحصرها في القرن العشرين؛ فمردُّ ذلك راجع إلى أنَّ تلك الفترة شهدت أعظم الأحداث وأخطرها في التاريخ العربي المعاصر، وأهمها ابتلاء الوطن العربي بضياع فلسطين وتشريد شعبها ليعيش حياةً بائسةً. وقد حاولت أَنْ أسلِّط الضوء على صورة اليهودي كما تجلَّت لدى الشعراء العرب في القرن العشرين. لقد كانت هذه المأساة محفِّزاً لدى الشاعر العربي كي يواجه اليهود الصهاينة ويتصدَّى لهم من خلال الشعر، فيفضح ممارساتهم وأساليبهم اللاإنسانية بحقِّ هذا الشعب العربي الفلسطيني.

وقد اطمأنت نفسي لهذا الموضوع لأهميته، فرُحْتُ أبحث عن مصادره ومراجعه، وقد تبيَّن لي، للوهلة الأولى، أَنَّ الموضوع في متناول يدي، ولكنني حين مضيتُ في طريقي أجمع مصادره ومراجعه وقفت في وجهي بادئ الأمر بعض العقبات منها: صعوبة الحصول على آثار هؤلاء الشعراء الذين تناولوا صورة اليهودي في الشعر العربي، ولكني واصلت من غير كللٍ أو ملٍ البحث عن هذه المصادر والمراجع حتى تجمَّع لدي مادة وفيرة قد زادت عما كنت أتوقعه، فرُحْتُ أدرس هذه المصادر والمراجع، وعمدت إلى الاختيار والانتقاء حتى يكون البحث أكثر دقةً ووضوحاً. وقد أفدتُ إفادةً كبيرةً من دواوين كثير من الشعراء الذين تناولوا هذا الموضوع في شعرهم.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University

ولا بدَّ أنْ أُشير هنا إلى أبواب الدراسة، فقد كانت في إطارها العام تتكون من تمهيد وفصلين وخاتمة، أتبعت ذلك بثَبْتِ المصادر والمراجع.

درستُ في التمهيد أربع قضايا أساسية، وحاولتُ أن أضع فيه أساساً للدراسة وإطاراً لمحتواها، ليكون مدخلاً إلى المحتوى العام لها. فقد بدأ التمهيد بوقفة قصيرة مع القضية الأولى وهي "تسمية اليهود"، وأهم المسميات التي أطلقها اليهود على أنفسهم، أو أطلقها غيرهم عليهم. وفي القضية الثانية، درستُ صورة اليهودي في العهدين القديم والجديد: أي التَّوراة والإنجيل، ثُمَّ انتقلت في القضية الثالثة إلى الحديث عنهم في القرآن الكريم، وأنهيتُ التمهيد في القضية الرابعة، وفيها درستُ صورة اليهودي في الأدب العربي بصورة عامة، منذ العصر الجاهلي وحتى أواخر القرن التاسع عشر.

وجاء الفصل الأول دراسة موضوعية مقسَّماً إلى سبعة مباحث: تناولتُ في المبحث الأول صورة اليهودي العدواني الغادر. ودار الحديث في المبحث الثاني عن صورة اليهودي الجبان. أما في المبحث الثالث فقد جاء الحديث عن صورة اليهودي عابد الذهب والعجل، وتناولتُ في المبحث الرابع صورة اليهودي عدو السَّلام، وتناولتُ في المبحث الخامس صورة اليهودي المزيِّف للتاريخ، أما المبحث السادس فتحدثتُ فيه عن صورة اليهودي السجَّان، وأخيراً جاء الحديث في المبحث السابع عن صورة اليهودي الإيجابية، وإنْ بدت صورة ضيقة إلا أنني لَمْ أغفلها من باب الأمانة العلمية.

أمَّا الفصل الثاني فقد حمل العنوان الآتي: "صورة اليهودي في الشعر العربي في القرن العشرين: دراسة فنية"، حيث قسَّمته إلى ثلاثة مباحث، تناولتُ في المبحث الأول اللغة الشعرية، باحثةً في طبيعة اللغة التي استخدمها الشاعر العربي في تعبيره عن رؤيته لليهودي، وتناولت في المبحث الثاني الصورة الشعرية، التي لجأ إليها الشاعر في تعبيره عن رؤيته وموقفه من اليهودي مبتعداً عن التصريح والمباشرة في نقل مواقفه وعواطفه، وتناولتُ في المبحث الثالث الموسيقا الشعرية، من خلال مستوييها الرئيسيين الخارجي الذي يتمثَّل بالوزن والقافية، والداخلي الذي يتمثَّل بالأساليب الفنية كالمحسنات البديعية والتكرار،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

التي من شأنها أَنْ تُحْدِثَ نوعاً من الموسيقا الداخلية في النص الشعري. وقد كان كلُّ ذلك مدعَّماً بالشواهد الشعرية، التي تخدم موضوع الدراسة.

ثُمَّ أنهيتُ الدراسة بخاتمة تضمَّنت أهم النتائج التي توصَّلت إليها الدراسة وتحليلها، وربط بعضها ببعض، والخروج بها بنتيجة علمية وعملية. وأخيراً فقد ألحقتُ بالدراسة ثَبْتاً بالمصادر والمراجع.

وأودُّ أَنْ أُشير إلى أنَّ رسالتي ليست تحريضية، ولا يقصد بها تأجيج الكراهية، ولكنَّها رسالة يُراد بها تسليط الضوء على موضوع هام وهو: (صورة اليهودي في الشعر العربي في القرن العشرين)، وأَنْ يكون عرضها تحليلياً، يتسم بالموضوعية والحياد والبعد عن الانحياز.

وفي الختام، أرجو الله عزوجل أَنْ أكون قد وفِّقت في دراستي لصورة اليهودي في الشعر العربي في القرن العشرين، وأَنْ تكون هذه الدراسة قد عملت على إلقاء مزيد من الضوء على صورة اليهودي وطبيعته ونفسيته المتقلبة، كما تجلَّت في قصائد الشعراء العرب في القرن العشرين.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التمهيد:

يُعدُّ التمهيد توطئة ضرورية بين يدي البحث، أعرض فيه إلى مقدمات أراها أساسيةً، وأنا استنطق الشعر العربي الحديث؛ لأرسم صورةً واضحةً للشخصية اليهودية وطبيعتها فيه. ومما سأعرض له موجزاً عن تسمية اليهود وتاريخهم في التَّوراة، والإنجيل، والقرآن الكريم، والأدب العربي بصورة عامة؛ ليكون بين يديَّ تصور كامل لليهود ونفسياتهم.

أولاً- أسماء اليهود:

عُرِفَ اليهود في التاريخ بجملة من الأسماء أطلقوها على أنفسهم، أو أطلقها غيرهم عليهم، وهذه الأسماء هي:

١- العبرانيون:

يُنْسَبُ العبرانيون إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام باعتباره عبر النهر، ويُحْتَمَلُ أَنْ يكون هذا النهر نهر الفرات أو نهر الأردن[١]. و "هي من أقدم التسميات التي أطلقت على الجماعات اليهودية. وتختلف المصادر في تحديد أصلها؛ فيرى البعض أَنَّها مشتقة من كلمة (عبيرو)[٢] التي ترد في المدونات المصرية

---

[١] أحمد شلبي، مقارنة الأديان: اليهودية، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، المجلد الأول، ص٤٦. بتصرف

[٢] كلمة (عبيرو): تعني عَبْد، وتشير الكلمة إِلَى العمال الذين استُخْدِمُوا في السخرة. انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط٥، دار الشروق، (د.م)، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، المجلد الأول، ص٣٩٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

القديمة، أو (خابيرو)[1] التي ترد في المدونات الأكادية. ويرى آخرون أنَّها مشتقة من العبور، وبالتحديد عبور نهر الفرات، للإشارة إلى عبور يعقوب الفرات هارباً من أصهاره[2].

ويرى آخرون أنَّ التسمية ترجع إلى (عابر) حفيد سام، الذي تُنْسَبُ إليه مجموعة كبيرة من الأنساب[3]. وكان أول شخص يُشار إليه بأنَّه عبري إبراهيم عليه السلام . وكانت الكلمة تعني الغريب الذي لا حقوق له"[4].

٢- بنو إسرائيل:

يُنْسَبُ بنو إسرائيل إلى يعقوب عليه السلام الذي كان يسمَّى بهذا الاسم. وهذه الكلمة مكوَّنة من قسمين: (إسرا) و (إيل). و "معناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبدالله"[5]. وقد ورد في التَّوراة أنَّ ربَّ يعقوب عليه السلام باركه وسمَّاه إسرائيل[6]. وورد في القرآن الكريم أنَّ يعقوب هو إسرائيل، يقول تعالى: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ

---

(١) خابيرو: كلمة أكادية ذات دلالات متعددة وأحياناً متناقضة، تُطلق على قبائل رُحَّل مِنَ البدو. انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الأول، ص٣٩٥.

(٢) المقصود: "خاله لابان الذي تزوَّج يعقوب عليه السلام ابنتيه ليّا وراحيل، وجمع بينهما". انظر: محمد عبد السلام أبو النيل، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٢٣.

(٣) ترجع تسمية الجنس السامي إلى سام بن نوح، وتشمل تلك التسمية مجموعة مِنَ الشعوب، مثل الآشوريين والبابليين والآراميين والكنعانيين والفينيقيين والعموريين والمؤابيين والأدوميين والعمُّونيين والعبرانيين. انظر: عفيف عبد الفتاح طبّارة، اليهود في القرآن: تحليل علمي لنصوص القرآن في اليهود على ضوء الأحداث المعاصرة مع قصص أنبياء الله إبراهيم ويوسف عليهما السلام، ط٩، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٢.

(٤) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الأول، ص١٠٣.

(٥) الزمخشري: أبو القاسم جار الله بن محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، عمان، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، المجلد الأول، ص٢٧٥.

(٦) انظر: الكتاب المقدس (العهدين العتيق والجديد)، دار المشرق، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، العهد العتيق، سِفْرُ التكوين، فصل٣٢، آية٢٤- ٣٠، المجلد الأول، ص٦٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كَانَ حِلاًّ لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ ﴾[1]. وعامة المفسرين يتّفقون على أنَّ المراد بإسرائيل هنا هو يعقوب عليه السلام[2].

٣- اليهود:

وقع خلاف بين الباحثين في سبب تسمية اليهود بهذا الاسم، وجاء خلافهم على ثلاثة أقوال: فأصحاب القول الأول ذهبوا إلى أنَّهم سموا بهذا الاسم نسبةً إلى يهوذا، وهو أحد أبناء يعقوب عليه السلام [3]، وبهذا التعليل يكون اليهود من ذرية يهوذا، الذي هو من ذرية يعقوب عليه السلام، وهذا يُوافق ما أشرت إليه آنفاً في سبب تسميتهم ببني إسرائيل. أمَّا أصحاب القول الثاني فقد علَّلوا التسمية بأنَّها نسبة إلى توبتهم عن عبادة العجل؛ إذ إنَّ كلمة يهود ترجع في جذرها اللغوي إلى كلمة (هاد) بمعنى تاب[4]. وفي القرآن الكريم

---

(١) سورة آل عمران، مِنَ الآية٩٣.

(٢) ابن وهب: أبو محمد عبدالله بن محمد (ت ٣٠٨هـ)، تفسير ابن وهب المسمَّى الواضح في تفسير القرآن الكريم، تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، المجلد الأول، ص١١٧.

الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المجلد الأول، ص٤٤٥.

الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٤٥٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي وفضل الله الطباطبائي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، المجلد الثالث، ص٧٤٧.

القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، المجلد الرابع، ص١٤٣.

ابن كثير: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، المجلد الأول، ص٥٣٤.

(٣) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الأول، ص١٠١.

(٤) ابن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، الجزء الخامس عشر، مادة (هَوَدَ).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ما يؤيد ذلك، قال تعالى - في التعقيب على قصة موسى عليه السلام ، مع قومه-: ﴿۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ﴾[1] أي: تُبْنَا[2].

وأَمَّا أصحاب القول الثالث فقد أرجعوا سبب التسمية إلى ما كان يقوم به اليهود من حركة أبدانهم ورؤوسهم عند قراءتهم التوراة[3]، فإنَّهم إذا قرؤوها تهودوا، بمعنى تحركوا تفاعلاً وخشوعاً، وفي اللغة ما يؤيد هذا الرأي، "فالتهويد والهوادة والتهود: الإبطاء في السير واللين والترفق. والتهود: المشي الرويد مثل الدبيب ونحوه. وأصله من الهوادة"[4].

٤- الصهاينة:

تُعرف الصهيونية بأنَّها: "حركة سياسية عنصرية، تهدف إلى إقامة دولة لليهود المشتتين في كلِّ بقاع الأرض، تكون في فلسطين، التي يزعمون أنَّها أرضهم التي وعدهم الله في عهد موسى أنْ يعطيهم إياها. وقيل: إنَّ سبب التسمية بالصهيونية راجع إلى جبل صهيون في القدس، الذي هو جزء من عاصمتهم المزعومة، بل جزء من أرض الميعاد كما يقولون"[5].

والناظر في تعريف الحركة الصهيونية يدرك أنَّها تهدف إلى التعصب لليهود عرقياً ودينياً، من خلال ما ورد من التنويه بالعنصرية. وأمَّا ما ورد في التعريف من اعتبارها حركة سياسية فدالٌّ على أنَّ هذه الحركة تعمل لتحقيق أهدافها العنصرية على المستويات السياسية، وذلك من خلال الأنظمة العالمية

---

[1] سورة الأعراف، منَ الآية ١٥٦.

[2] السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، المجلد الثالث، ص٢٤٠.

[3] محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ط٢، دار مكتبة الأندلس، بنغازي- ليبيا، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، الجزء الأول، ص٨.

[4] ابن منظور، لسان العرب، الجزء الخامس عشر، مادة (هَوَدَ).

[5] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٣٣١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المتعاونة معها، وليس بالضرورة أنْ يشارك فيها كلّ فرد من أفراد اليهود. فالصهيونية يقوم بها طائفة من اليهود أو ممن يوالونهم في الفكر، وإنْ كان في أصله غير يهودي. ويجب أنْ يكون هؤلاء قد عُرفوا بالإخلاص لمبادئ اليهودية، وممن مارسوا أساليب وفنون السياسة والتلاعب بالأنظمة.

وبناءً على ذلك، فبين الصهيونية واليهودية تباين، فليس كلُّ يهودي صهيونياً، وليس كلُّ صهيوني يهودياً؛ إذ قد يكون الصهيوني يهودياً، وقد يكون غير ذلك. ولهذا شاع في هذا الزمان ألفاظ ثلاثة: الإسرائيلي، واليهودي، والصهيوني. فالأول يدلُّ على من حمل جنسية الدولة بغض النظر عن دينه وأصله في قوميته؛ كالعرب الذين يعيشون في دولة إسرائيل الآن ويحملون الجنسية الإسرائيلية، وقد يكون منهم المسلمون، والنصارى واليهود. وأمَّا الثاني فيدلُّ على من حمل عقيدة اليهودي ودان بها، سواء أكان داخل دولة إسرائيل أم خارجها. أمَّا الثالث فيدل على من خدم الفكر اليهودي من خلال الصعد السياسية والتلاعب بالمستويات الاقتصادية في العالم، سواءً أكان من اليهود أم من غيرهم[1].

ثانياً- صورة اليهودي في العهدين: القديم والجديد:

من يُطالع العهد القديم (التَّوراة) والعهد الجديد (الإنجيل) يسطع رسم صورة واضحة عن طبيعة الشخصية اليهودية، ومعالمها ودواخلها، من معتقد وفكر وأخلاق ومعاملات. وسأقوم في هذا الجزء من التمهيد بالاعتماد على نصوص العهدين: القديم والجديد، واستنطاقها من أجل هذه الغاية.

ففي التَّوراة نصوص عديدة تبين للقارئ عقيدة اليهود في الله ورسله، وما ينزعون إليه من الفكر والرؤى والقيم والأخلاق والمعاملة مع النفس ومع الآخرين. وهي معتقدات وأعمال تصادم من له مسكة من عقل، أو عنده شيء من الفهم.

---

[1] عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الأول، ص١٠٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فاليهود يشبِّهون الربَّ بالمخلوق، ويُجيزون عليه ما يجيزونه على البشر، فالربُّ في عقيدتهم يعمل العمل فيتعبه، فيكون ذلك دافعاً له إلى طلب الراحة[1]، فقد ورد في سِفْرِ الخروج: "لأَنَّ الرَّبَّ في سِتَّةِ أَيَّامٍ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ وَالبَحْرَ وَجَمِيعَ مَا فِيهَا، وفي اليومِ السَّابِعِ اسْتَرَاحَ ولِذَلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يومَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ "[2].

والربُّ في عقيدتهم يخطئ ويصيب. فهو غير معصوم عن الزلل، ويرتِّبون على اعترافه بالخطأ ثبوت العواطف التي تحمله على البكاء والندم على ما فرطت يداه، فقد ورد في سِفْرِ نبوءة إرميا: "فإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا لِهَذا تَبْكِي نَفْسِيَ في الخُفيةِ على كِبْريائِكُمْ وتَسْتَعْبِرُ عَيْني اسْتِعْبَاراً وَتَسِيلُ بالدمُوعِ لأَنَّ قَطِيعَ الرَّبِّ قَدْ سُبِيَ "[3].

والربُّ عندهم ينسى، وذلك إذا أراد أَنْ يستعيد ما كان قد قرَّره من قبل. ففي سِفْرِ الخروج: "وكَانَ بَعْدَ أَيامٍ كَثيرةٍ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ مَاتَ وَتَنَّهَدَ بَنو إِسْرَائيلِ مِنْ خدمتهم وَصَرَخَوا وَصعدَ صُرَاخَهُمْ إِلَى اللهِ مِنَ الخِدْمَةِ * فسمع الله أنينهم وَذَكَرَ عَهدَهْ مع إبراهيمَ وإسحقَ ويعقوبَ"[4].

فانظر إلى قولهم: (وَذَكَرَ عَهدَهْ مع إبراهيمَ وإسحقَ ويعقوبَ)؛ حيث يشير النص إلى ما ذكرناه آنفاً من صفة النسيان بزعمهم.

ولا يقف اليهود في معتقدهم بالله عند هذا الحد، بل يُجوِّزون على الله أَنْ يكون له الأبناء والأولاد، فقد جاء في سِفْرِ تثنية الاشتراع: "أَنْتُم بَنُو الرَّبِّ إِلَهكُم لا تُهَمِّشُوا أَجْسَادكم على ميتٍ ولا تُنتِّفُوا ما بينَ عُيونِكُمْ * لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقدَّسٌ للرَّبِّ إِلَهك وقَدْ اصطَفَاكَ الرَّبُّ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبَاً خَاصاً عَلَى جَمِيعِ الشعُوبِ

---

(1) يوسف رشاد، التَّوراة العدو اللدود للسامية، راجعه وقدَّم له عبد العظيم المطعني، دار الكتاب العربي، حلب، ٢٠٠٨م، ص٢٨.

(2) الكتاب المقدس (العهد العتيق)، سِفْرُ الخروج، فصل٢٠، آية١١، المجلد الأول، ص١٣٠.

(3) المصدر نفسه، سِفْرُ نبوءة إرميا، فصل١٣، آية١٧، المجلد الثاني، ص٤٥٢.

(4) المصدر نفسه، سِفْرُ الخروج، فصل٢، آية٢٣- ٢٤، المجلد الأول، ص١٠٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ"[1]. فالربُّ بهذا ضعيف ضعف الإنسان؛ لأنَّ اتخاذ الولد من مظاهر الضعف العاطفي، ومن صفات البشر.

وأمَّا عقيدتهم في الأنبياء والرسل فلا تقلُّ في البطلان والضلالة عن عقيدتهم في الله. فاليهود ينسبون إلى الأنبياء والرسل من الأعمال ما لا يليق بآحاد الناس العاديين، فالرسل عندهم ليسوا معصومين عن الزلل، بل يُجوِّزون عليهم الجرائم الكبيرة من الزنا وشرب الخمر والخديعة ونحو ذلك. فقد ورد في سِفْرِ التكوين من العهد القديم قصة لوط عليه السلام مع ابنتيه، وكيف أنَّهما احتالتا عليه ليشرب الخمر، ويرتكب معهن جريمة الزنا: "وَصَعَدَ لُوط مِنْ صُوْعَر وَأَقَامَ في الجبلِ هُوَ وابْنَتَاهُ مَعَهُ إِذْ خَافَ أَنْ يُقِيمَ في صُوْعَر فَأَقَامَ في المَغَارَةِ هُوَ وابْنَتَاهُ * فَقَالَتِ الكُبْرَى للصُغْرَى: إِنَّ أَبَانَا قَدْ شَاخَ وَلَيْسَ في الأَرْضِ رَجُلٌ يَدْخُلُ عَلَيْنَا عَلَى عَادَةِ الأَرْضِ كُلِّهَا * تَعَالِي نَسقِي أَبَانَا خَمْرَاً وَنُضَاجِعُهُ فنُقِيمَ مِنْ أَبِينَا نَسْلاً * فَسقتَا أَبَاهُمَا خَمْرَاً تِلْكَ الليلةِ وجَاءتِ الكُبْرَى فَضَاجَعتْ أَبَاهَا ولَمْ يَعْلَمْ بِنِيَامِهَا ولا قِيامِهَا * فَلَمَّا كَانَ الغد قَالتِ الكُبْرَى للصُغْرَى: هآءَذَا ضَاجَعْتُ أمس أبي فَلنَسقه خَمْرَاً الليلةَ أيضاً وتَعَالِي أنتِ فَضَاجِعِيهِ لِنُقِيمَ مِنْ أَبِينَا نَسْلاً * فَسقتا أَبَاهُمَا خَمْـرَاً تِلْكَ الليلةَ أيضاً وقَامتِ الصُغْرى فَضَاجَعَتْهُ ولَمْ يَعْلَمْ بِنِيَامِهَا وَلا قِيَامِهَا * فَحَمَلتْ ابْنَتَا لُوط مِنْ أَبِيهِمَا"[2].

والأنبياء عند اليهود مجردون من دماثة الأخلاق وحسن التأدب مع ربهم. فها هو موسى عليه السلام – كما يصورونه– يعاتب ربَّه ويسيء معه الأدب في ذلك العتاب، وكأنَّ سيدنا موسى عليه السلام يتحدث مع شخص أقل منزلة منه[3]، فقد ورد في سِفْرِ العدد: "فَقَالَ مُوسَى للرَّبِّ: لِمَ ابْتَلَيْتَ عَبْدَكَ ولِمَ لَمْ أَنَلْ حُظوَةً في عَيْنَيْكَ حتى وَضَعْتَ أَثْقَالَ جَمِيع هَؤلاءِ الشعْبِ عَلَيَّ * أَلَعَلِّي أَنَا حَمَلْتُ هَؤلاءِ الشعبَ كُلَّهمْ أَمْ لَعَلِّي أَنَا

---

(1) الكتاب المقدس (العهد العتيق)، سِفْرُ تثنية الاشتراع، فصل١٤، آية١– ٢، المجلد الأول، ص٣٢٣.

(2) المصدر نفسه، سِفْرُ التكوين، فصل١٩، آية٣٠– ٣٦، المجلد الأول، ص٣٥.

(3) يوسف رشاد، التَّوراة العدوُّ اللدود للسامية، ص٣٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وَلَدْتُهُمْ حَتى تَقُولَ لِي احْمِلْهُمْ في حِجْرِكَ كَمَا تحْمِلُ الحَاضِنُ الرَّضِيعَ إِلَى الأَرضِ الَّتي أَقْسَمْتَ لآبائِهِمْ عَلَيْهَا"[1].

ويرى اليهود أنَّ الأنبياء ليسوا معصومين حتى من الكفر. فهم يعتقدون أنَّ الذي صنع العجل لبني إسرائيل هو هارون، وليس رجلاً آخر. فقد ورد في سِفْرِ الخروج: "وَرَأى الشَّعبُ أَنَّ مُوسَى قَدْ أَبْطَأَ في النزولِ مِنَ الجَبَلِ فَاجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وقَالُوا لَهُ قُمْ فَاصْنَعْ لَنَا آلهةً تَسيرُ أَمَامَنَا، فَإِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ مُوسَى الّذي أَخْرَجَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لا نَعْلَمُ مَاذا أَصَابَهُ * فَقَالَ لَهُمْ هَارُون انْزعُوا شُنُوفَ الذَّهَبِ الَّتي في آذَانِ نِسَائِكُمْ وبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ واتوني بِهَا * فَنَزَعَ جَمِيعُ الشَّعْبِ شُنُوفَ الذَّهَبِ الَّتي في آذَانِهِمْ وأَتوا بِهَا هَارُون * فَأَخَذَهَا مِنْ أَيدِيهِمْ وصَوَّرَهَا في قَالبٍ وَصَنَعَهَا عِجْلاً مَسْبُوكاً، فَقَالُوا هَذهِ آلهتكِ يا إسرائيل الّتي أَخْرَجَتْكِ مِنْ أرضِ مِصْرَ"[2].

وورد في سفر العدد ما يشير إلى أنَّ الربَّ عدَّ موسى وهارون كافرين به: "فَقَالَ الرَّبُّ لمُوسَى وهَارُون: بِمَا أَنَّكُمَا لَمْ تُؤْمِنَا بي ولَمْ تُقدساني عَلى عُيونِ بني إسرائيلَ لِذَلِكَ لا تُدْخِلانِ أَنتُمَا هَؤلاءِ الجَمَاعَةَ الأَرضَ التي أَعْطِيتُهَا لَهُمْ"[3].

وبلغ من استخفاف اليهود بالأنبياء والرسل أَنْ استحلُّوا دماءهم فقتلوهم، أو قتلوا من ظفروا بهم، ثم تظاهروا بالتوبة عن ذلك فقبل الربُّ توبتهم. ولكنهم يعاودون هذا الفعل من زمن إلى زمن دون أَنْ يرعووا. فقد ورد في سِفْرِ نحميا خطابه للرب في هذا الشأن؛ إذ قال: "ثُمَّ اسخَطُوكَ وتَمَرَّدُوا عَلَيكَ ونَبَذُوا شَرِيعَتَكَ ظِهرياً وقَتَلُوا أَنْبِياءَك الَّذِينَ أَشْهَدُوا عَليهِمْ لِيَرُدُّوهُمْ إِليكَ وجَدَّفُوا تَجْدِيفَاتٍ[4] عظيمةً* فَأَسْلَمْتهم إِلَى أَيدي مُضَايقِيهِمْ فذلَّلوهُمْ وفي وقتِ ضِيقِهِمْ صَرخُوا إِليك فَسَمِعتَ أَنتَ مِنَ السَّمَاءِ وبحسبِ مَرَاحِمِكَ الكثيرة

---

(1) الكتاب المقدس (العهد العتيق)، سِفْرُ العدد، فصل١١، آية١١– ١٢، المجلد الأول، ص٢٤٧.

(2) المصدر نفسه، سِفْرُ الخروج، فصل٣٢، آية١– ٤، المجلد الأول، ص١٥١.

(3) المصدر نفسه، سِفْرُ العدد، فصل٢٠، آية١٢، المجلد الأول، ص٢٦٤.

(4) التَّجديف: هو الكُفر بنعم الله. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثاني، مادة (جَدَفَ).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

آتيتهم مُخَلِّصينَ فَخَلَّصوهُمْ مِنَ أَيدي أَعْدَائِهِمْ * فَلَمَّا اطْمَأَنُوا عَادُوا إِلَى عَمَلِ الشَّرِ قُدَّامكَ فَتركتَهُمْ في أَيدي أَعْدَائهمْ فَتسلَّطُوا عَليهِمْ فتَابُوا وصَرَخُوا إِليكَ وأَنْتَ مِنَ السَّمَاءِ استجبتَ ونَجّيتَهُمْ بحسب كثرة مراحِمكَ آونةً كثيرةً"[1].

وإذا طالعنا نصوص التَّوراة لنتعرف على معالم الشخصية اليهودية في نظرتهم إلى القيم والأخلاق والسلوك المتأدب مع أنفسهم، ومع غيرهم فإننا نجد جملةً من تلك القيم والأخلاق شاهدةً على شخصيتهم بالانحراف، والبعد عن سواء الجادة، واستقامة المنهج. فهم يرتكبون الزنا بكلِّ أريحية غير ناظرين إلى عقيدة هذا الفعل، بل يعاودونه مرات، ومرات. فها هو الربُّ في توراتهم يعنِّف عليهم فعلهم الزنا، إذ ورد في سِفْرِ نبوءة إرميا: "هَا إِنَّكُمْ تَتكلَّمُونَ عليَّ كَلامَ الكَذبِ الّذي لا فَائدة فيه* أَتَسْرِقُونَ وَتَقْتُلُونَ وَتَزْنُونَ وَتَحْلِفُونَ بالزُّورِ وتُقتِّرُونَ للبَعْلِ وتَتبعُونَ آلهةً أُخرْ لَمْ تَعْرِفُوهَا* ثُمَّ تَأْتُونَ وَتَقِفُونَ بَيْنَ يَديَّ في هذا البيتِ الّذي دُعِيَ باسمِي وَتَقُولونَ قَدْ أُنْقَذْنَا حَتى تَصْنَعُوا جَمِيعَ تِلْكَ الأَرْجَاسِ* أَفَصَارَ هَذَا البيت الّذي دُعي بِاسْمِي مَغارةَ لُصُوصٍ أَمَامَ عُيونِكُمْ..."[2].

وتُظهر التَّوراة أنَّ الزنا متغلغل في بواطنهم حتى كأنَّه أمر لصيق بعقيدتهم، أو ضرب من منظومة سلوكهم أو طبعهم. فقد ورد في سِفْرِ هوشع: "إِنَّهمْ لا يُوجِّهون أَعْمالَهُمْ للتوبةِ إِلَى إِلههمْ؛ لأَنَّ روحَ الزِّنى في وَسَطِهِم ولمْ يعْرِفُوا الربَّ "[3].

وفي مجال المعاملات المالية، تصورهم التَّوراة بأنَّهم رحماء بينهم أشداء على غيرهم، إذ يُجيزون الربا، وأخذ الفائدة على القرض إذا كان من غير اليهود، بل يباركهم الربُّ على فعلهم. فقد ورد في سِفْرِ تثنية الاشتراع: "لا تُقْرِضْ أَخَاكَ بِرِبًى في فضةٍ أو طَعَامٍ أَوْ شَيءٍ آخرَ مِمَّا يُقْرَضُ بِالرِّبى* بَلِ الأَجْنَبِي إِيَّاهُ تُقْرِضُ بِالرِّبَى وأَخَاكَ لا تُقْرِضْهُ بِالرِّبَى لِكَي يُبَارِكَ إِلَهُكَ جَمِيعَ أَعْمَالِ يَدَيْكَ في الأَرضِ الَّتي أَنْتَ

---

(1) الكتاب المقدس (العهد العتيق)، سِفْرُ نحميا، فصل٩، آية٢٦– ٢٨، المجلد الأول، ص٨٢٠.

(2) المصدر نفسه، سِفْرُ نبوءة إرميا، فصل٧، آية٨– ١١، المجلد الثاني، ص٤٤١.

(3) المصدر نفسه، سِفْرُ نبوءة هوشع، فصل٥، آية٤، المجلد الثاني، ص٦٩٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

دَاخِلٌ لتَمْتَلِكهَا"[1]. ووَرَدَ فِي سِفْرِ الخروجِ: "إذا أَقْرَضْتَ فِضةً لِفَقِيرٍ مِنْ شَعْبِيَ مِمَنْ عِنْدَكَ فَلا تَكُنْ لَهُ كَالمُرَابِي ولا تُقِيمُوا عَليه رِبىً"[2]. فهم بهذا لا ينظرون إلى حرمة الربا لذاته، بل ينظرون إلى حرمته بالنظر إلى المقترض، فإن كان يهودياً لم يجيزوه وإن كان غير ذلك أخذوه.

ولَمْ يقف اليهود عند حد استنزافهم أموال الناس بالباطل، بل عمدوا إلى استنزاف دمائهم. ولا عجب، فإنَّ من يستبيح دماء الأنبياء والمرسلين تهون عليه دماء غيرهم. فقد ورد في سِفْرِ تثنية الاشتراع: "وأَمَّا مُدن أُولئكَ الأُمَمِ الّتي يُعْطِيها لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِيراثاً فَلا تَسْتَبْقِ مِنْهَا نسمةً * بَلْ أَبْسِلهُمْ[3] إِبْسَالاً الحَيثِّيينَ والأَمُوريينَ والكنعانيينَ والفرزيينَ والحُوِّيينَ واليَبُوسيينَ كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ"[4].

وأخيراً، فإن ما قدمته من الإشارة إلى بعض معالم شخصية اليهود في الجانبين: العقدي والقيمي لا يعني أنَّ كتبهم المقدسة تأمرهم بذلك. وإنَّما في كتبهم من محفزات البر والخير ما يمكن أَنْ يعد البقية من الوحي الصحيح الذي لم تصل إليه يد التحريف والتبديل، فإنَّ من يقرأ التوراة يجد فيها معاني ودلالات على الأخلاق والقيم وتحريم الظلم والكفر والخمر، وما إلى ذلك من معاني الشر والبعد عن المنهج السليم، ولكن القوم خالفوا هذا السنن، وأقحموا في توراتهم ما يوافق أهواءهم، وتمثَّلوا ذلك في أفعالهم. ومما يدلُّ على أنَّ في التَّوراة بقية خير ما تشهد به التَّوراة نفسها، ومما يعدُّ موافقاً للوحي المعصوم السديد، حيث نقرأ – على سبيل المثال– في سِفْرِ نبوءة أشعيا: "وَيْلٌ للَّذينَ يَشْتَرِعُونَ شَرَائِعَ الظلمِ والَّذينَ يَكْتُبُونَ كِتَابَةَ الجورِ* لِيُحَرِّفُوا حُكْمَ المَسَاكِينَ ويَسْلِبُوا حَقَ بَائسي شَعْبِي لِتَكُونَ الأَرَامِلُ مَغْنَماً لَهُمْ وَيَنْهَبُوا اليَتَامَى"[5].

---

[1] الكتاب المقدس (العهد العتيق)، سِفْرُ تثنية الاشتراع، فصل٢٣، آية١٩– ٢٠، المجلد الأول، ص٣٣٧.

[2] المصدر نفسه، سِفْرُ الخروج، فصل٢٢، آية٢٥، المجلد الأول، ص١٣٤.

[3] أبْسِله: أي أَسْلِمهُ للهَلَكةِ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الأول، مادة (بَسَلَ).

[4] الكتاب المقدس (العهد العتيق)، سِفْرُ تثنية الاشتراع، فصل٢٠، آية١٦– ١٨، المجلد الأول، ص٣٣٣.

[5] المصدر نفسه، سِفْرُ نبوءة أشعيا، فصل١٠، آية١–٢، المجلد الثاني، ص٣٥٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وفي المصدرِ نفسِه: "وَيْلٌ لِلأُمَّةِ الخَاطِئَةِ الشَّعْبِ المُوقَرِ بِالإِثْمِ ذُرِّيَّةِ المُجْرِمِينَ البَنِينَ الفُجَّار إِنَّهُم تَرَكُوا الرَّبَّ واسْتَهَانُوا بِقُدُوسِ إِسرائيلَ وارْتَدُّوا على الأَعْقَابِ"[1].

وفِي سِفْرِ نبوءةِ ميخا وَرَدَ: "وَيلٌ لِلذينَ يُفَكِّرُونَ في الإِثمِ ويَخْتَرِعُونَ الشر في مَضَاجِعِهِمْ ثُمَّ في نُورِ الصبَاحِ يَصْنَعُونَهُ إِذْ هُوَ في طَاقَةِ أَيْدِيهِمْ* يَشْتَهُونَ حُقُولاً فَيَغْتَصِبُونَهَا وبُيوتاً فَيَحُوزُونَها وَيَظْلِمُونَ الرَّجُلَ وبَيتَهُ والإِنْسَانَ ومِيرَاثَهُ"[2]. وفِي المصدرِ نفسِه: "أَيُّهَا المُبْغِضُونَ الخَيرَ وَالمُحبُّونَ الشَّرَّ النَازِعُونَ جُلُودَهُمْ عَنْهُمْ ولُحُومَهُمْ مِنْ عِظَامِهِمْ* الَّذينَ يأكُلُونَ لُحُومَ شَعْبِي وَيَسْلَخُونَ جُلُودَهُمْ عَنْهُمْ ويُهَشِّمُونَ عِظَامَهُمْ ويُقَطِّعُونَهُمْ كَمَا في القدرِ وكاللحمِ في وسطِ المِقْلَى حِينئذٍ يَصْرُخُونَ إِلَى الرَّبِّ فَلا يُجِيبُهُمْ بَلْ يَحْجِبُ وَجْهَهُ عَنْهُمْ في ذَلِكَ الزَّمَانِ عَلى حَسبِ إِساءةِ أَعْمَالِهِمْ"[3].

ففي النصوص السابقة دلالة واضحة على معاني الخير ومحاربة الشر والظلم والكفر والعدوان والنهب والسلب، وبيان أكيد على قدسية الربِّ وتحريمه هذه الجرائم على الشعب. وإذا كان في التَّوراة شيء يُبيح لليهود بعض الظلم والنهب من غير اليهود، فذلك دلالة على وقوع التحريف فيها.

وأمَّا صورة الشعب اليهودي في الإنجيل فلا تقلُّ سوءاً، ولا انحرافاً عما قدمته مما نطقت به نصوص التَّوراة. وقد جاء الحديث عنهم في الإنجيل في نصوص مطولة على سبيل لومهم وتأنيبهم على ما فعلوا بالأنبياء وبالناس عامةً، ومما اقترفوه من الظلم، والخطيئة والكفر.

---

(1) الكتاب المقدس (العهد العتيق)، سِفْرُ نبوءة أشعيا، فصل١، آية٤، المجلد الثاني، ص٣٤٣.

(2) المصدر نفسه، سِفْرُ نبوءة ميخا، فصل٢، آية١– ٢، المجلد الثاني، ص٧٢٤.

(3) المصدر نفسه سِفْرُ نبوءة ميخا، فصل٣، آية٢– ٥، المجلد الثاني، ص٧٢٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وتكشف الأناجيل عن فساد معتقدهم وسوء أخلاقهم وقيمهم. وسأستشهد هنا ببعض النصوص الشاملة لكلِّ ما ذكرت. فقد ورد في إنجيل متى على لسان يسوع في مخاطبة الفريسيين[١]: "الوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا الكَتَبَةُ والفَرِيسِيونَ المُرَآءونَ فَإِنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوت السَّمَاواتِ في وُجُوهِ النَّاسِ فَلا أَنْتُمْ تَدْخُلُونَ، وَلا الداخِلِينَ تَتْرُكُونَهُمْ يَدْخُلُونَ* الوَيلُ لَكُمْ أَيُّهَا الكَتبةُ والفَرِيسِيونَ المُرَآءونَ فَإِنَّكُمْ تَأْكُلُونَ بُيوتَ الأَرَامِلِ بِعِلَّةِ تَطويلِ صَلَواتِكُمْ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَتَنَالُكُمْ دَيْنُونَةٌ أَعْظَمُ"[٢].

ففي هذا النص جملة من قبائح اليهود التي أشار إليها هذا الإنجيل، فهم عنده يحاولون أنْ يحجبوا الخير عن البشر، وينصبوا أنفسهم حجاباً لأبواب الله، ووسائط بينه وبين عباده. وهم الذين يعمدون إلى استرقاق الناس وتعذيبهم؛ إرضاءً لأهوائهم. وهم الذين يسطون على عباد الله ظلماً وزوراً، ويأكلون حقوقهم بالباطل. وأخيراً، هم الذين لا يعظِّمون في أعينهم شيئاً كالذهب والمال؛ إذ يقدمونهما على شعائر الدين وأركانه.

وفي الإنجيل نفسه: "الوَيلُ لَكُمْ أَيُّهَا الكَتبةُ والفَرِيسِيونَ المُراؤونَ، فإِنَّكُمْ تُشَيِّدُونَ قُبُورَ الأَنْبِياءِ وَتُزَيِّنُونَ مَدَافِنِ الصِدِّيقِينَ* وَتَقُولُونَ: لَو كُنَّا في أيامِ آبائنَا لَمَا شَارَكنَاهُمْ في دَمِ الأَنْبِياءِ* فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ بنو قَتَلةِ الأَنْبِياءِ* فَجَمِّمُوا[٣] أَنْتُمْ مِكْيالَ آبائِكُمْ"[٤].

في هذا النص وصف صريح من الإنجيل لليهود بأنَّهم مراؤون، وأنَّهم من داخلهم خربون، وأنَّ ظواهرهم تناقض بواطنهم. وفيه أنَّهم يشهدون على آبائهم بأنَّهم كانوا قتلة الأنبياء، وسفاكي دماء.

---

[١] الفريسيون:" كلمة مأخوذةٌ مِنَ الكلمة العبرية (بيروشيم)، أي المنعزلون. والفريسيون فرقة دينية وحزب سياسي ظهر نتيجة الهبوط التدريجي لمكانة الكهنوت اليهودي بتأثير الحضارة الهيلينية التي تُعلي شأن الحكيم على حساب الكاهن...".
انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الثاني، ص١٢٠- ١٢١.

[٢] الكتاب المقدس (العهد الجديد)، إنجيل متَّى، فصل٢٣، آية١٣- ١٤، ص٤٣.

[٣] جمِّمُوا: املاؤوا. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثاني، مادة (جَمَمَ).

[٤] انظر: الكتاب المقدس (العهد الجديد)، إنجيل متَّى، فصل٢٣، آية٢٩- ٣٢، ص٤٣- ٤٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي الإنجيل نفسه: "أَيُّهَا الحَيَّاتُ أَوْلاد الأَفَاعِي كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنم* مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَة، فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلِبُونَ وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينة* لِكَي يَأْتِيَ عَلَيكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سُفِكَ عَلى الأَرْضِ مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيا بن بِرَكِيا..."[1].

في هذا النص صورة جلية لما تنطوي عليه نفوس اليهود من الخبث والمكر والدهاء والعدوان. يمثِّلُ ذلك تشبيه الإنجيل لهم بأنَّهم حيات، ولم يكن الأمر قد نشأ فيهم ابتداءً، وإنما ورثوه عن آبائهم وأسلافهم، فهم أبناء الأفاعي. وفيه أيضاً أنَّهم يعادون الأنبياء، وكلَّ حكيم. يبادرونهم بالقتل والجلد والطرد والملاحقة من مكان إلى آخر. وهم مع هذا كله يظنون بالله ظن السوء: يعتقدون أنَّهم لن يعذبوا، وأنَّهم سيهربون من نار جهنم وعذابها.

وفي إنجيل يوحنا ما يجلِّي لنا صورة اليهود في جانب آخر، فقد ورد فيه: "قَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ ذُرِيَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَلَكِنَّكُمْ تَطْلُبُونَ قَتْلِيَ، لأَنَّ كَلامِي لا مَحَلَّ لَهُ فِيكُمْ... فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ لَو كَانَ اللهُ أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لأَنَّنِي خَرَجْتُ مِنَ اللهِ وأَتيتُ ولَمْ آتِ مِنْ نَفْسِيَ، بَلْ هُوَ أَرْسَلَنِي،* لِمَاذا لا تَفْهَمُونَ كَلامِي. لأَنَّكُمْ لا تستطيعون أَنْ تَسْتَمِعُوا لِكَلِمتي * أَنْتُمْ مِنْ أَب هُوَ إِبْلِيسُ وشَهَواتِ أَبِيكُمْ تَبْتَغُونَ أَنْ تَعْمَلُوهَا"[2].

يكشف هذا النص عن جريمتهم الكبرى في محاولتهم قتل نبي الله عيسى عليه السلام معللين فعلتهم تلك بأنَّه ابن زنى، وقد رد عليهم ببيان حقيقتهم أنَّهم يفعلون فعل الأبالسة والشياطين، وأنَّهم كاذبون فيما يدَّعونه من أبوة الله لهم.

---

[1] الكتاب المقدس (العهد الجديد)، إنجيل متَّى، فصل٢٣، آية٣٣- ٣٥، ص٤٤.

[2] انظر: المصدر نفسه، إنجيل يوحنا، فصل٨، آية٣٧، ٤١- ٤٤، ص١٧٢- ١٧٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويعود سيدنا عيسى عليه السلام من جديد، لإدانة هؤلاء القادة الدينيين والفريسيين، فيقول لهم: "الوَيلُ لَكمْ أَيُّهَا الكَتبةُ الفَريسيونَ المُراءونَ فَإِنَّكُمْ تُشْبِهُونَ القُبورَ المُجصَّصةَ التي تُرى للناسِ مِنْ خَارِجِها حَسنةً وهي في داخِلِها مَملُوءةٌ عِظامَ أَمواتٍ وكُلَّ نَجَاسةٍ"[1].

يبين سيدنا عيسى عليه السلام أنَّ اليهود داخلهم ليس كخارجهم، فهم يظهرون للناس أنَّهم أتقياء ومقدسون، ولكنهم على العكس من ذلك، فدواخلهم مملوءة فساداً وطمعاً. فالإيمان الصحيح بالدين يجب أَنْ يكون صادقاً من الداخل والخارج، فمتى كانوا أتقياءً من الداخل، فإنَّه يستحيل أَنْ يكونوا كاذبين من الخارج[2].

إنَّ هدف الرسل والأنبياء هو هداية البشر وحمايتهم. وقد كان سيدنا عيسى عليه السلام شديد الاهتمام بحماية شعبه ورده عن الشر والضلال. فقد ورد في إنجيل متى تطلع النبي عيسى عليه السلام لجمع اليهود وحمايتهم، ولكن هذا التطلع لم يتحقق لأنَّ هؤلاء الجاحدين رفضوا ذلك، وأبوا إلا الغطرسة والجحود: "يا أورشليم يا قاتلةَ الأنبياءِ وراجمةَ المُرسلين إليها كم مِنْ مرةٍ أَردتُ أَنْ أجمعَ بنيكِ كما تجمعُ الدجاجةُ فِراخَها تحت جناحيها فَلَمْ تُريدوا* هوذا بيتكمْ يتركُ لكمْ خَراباً* فإني أقولُ لكمْ إِنَّكُمْ مِنَ الآن لا تَرَوْنني حتى تقُولُوا مباركٌ الآتي باسمِ الربِّ"[3].

وفي هذا إشارة إلى رفض اليهود حماية عيسى عليه السلام لهم، فهم يرون أنَّه لا يستطيع حمايتهم، ولا أَنْ يحقِّق مآربهم. ولو حاولوا لمرة واحدة اللجوء إليه، لعلموا أنَّه جدير بالعون والمساعدة، لذا أنبأهم عيسى عليه السلام بأنَّ أورشليم ستصبح خراباً، وذلك لكثرة ما اقترفوه من قتل، حتى أصبحت أورشليم مصبوغةً بالدماء. وهذا ماحصل فعلاً، فقد دمَّر الرومان أورشليم مرتين، فكانت الأولى سنة ٧٠م على يد طيطوس؛ حيث هدم البلدة وأحرق الهيكل، أمَّا الثانية، فكانت سنة ١٣٥م على يد هدريان، الذي حرثها

---

[1] الكتاب المقدس (العهد الجديد)، إنجيل متَّى، فصل٢٣، آية٢٧، ص٤٣.

[2] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميديا، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٩٤٧.

[3] الكتاب المقدس (العهد الجديد)، إنجيل متَّى، فصل٢٣، آية٣٧- ٣٩، ص٤٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

ومسحها من عالم الوجود مسحاً شاملاً[1]. ومن خلال النص السابق نرى أنَّ عيسى عليه السلام أراد أنْ يصوِّر مدينة أورشليم كاملةً وكأنَّها غارقة إلى شحمة أذنيها في الإبادة والإجرام. فقد شوَّه اليهود سمعة مدينتهم بسلوكهم الشاذ عن مسار الإنسانية[2].

ومن المواقف التي تدلُّ على استعلاء اليهود واستخدامهم لفرضية التفوق العرقي، التي تكشف بوضوح مدى استكبارهم ونظرتهم الدونية للآخرين، ما جاء في إنجيل أعمال الرسل: "* فقَالَ لَهُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ حَرَامٌ على رَجُلٍ يهوديٍّ يُخالِط أجنبياً أو يَدنُو إِليهِ فَقَدْ أراني اللهُ ألاّ أقولَ عَنْ أحدٍ إنّهُ نَجِسٌ أو دَنِسٌ"[3].

ولا أريد استقصاء كل ما ورد في الأناجيل؛ فهي ناطقة بشبيه ما قدمت، وكاشفة عن مثيل ما أسلفت. هذه هي صفاتهم في التَّوراة والإنجيل، فماذا قال القرآن الكريم عنهم؟ وهو آخر الكتب المنزلة، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.

ثالثاً- صورة اليهودي في القرآن الكريم:

القرآن كلام الله تعالى الذي سلم من التحريف والتبديل، واستعصى على كل محاولات القدح والتشويه؛ لذا بقي في جدته معافىً من غائلات النقض، وكذلك جاءت أخباره صحيحةً يقينيةً. ودليل ذلك أنَّه أعلن في وجوه العالم التحدي في أعنف صوره، ودعاهم إلى المنازلة في البلاغة والأخبار والتشريع والتأثير فلم يستطع أحد من الناس أنْ يرفع معه رأساً، أو يعلي له صوتاً.

---

(1) محمد أحمد محمد المجالي، المدن العربية المقاتلة (القدس، بيروت، البصرة) ١٩٤٨م- ١٩٨٨م، إشراف الأستاذ الدكتور محمود السمرة، رسالة دكتوراة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٤.

(2) إبراهيم أبو عواد، صورة اليهود في القرآن والسنة والأناجيل، دار اليازوري، عمان، ٢٠٠٨، ص٥٢.

(3) الكتاب المقدس (العهد الجديد)، أعمال الرسل، فصل١٠، آية٢٨، ص٢٢٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وقد احتلَّ الحديث عن اليهود أولهم وآخرهم، صالحيهم وفاسديهم في النص القرآني مساحةً عريضةً لا تقل عن ثلث آيات القرآن الكريم. ولعلَّ سرَّ ذلك أنَّهم من أعرق الأمم التي كان لها تجارب طويلة مع أنبيائهم، أو كان لأنبيائهم معهم مثل ذلك، ما يجعل الحديث عنهم مصدراً لقضايا عديدة فيما يتعلَّق بمعاني الدعوة وما تكتنفه من الصبر على الأذى، والتوكل على الله، والإخلاص للمبدأ، وبعد ذلك كله الحذر من مثل هذا العدو الذي سيظل شأنه مواكباً لأمة الإسلام إلى يوم القيامة.

لقد كشف القرآن الكريم بصورة جلية بعض معالم الشخصية اليهودية. فهم الذين نقضوا إيمانهم بعد ما رأوه من دلائل التوحيد، والبراهين القاطعة على قدرة الله تعالى. فبعد أنْ أنجاهم الله من فرعون وقومه، وفرق بهم البحر ألحوا على هارون نبي الله، وخليفة أخيه موسى عليه السلام أنْ يتخذوا عجلاً جسداً له خوار إلهاً يعبدونه من دون الله، أو يريدونه ربَّاً مع الله، يقول تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى * قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[2].

---

[1] سورة طه، آية٨٦- ٨٩.

[2] سورة البقرة، آية٥١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

ولم يقف الأمر عند عبادتهم العجل صورياً، بل صرفوا له من الحب والولاء ما يصرفه العبد القانط للإله، يقول تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]. والمعنى:" أُشْرِبُوا في قلوبهم حب العجل"[2].

وقد زعم اليهود أنَّهم الشعب المختار، بل أنَّهم أبناء الله وأحباؤه من دون الناس، وقد كذَّبهم الله في ذلك، يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ﴾[3].

وقد يقول قائل: إنَّ القرآن يصدقهم في دعواهم، فقد ورد فيه ما يدلُّ على أنَّ الله فضَّلهم على العالمين، يقول تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4]. وهي كلمة حق أراد بها المحتجون باطلاً؛ فلا يجوز أنْ تؤخذ الآية مستقلةً بدلالتها عن سائر الآيات التي تعالج الموضوع نفسه. فهم مفضَّلون على العالمين إذا شكروا نعمة الله وذكروها. ولا يكون شكر النعم وذكرها إلا بالتوحيد الخالص، والعبادة الخالصة، والإنسياق في منهج الحق، وعدم المخالفة له.

واليهود لم يفعلوا شيئاً من ذلك. والأمور مرهونة بشروط، هذا ما تشي به آراء المفسرين للآية الكريمة[5]. وربما يقال: إنَّ ما زعموه من البنوة هنا ليست البنوة الحقيقية، وإنَّما هي بنوة الرحمة، وهو

---

(1) سورة البقرة، مِنَ الآية٩٣.

(2) محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، ط٦، دار الجيل، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، المجلد الأول، ص٥٤.

(3) سورة المائدة، مِنَ الآية١٨.

(4) سورة البقرة، آية٤٧.

(5) سيد قطب (ت ١٩٦٦م)، في ظلال القرآن، ط١٢، دار العلم للطباعة والنشر، جدَّة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، المجلد الأول، ص٥٨.

انظر: محمد جواد مغنيّة، التفسير الكاشف، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، المجلد الأول، ص٩٥-٩٦.

وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، المجلد الأول، ص١٥٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ضرب من التجوز في التعبير، قلت: قد يكون ذلك، غير أنَّ اليهود زعموا البنوة الحقيقية لله من قبل عزير نبي الله، يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[1].

وعلى فرض أنَّ البنوة هي بنوة الرحمة، فإنَّها تقتضي منهم أنْ يؤمنوا بالله حق الإيمان وألاَّ يخالفوا عن أمره في أي شأن يريده سبحانه. لكنهم كذبوا عليه، وقتلوا أنبياءه، ونقضوا عهده، وأنكروا كتبه، وألبسوا الحق بالباطل، بل شتموه أيضاً.

فأمَّا كذبهم على الله: فقد نسبوا إليه الولد زوراً وبهتاناً، يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[2]. وزعموا أنَّ النار لن تمسهم بعذاب، وأنَّ الجنة اقتصرت عليهم، وكأنَّهم اتخذوا من الله على ذلك عهداً[3]، يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾[4].

فأنت ترى أنَّ الآية قد ختمت بقوله: ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ إشارةً إلى أنَّ قولتهم هذه فرية وكذب على الله. وقد رد عليهم القرآن قي ذلك، إذ قال: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[5].

---

[1] سورة التوبة، مِنَ الآية٣٠.

[2] سورة التوبة، مِنَ الآية٣٠.

[3] صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن: تاريخ وسمات ومصير، دار القلم، دمشق، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، سلسلة من كنوز القرآن، عدد٣، ص١٣٨.

[4] سورة آل عمران، آية٢٤.

[5] سورة البقرة، آية٨٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهو كذب على الله بأنَّه أعطاهم في ذلك عهداً، أو أنَّه تقوّل على الله بغير علم، يقول تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

واليهود لا يقدّرون الله حق قدره، يقول تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ﴾[2].

وهم يزكُّون أنفسهم افتراءً على الله، يقول تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا * ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا *﴾[3].

وقد بلغ بهم الأمر أنْ شتموا الله – عزوجل– وزعموا أنَّه فقير، وأنَّهم هم الأغنياء. وأنَّه يستجديهم ليقترض منهم[4]، يقول تعالى: ﴿لَقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾[5].

وقد قتل اليهود أنبياءهم، واستباحوا دماءهم. فصار ذلك الفعل سنةً سيئةً جاليةً فيهم، إذ يستخفون بدماء الناس، ولا يقيمون لها وزناً. ودليل ذلك ما يفعلونه اليوم بأهل فلسطين، يقول تعالى:

---

[1] سورة البقرة، آية٨١.

[2] سورة الأنعام، منَ الآية٩١.

[3] سورة النساء، آية٤٩– ٥٠.

[4] أشار عباس محمود العقاد في كتابه (عبقرية الصديق) إلى قصة فنحاص، الذي استهزئ بالله وبالنبي، يقول: (وجاء له أي: (لأبي بكر) رجل منْ أحبار اليهود اسمه فنحاص في الآية: ﴿ مَنْ ذا الذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كثيرةً﴾، فقال فنحاص مُسْتهزئاً بالله والنبي:" لو كان عِنَّا غنيّاً ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم. ينهاكم عن الربا ويعطيناه!". انظر: عباس محمود العقاد، عبقرية الصديق، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٩م، ص٣٩.

[5] سورة آل عمران، منَ الآية١٨١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3].

واليهود من عادتهم أنْ يلبسوا الحق بالباطل، بل ينكرون الحق أصلاً، ويبتدعون من تلقاء أنفسهم كلاماً يلبسون به على الناس حتى يظنوا أنَّه كلام الله. وقد نهاهم الله عن ذلك، وحذَّرهم في غير آية من القرآن[4]، يقول تعالى: ﴿وَلا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا[7] بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ﴾[8]،

---

(1) سورة البقرة، منَ الآية٩١.

(2) سورة البقرة، منَ الآية٦١.

(3) سورة آل عمران، آية٢١.

(4) صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية منْ خلال القرآن، ص١٩١.

(5) سورة البقرة، آية٤٢.

(6) سورة البقرة، آية٧٩.

(7) راعِنا: سبٌّ منَ اليهود للرسول ﷺ.
ليًّا: انحرافاً إلى جانب السُّوء.

(8) سورة النساء، منَ الآية٤٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾[1].

وهم قوم يتظاهرون بالإيمان بما أنزل الله لكنهم يكفرون بسائر الكتب المنزلة، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾[2]. وهم أكلة الربا والسحت[3]، يقول تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[4]. ولا يكتفون بالاعتداء على الناس بأكل أموالهم، وظلمهم، بل يتجاوزون ذلك إلى إيقاع الفتنة فيما بينهم، وإشعال جذوة الحروب بينهم، يقول تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾[5].

ولا يتردد اليهود في معاداة أهل الحق، وتقديم أهل الباطل عليهم. فهم أشدُّ الناس عداوةً للمؤمنين، يقول تعالى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾[6]. ويزعمون أن عبدة الأوثان هم أهدى سبيلاً من الموحدين، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ

---

[1] سورة الأنعام، مِنَ الآية٩١.

[2] سورة البقرة، مِنَ الآية٩١.

[3] السحت: المال الحرام.

[4] سورة النساء، آية١٦٠-١٦١.

[5] سورة المائدة، مِنَ الآية٦٤.

[6] سورة المائدة، مِنَ الآية٨٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً﴾[1]. وهم يفعلون كلَّ ذلك حسداً من عند أنفسهم على ما آتى الله المؤمنين من الحق، يقول تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[2]. وبسبب هذا الحسد يودون لو أنَّ المؤمنين يرتدون عن إيمانهم بالله[3]، يقول تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾[4].

وبالجملة فإن اليهود فيما يصوره النص القرآني قوم يفتقرون إلى الدين وإلى منظومة القيم والأخلاق وأصول المعاملات الحسنة؛ لذا أمر الله المؤمنين بمتاركة ولائهم، ونهاهم عن اتباعهم، بل أمر المؤمنين بقتالهم صيانةً للإنسانية، وحفاظاً على واقع الأمم ومستقبلها، يقول تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾[5].

أمَّا حديثنا عن الصالحين من اليهود، فنقصد منه من أسلم، وأصبح حَبراً في الإسلام، كما كان هو حَبراً في اليهودية دينه السابق. ومن بينهم عبدالله بن سلام، ومُخيريق الذي أوصى بكلِّ ماله للرسول

---

[1] سورة النساء، آية٥١.

[2] سورة البقرة، مِنَ الآية١٠٥.

[3] صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، ص٢٠٣.

[4] سورة البقرة، مِنَ الآية١٠٩.

[5] سورة التوبة، مِنَ الآية٢٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

ﷺ إذا قتل في المعركة، وهي معركة أحد[1]، يقول تعالى: ﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[2].

والقرآن حين وصف بني إسرائيل بهذه الأوصاف لم يفتر عليهم، ولم يقل عنهم ما ليس فيهم. وأخيراً، فإنَّ المقام يضيق عن استقصاء كل معالم الشخصية اليهودية التي وصفها القرآن في آياته، ولكن ما لا يدرك كلُّه لا يترك جلُّه.

رابعاً- صورة اليهودي في الأدب العربي:

لم تكن صورة اليهود حاضرةً في الأدب العربي شعراً ونثراً كحضورها فيه في القرن العشرين. ولعلَّ السبب في ذلك راجع إلى أن اليهود لم يكونوا شاهدين في مسرح الأحداث كما هم في هذا الزمان، فقد كانوا في العصور الأولى مشرذمين في الأرض كلها لا يلتقون على كلمة سواء، ولا يجمعهم اسم دولة، ولا مفهوم أمة، بل كانت ولاءاتهم متباينة، واهتماماتهم مختلفة، وهذا هو السبب الذي دفعهم إلى أن يختصوا أنفسهم بطابع معين في الحياة: فقد كانوا متحصنين في حصونهم على أنفسهم، ولا يعيشون في الفضاء الرحب كغيرهم؛ إذ هم أشد من غيرهم حذراً واتقاءً. وكان لهم نوع خاص من العمل: فهم أهل الزراعة والتجارة؛ وذلك أضمن – في رأيهم- للربح الوفير.

---

[1] انظر: ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ)، السيرة النبوية، تقديم طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٤هـ/١٩٧٥م، المجلد الثاني، ص١١٨- ١١٩.

[2] سورة آل عمران، آية١١٣- ١١٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يقول جوستاف لوبون[١] عن اليهود: "وبنو إسرائيل ظلوا قوماً من الزراع والرعاة فقط. فانحصر عملهم في تربية المواشي وزراعة القمح والتين، والزيتون والعنب على الدوام"[٢].

وقد أطلعت على طائفة ليست بقليلة من كتب الأدب شعراً ونثراً للقدماء والمتأخرين فلم أجد فيها احتفالاً بذكر صورة اليهود، سوى ما كان من بعض المقطوعات الأدبية التي تمثِّل وضوحاً في الحديث عن اليهود. فقد ورد ذكر اليهود في الشعر الجاهلي عند امرئ القيس، إذ قال:[٣]

فَعزَّيتُ نفسي حينَ بَانُوا بجَسرَةٍ[٤] أَمونٍ كَبُنيَانِ اليهوديِّ خَيفَقُ[٥]

فالشاعر أراد إظهار تشبيه ناقته في طولها وثباتها ببنيان يهودي. ولعلَّه أراد به حصن "الأبلق" للسموءل[٦]. وهو أمر مشعر بما استقر في نفسه مما كان عليه اليهود من التحصن وراء الجدر العالية والمتينة. وهذا يشي بنفسية القوم الحريصة على الحياة، الخائفة من كلِّ شيء، الحذرة من أيِّ أحد.

وأشار الأعشى في درج قصيدة له إلى هذا المعنى حين ذكر حصن الأبلق للسموءل، فقال يمدح المحلق بن حنتم بن شداد بن ربيعة:[٧]

---

[١] جوستاف لوبون: مؤرخ فرنسي مشهور، ولد عام ١٨٤١م، عُني بالحضارات الشرقية، ومِنْ آثاره: حضارة العرب، باريس ١٨٨٤م، الحضارة المصرية، حضارة العرب في الأندلس، الدين والحياة. انظر: جوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، دراسة وتعليق وتقديم محمود البحيري، مكتبة النافذة، الجيزة– مصر، ٢٠٠٩م، ص٣.

[٢] المرجع نفسه، ص٦٦.

[٣] امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس (ت١٣٠ ق.هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٨م، سلسلة ذخائر العرب، عدد٢٤، ص١٦٩.

[٤] الجَسرة: الجَسْر العظيم مِنَ الإبل وغيرها، والجَسْر كُلُّ عضو ضخم. انظر: المصدر نفسه، الجزء الثاني، مادة (جَسَرَ).

[٥] الخيفق: الطويلة. انظر: المصدر نفسه، الجزء الرابع، مادة (خَفَقَ).

[٦] السموءل: يهودي كان ينزل في "تيماء" ببادية الشام. روي أنَّ امرأ القيس أودع عنده دروعه وسلاحه قبل أنْ يقصد إِلَى قيصر في رحلته. فجاءه الحارث الغساني ليأخذ الوديعة، ولكنَّ الأعشى امتنع، واختار قتل ابنه، الذي اتخذه الحارث رهينة، على أنْ يعطيه ما أؤتمن عليه. انظر: الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس ت ٧هـ)، شرح محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٢٢٨.

[٧] الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، ديوان الأعشى الكبير، ص٢٦٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَلا عَادِيَا لَمْ يَمْنَعِ المَوْتَ مَالُهُ وَحِصْنٌ بِتَيْمَاءِ اليَهُــوديِّ أَبْلَقُ
بَنَاهُ سُلَيْمَانُ بنُ دَاوُودَ حِقْبَةً لَهُ أَزَجٌ[1] عَالٍ وَطَيٌّ مُوَثَّقُ
يُوَازِي كَبَيْدَاءَ السَّمَاءِ ودُونَهُ بَلاطٌ وَدَاراتٌ[2] وَكِلْسٌ وَخَنْدَقُ

فقد وصف الحصن (الأبلق) بالرسوخ والعلو والمتانة. ولعلَّ هذا التحصن والحرص والتخوف هو شأن اليهود في كل زمان ومكان. وقال الأعشى عن وفاء السموءل، الذي كان يضرب به المثل في وفائه:[3]

كُنْ كالسموءَلِ إذا سارَ الهُمامُ[4] لَهُ في جَحْفَلٍ كَسَوادِ الليلِ جَرَّارِ

...

فقالَ ثُكْلٌ وغَدْرٌ أنتَ بَيْنَهُما فاخْتَرْ ومَا فِيهما حَظٌّ لِمُختارِ
فشكَّ غَيْرَ قليلٍ ثُمَّ قالَ لَهُ اذْبحْ هَدِيَّكَ[5] إنِي مَانعٌ جَارِي

...

وقالَ لا أشتري عاراً بِمَكْرُمَةٍ فاختارَ مَكْرُمَةَ الدُّنيا على العارِ

وقد عرف اليهود بالتجارة بين بلاد العرب والعجم، وخاصة تجارة الخمور؛ إذ هي تجارة رابحة، تدر عليهم الربح الوفير غير آبهين بما في ديانتهم من التحريم لها. وكان الأمر مشتهراً حتى قال فيه المرقش الأصغر:[6]

---

(١) الأزج: ضرب منَ الأبنية يبنى طولاً. وأزج البناء علاه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء السادس، مادة (زَجَجَ).
(٢) الدارة: ما أحاط بالشيء. انظر: المصدر نفسه، الجزء الرابع، مادة (دَوَرَ).
(٣) انظر: الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، ديوان الأعشى الكبير، ص٢٢٩- ٢٣١.
(٤) الهُمام: هو الحارث بن أبي شمر الغساني، أو الحارث بن ظالم على خلاف بين الرواة.
(٥) الهدي: الأسير. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الخامس عشر، مادة (هَدَيَ).
(٦) المرقش الأكبر والمرقش الأصغر، ديوان المرقشين: المرقش الأكبر (عمرو بن سعد المتوفى عام ٥٧ ق.هـ) والمرقش الأصغر (عمرو بن حَرمَله المتوفى عام ٥٠ ق.هـ)، تحقيق كارين صادر، دار صادر، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٨٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وَمَا قَهوَةٌ صَهبَاءُ كَالمِسـكِ ريحُهَا تُعلَّى على النَّاجُودِ طَوراً وَتَقْدَحُ[1]
ثَوتْ في سباءِ الدَّنِّ [2] عشْرِينَ حِجَّةً يُطانُ عليها قَرْمَدٌ وتُرَوَّحُ[3]
سَبَاها[4] رِجالٌ مِنْ يهودَ تَبَاعَدُوا لجيلانِ[5] يُدنيها مِنَ السُّوقِ مُرْبِحُ

وفي شعر عروة بن الورد ما يدل على أنَّ الجاهليين لم يخف عليهم تحريف اليهود لدينهم وابتداعهم مفرداته من تلقاء أنفسهم، يقول:[6]

وَقَالُوا احْبُ وانْهَقْ لا تُضيرُكَ خَيْبَرُ وَذَلِكَ مِنْ دِينِ اليَهُودِ وُلُوعُ
لَعَمْرِي لَئِن عَشَّرْتَ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى نُهَاقُ الحَمِيرِ إِنني لَجَزُوعُ[7]
فَلا وَالتْ تِلْكَ النُّفوسُ ولا أَتتْ على رَوْضَةِ الأجدَادِ[8] وهي جميعُ

فقد ساد الاعتقاد عند القوم بأنَّ الرجل إذا دخل أرض خيبر حابياً ناهقاً كالحمير فلن يُصاب بالضر أبداً ما دام فيها، ونسب الشاعر ذلك الاعتقاد إلى أنَّه من جملة دين اليهود. غير أنَّ شاعرنا – على جاهليته– كان متيقِّظاً لمثل هذه الترهات فلم يُلق لها بالاً، بل كان منها ساخراً. وقد يكون للجاهليين شعر في ذكر اليهود بحيث يكشف لنا صورةً أرحب عن معالم شخصيتهم، لكنني لم أصل إليه.

---

(1) القهوة: سميت بذلك لأنَّها تُقّهي شاربها عن الطعام، أي تَذهب بشهوته. وفي التهذيب أي: تُشبعه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الحادي عشر، مادة (قَهَا).
الصهباء: الشقراء. انظر: المصدر نفسه، الجزء السابع، مادة (صَهَبَ).
تُعلَّى: تُرفع. انظر: المصدر نفسه، الجزء التاسع، مادة (عَلا).
النَّاجُود: المصفاة. أول ما يخرج من الخمر، إذا بُزلَ عنها الدَّنُّ. انظر: المصدر نفسه، الجزء الرابع عشر، مادة (نَجَدَ).
تَقْدَح: تُغرف بالقدح. انظر: المصدر نفسه، الجزء الحادي عشر، مادة (قَدَحَ).
(2) سَبَاء الدَّنّ: حصاره وأسره. انظر: المصدر نفسه، الجزء السادس، مادة (سَبَيَ).
(3) يُطان: يُطلى. انظر: المصدر نفسه، الثامن، مادة (طَيَنَ).
القَرْمَد: كلُّ ما يُطلى به للزينة كالزعفران والجصّ. انظر: المصدر نفسه، الجزء الحادي عشر، مادة (قَرْمَدَ).
(4) السباء: اشتراء الخمر. انظر: المصدر نفسه، الجزء السادس، مادة (سَبَيَ).
(5) جيلان: بلد من بلاد العجم. انظر: المصدر نفسه، الجزء الثاني، مادة (جَيَلَ).
(6) عروة بن الورد، ديوان عروة بن الورد (ت ٣٠ ق.هـ)، شَرَحَه وضَبَطَ نصوصَه وقدم له عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٥٩.
(7) عشّرت: نهق عشرة أصوات متواليات. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء التاسع، مادة (عَشَرَ).
الجزوع: المشفق والكثير الجزع، ضد الصبور على الشر. انظر: المصدر نفسه، الجزء الثاني، مادة (جَزَعَ).
(8) لا والت: لا نجت. انظر: المصدر نفسه، الجزء الخامس عشر، مادة (وَالَ).
الأجداد: أرض لبني مُرّة وأشجع وفزارة. انظر: المصدر نفسه، الجزء الثاني، مادة (جَدَدَ).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الإسلامي وجدنا شاعرين اثنين كانا من أبرز الشعراء حول الرسول ﷺ يذودان عنه وعن الدعوة الإسلامية. ولما كان اليهود من جملة أعداء هذا الدين الذين كادوا له، وتآمروا عليه فقد كان طبيعياً أنْ يجعلهم الشعراء مرمى سهامهم، ومحل هجائهم، أو ميداناً لذكر سيئ أوصافهم. ولا شكَّ في أنَّ الشعراء في صدر الإسلام قد تأثَّروا بالكتاب والسنة في موقفهم من اليهود، يضاف إلى ذلك ما عرفوه من خلائق اليهود قبل الإسلام وبعده من خلال معاشرتهم والتواصل معهم.

فهذا حسان بن ثابت المخضرم يُشير في بعض شعره إلى أنَّ اليهود ضيعوا الكتاب الذي أوتوه، وكفروا بما وراءه من القرآن الذي نزل على محمد رسول الله ﷺ. ويبيِّن أنَّهم نصروا عبدة الأوثان على عباد الرحمن؛ إذ ناصروا قريشاً على رسول الله ﷺ، قال:[1]

تَفَاقَدَ[2] مَعْشَرٌ نَصَرُوا قُرَيشاً ... وَلَيْسَ لَهُمْ بِبَلْدَتِهِمْ نَصِيرُ
هُمْ أُوتُــوا الكِتَابَ فَضَيَّعُوهُ ... فَهُمْ عميٌ مِنَ التورَاةِ بُورُ[3]
كَفَرْتُمْ بِالقُرْانِ[4] وَقَدْ أُتِيتُمْ ... بِتَصْدِيقِ الذي قَالَ النَّذِيرُ

وقد عرف اليهود بنقضهم للعهود والمواثيق- كما أسلفنا- وخاصة في عهد رسول الله محمد ﷺ، فقال حسان بن ثابت ناعياً[5] هذا الخلق السيئ عليهم:[6]

فَمَا بَرِحُوا بِنَقْضِ العَهدِ حتّى ... غَزاهُمْ في دِيَارِهِم الرَّسُولُ

وذكر كعب بن مالك الأنصاري اليهود أيضاً، حيث أشار إلى الجزاء الذي نالهم نتيجة غدرهم:[7]

---

[1] حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت الأنصاري (ت ٥٠ هـ)، تقديم وشرح وتعليق أحمد الفاضل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، سلسلة دواوين العرب، ص١٠٩.

[2] تفاقد: فقد بعضهم بعضاً. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء العاشر، مادة (فَقَدَ).

[3] بُور: ضلال أو هلاك. انظر: المصدر نفسه، الجزء الثاني، مادة (بَوَرَ).

[4] لو وضعت كلمة (القرآن) بالمد لانكسر وزن البيت (بحر الوافر).

[5] ناعياً: مُشْهِراً ومُظْهِراً. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الرابع عشر، مادة (نَعَا).

[6] حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ص١٨٤.

[7] كعب بن مالك الأنصاري، ديوان كعب بن مالك الأنصاري (ت ٥٠هـ)، دراسة وتحقيق سامي مكي العاني، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م، ص٢٠٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لَقَدْ خَزِيت بِغَدْرَتِها الحُبورُ[1] كذاكَ الدَّهْرُ ذُو صَرَفٍ يَدُورُ
وذلكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بربٍّ عَزِيزٍ أَمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيرُ
وقَدْ أُوتُوا مَعاً فَهْمَاً وَعِلْمَاً وَجَاءَهُمْ مِنَ اللهِ النَذِيرُ
نَذِيرٌ صَادِقٌ أدَّى كِتَاباً وآياتٍ مُبيَّنَةً تُثِيرُ
فَقَالوا ما أُتيتَ بأَمْرِ صِدْقٍ وآياتٍ مُبيَّنةٍ تُنيرُ
فَقَالَ بلى لقد أَديتُ حَقَّاً يُصدِّقني بِهِ الفَهِمُ الخَبِيرُ

وفي هذه الأبيات ما يشير إلى كفر اليهود بالله ورسله ونعمه الكثيرة عليهم. ولكثرة ما كانوا يتصفون به من الكفر والجحود والغدر وعدم تصديقهم النبي المرسل إليهم، ففي كلِّ مرة يرسل فيها الله تعالى نبياً لبني إسرائيل كانوا يكذِّبونه، ويحاولون قتله – كما أشرت في حديثي السابق عن صورة اليهود في القرآن الكريم– وفي هذه الحالة نرى أنَّ كثرة الأنبياء والرسل الذين أرسلوا إلى بني إسرائيل لم يكن من باب النعم لكونهم شعب الله المختار – كما يعتقدون– وإنَّما كان لتحجر عقولهم وقلوبهم، ولصعوبة دخول الإيمان إليها.

ولم يكن الشعر الفن الوحيد الذي تحدث عن اليهود، وصورهم وعبر عن نفسياتهم فحسب، بل هناك النثر بكلِّ فنونه وضروبه (الخطابة، الرسائل...إلخ). فها هو رسول الله ﷺ يكتب رسالةً إلى يهود خيبر، يقول فيها:

"بسم الله الرحمن الرحيم، مِنْ محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه، المُصدِّق لِمَا جاء بِهِ موسى: ألا إنَّ الله قد قَالَ لكم، يَا مَعْشَر أَهْل التَّوراةِ، وَإِنَّكُم تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُم: ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾[2]. وإِنِّي أُنْشِدُكُمْ بِاللهِ، وَأُنْشِدُكُمْ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيكُم، وَأُنْشِدُكُمْ بِالَّذِي أَطْعَمَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم مِنْ أَسْبَاطِكُم المَنَّ والسلوى، وَأُنْشِدُكُمْ بِالَّذِي أَيْبَسَ البحرَ لآبَائِكُمْ حَتَّى أَنْجَاهُم مِنْ فِرْعَونَ وَعَمَلِهِ إِلاَّ

---

[1] الحُبور: علماء اليهود. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثالث، مادة (حَبَرَ).

[2] سورة الفتح، مِنَ الآية٢٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أَخْبِرْتُمُونِي هَلْ تَجِدُونَ فِيمَا أُنْزِلَ عَلَيكُم أَنْ تُؤْمِنُوا بِمُحَمَدْ؟ فَإِنْ كُنْتُمْ لا تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُم فَلا كُرْهَ عَلَيكُم ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾[1] فَأَدعُوكُم إِلَى اللهِ وَإِلَى نَبِيِّهِ"[2].

وفي العصر الأموي تطرق بعض الشعراء للحديث عن اليهود في درج قصائدهم، على الرغم من كون شعر هذا العصر قد اشتهر بالحديث عن تجارب الحب التي كانوا يعيشونها، وكل ما فيه من شوق وبعد وحرمان. ومن بين الشعراء الذين أشاروا إلى اليهود الفرزدق الذي قال في إحدى قصائده:[3]

كَانَ اليَهُودُ مَعَ الدَّيانِ دِينَهمْ ودِينُهمْ كَانَ شَرَّ الدِّينِ في الزمَنِ

وفي قصيدة أخرى في مدح سليمان بن عبد الملك، تحدث عن وفاء السموءل – مشيراً إلى القصة نفسها التي تعرضت للحديث عنها في شعر الأعشى– قال الفرزدق:[4]

وفاءَ أخي تيماءَ[5] إذ هو مُشرِفٌ يُنَادِيهِ مَغلولاً فتى غيرُ جأنَبِ

أَبُوهُ الّذي قالَ: اقتُلُوهُ، فإنّني سَأَمْنَعُ عِرْضي أَنْ يُسَبَّ به أبي

وفي العصر العباسي هناك من الشعراء من ذكر اليهود في شعره، ومن بينهم أبو العلاء المعري، حيث قال:[6]

فَقَدْ كَذَّبتْ على عِيسى النَّصَارى كَمَا كَذَّبتْ على مُوسَى اليَهُودُ[7]

---

[1] سورة البقرة، منَ الآية٢٥٦.

[2] ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ)، السيرة النبوية، تعليق طه عبد الرءوف، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٠م، المجلد الأول، ص١٣٨.

[3] الفرزدق: همام بن غالب (ت ١١٠هـ)، ديوان الفرزدق، شرح عمر فاروق الطبّاع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٦٩٤.

[4] انظر: الفرزدق: همام بن غالب (ت ١١٠هـ)، ديوان الفرزدق، ص٤٥– ٤٦.

[5] أخو تيماء: هو السموءل بن عاديا.

[6] المعري: أبو العلاء (ت ٤٤٩هـ)، لزوم ما لا يلزم، شرح نديم عَدِي، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٦م، المجلد الأول، ص٤٤١.

[7] كذبت النصارى على عيسى عليه السلام فقالوا: هو الله أو ابنه، وكذبت اليهود على موسى عليه السلام فقالوا: عجل الذهب إلهه وإلهنا.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وفي البيت إشارة إلى كذب اليهود على نبيهم موسى عليه السلام في قصة صنع العجل، حيث قالوا: إنَّ الذي صنع لهم العجل هو أخوه هارون عليه السلام، وليس السامري.

وذكرهم الشاعر في موضع آخر، مهاجماً، واصفاً إياهم بالمحتالين، حيث قال:[1]

ولا تُطيعَنَّ قَوماً ما ديانَتُهمْ إلاَّ احْتِيالٌ على أَخْـذِ الإتاواتِ[2]
وإنَّمَا حَمَـلَ التَّوراةَ قَارئها كَسبِ الفَوائدِ لا أَخْذِ التلاواتِ[3]

يشير الشاعر كيف أنَّ اليهود انحرفوا عن الدين. ومن خلال هذا الهجوم نلاحظ أنَّ شاعرنا لم يكن على وفاق مع اليهود في أيِّ أمر دنيوي أو ديني[4].

ولم يكن هذا الشاعر بعيداً عما لاقاه محمد ﷺ من محاولات القتل على يد اليهود. ومن بين تلك المحاولات، محاولة امرأة يهودية قتل النبي محمد ﷺ بالسم، فيقول المعري[5]:

ومُحمّدٌ، وهو المُنبَّأُ، يَشتكي لمكانِ أكلَتِهِ انقِطاعَ الأبْهر[6]

وفي البيت السابق إشارة إلى قصة النبي ﷺ مع اليهودية[7] التي دسَّت له السم في ذراع شاة وأهدته إياها. ومات أحد الصحابة؛ لأكله منها. ولكن النبي ﷺ لم يأكل إلاَّ لقمة ولفظها[8].

---

(1) المعري: أبو العلاء (ت ٤٤٩هـ)، لزوم ما لا يلزم، المجلد الأول، ص٢٨٢.

(2) لا تطع قوماً ديانتهم الاحتيال لجمع الإتاوات وهي الرشاوي أو الخراج.

(3) حفظ القارئ التوراة لكسب الفوائد لا محبة بتلاوتها. وفي البيت إشارة إلَى قوله تعالى: ﴿مثلُ الذينَ حُمِّلُوا التوراةَ ثُمَّ لمْ يَحْمِلُوها كمثلِ الحِمارِ يحملُ أسفاراً﴾.

(4) عبد القادر زيدان، قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١٦٣.

(5) المعري: أبو العلاء (ت ٤٤٩هـ)، لزوم ما لا يلزم، المجلد الثاني، ص٧٦٣.

(6) الأبهر: هو عرق في الظهر، يقال هو الوريد في العنق، وبعضهم يجعله عرقاً مُستبطن الصلب. والأبهر عرق إذَا انقطع مات صاحبه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الأول، مادة (بَهَرَ).

(7) يشار إلَى أنَّ تلك اليهودية هي زينب زوجة سالم بن المشك النضري. انظر: س. ناجي، المفسدون في الأرض: جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ، ط٢، العربي للإعلان والنشر والطباعة، دمشق، ١٩٧٣م، ص١٢٥-١٢٦.

(8) المعري: أبو العلاء (ت ٤٤٩هـ)، لزوم ما لا يلزم، المجلد الثاني، ص٧٦٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأشار الجاحظ إلى اليهود في إحدى رسائله، وهي رسالة الردّ على النصارى للجاحظ، حيث يقول:" أولُ ذلك أنَّ اليهودَ كانُوا جيرانَ المسلمين بيثرب وغيرها، وعداوة الجيران شبيهة بعداوة الأقارب في شدةِ التمكنِ وثباتِ الحقد، وإنَّما يعادي الإنسانُ مَنْ يعرف، ويميلُ عَلَى مَنْ يرى، ويناقضُ مَنْ يشاكل، ويبدو لَهُ عيوب مَنْ يُخالط. وعَلَى قدرِ الحبِّ والقربِ يكونُ البغضُ والبعدُ، ولذلك كَانَتْ حروبُ الجيرانِ وبني الأعمام مِنْ سائرِ النَّاسِ وسائرِ العربِ أطولَ، وعداوتُهم أشدّ"[1].

ثُمَّ أشار إلى مدى غلظة قلوب اليهود وقسوتها، فيقول: "فلمَّا صارَ المهاجرون لليهودِ جيراناً، وقَدْ كَانَتِ الأنصارُ متقدمةَ الجوارِ، مشاركةً في الدارِ، حسدتهم اليهودُ عَلَى النعمةِ فِي الدِّينِ، والاجتماعِ بَعْدَ الافتراق، والتواصلِ بعد التقاطعِ... فجمعوا كيدَهم، وبذلُوا أنفسَهم وأموالَهم فِي قتالِهم، وإخراجِهم مِنْ ديارِهم، وطَالَ ذَلِكَ واستفاضَ فيهم..."[2].

ومن الرسائل أيضاً: رسالة أبي الربيع محمد بن الليث التي كتبها من هارون الرشيد إلى قسطنطين السادس ملك الروم، التي تحدث فيها عن إنكار اليهود لمجيء محمد ﷺ، حيث يقول فيها: " ومِنْ أبين آياته وأول علاماته ﷺ، ووسَّع له فيما صدر إِلَيه أَنَّه لَمَّا أخبرت النصارى واليهود أَنَّهم لَمْ يجدوا محمداً ﷺ في التَّوراة والإنجيل موصوفاً مكتوباً، جمعت العلماء مِنْهم، وتدارست الكتبَ فيما بينهم، فلَمَّا نظروا إِلَى اسمه، وعاينوه بنعته، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ويستفتحون بذكره على مَنْ سواهم، كفرت طائفة حسداً مِنْ عند أنفسهم، وجحداً مِنْ بعد ما تبيَّن لها، وآمنت طائفة، تصديقاً بكتابها، وخوفاً مِنْ ربها"[3].

---

[1] الجاحظ: عمرو بن بحر، أبو عثمان (ت٢٥٥هـ)، رسائل الجاحظ: الرسائل الكلامية كشاف آثار الجاحظ، شرح علي أبو ملحم، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٥٨.

[2] الجاحظ، رسائل الجاحظ: الرسائل الكلامية كشاف آثار الجاحظ، ص٢٥٨.

[3] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة: الشطر الأول مِنْ رسائل العصر العباسي الأول، وهي تحوي رسائل العباسيين من أول خلافة السفاح إِلَى آخر خلافة المأمون، المكتبة العلمية، بيروت، المجلد الثالث، ص٢٥٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الأندلسي سنجد أنَّ اليهود كانوا يعيشون في ترفٍ ورخاء، حتى أنَّهم تسلَّطوا على الناس والحكم، وهذا ما أثار البغض والكره في نفوس الأندلسيين[١]، وكان من بينهم الشاعر أبو إسحاق الإلبيري[٢]، فنظم قصيدةً فيهم، مشيراً إلى مدى تسلطهم وتحكمهم بالناس، ومذكِّراً فيها باديس بحكم الله في اتخاذه ابن النغريلة من دون المؤمنين، فقال:[٣]

تَخَيَّرَ كَاتِبَهُ كَافِرَا ... وَلَو شَاءَ كَانَ مِنَ المُسْلِمِينْ
فَعَزَّ اليهودُ بهِ وانْتَخُوا[٤] ... وتَاهُوا وكَانُوا مِنَ الأَرْذَلِينْ
وَنَالُوا مُنَاهُمْ وجَازُوا المَدَى ... فَحَانَ الهَلاكُ ومَا يَشْعُرُونْ

ثم أشار إلى فسقهم، وكيف أنَّهم لا يمكن أن يعيشوا على أيِّ أرض بسلام، فقال:[٥]

وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ في وَحْيِـهِ ... يُحَذِّرُ عنْ صُحْبَةِ الفَاسِقِين
فلا تَتَّخِذْ مِنْهُـمْ خَادِمَا ... وَذَرْهُمْ إِلَـى لَعْنَةِ اللاعِنِين
فَقَدْ ضَجَّت الأرضُ مِنْ فِسْقِهِمْ ... وكَادت تَمِيدُ بِنَا أَجْمَعِين

ولابن حزم الأندلسي رسالة في الردِّ على الوزير اليهودي ابن النغريلة، وفيها يردُّ على طعنه بما جاء من ادعاءات على آيات من القرآن الكريم تعنيفاً. وقد قسَّم ابن حزم رسالته إلى مجموعة من الفصول، في كل فصل يتعرض للحديث عن آية معينة طعن ابن النغريلة فيها، وهي ثماني آيات. وفي كلِّ فصل يدرج رأي ابن النغريلة، ثم يدحض ابن حزم هذا الرأي. فمثلاً، يذكر لنا ابن حزم ما اعترض به هذا الزنديق المتستر باليهودية على القرآن بزعمه: " أَنْ ذكرَ قولَ الله عزوجل: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ

---

(١) إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م، ص١٤٦.

(٢) أبو إسحاق الإلبيري: صاحب الدعوة إلى ثورة صنهاجة ضد تسلط اليهود بعامة وابن النغريلة بصورة خاصة في شؤون الدولة. وكانت قصيدته التي اذكت نار الثورة يومئذٍ. انظر: إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص١٤٦.

(٣) أبو إسحاق الإلبيري الأندلسي، ديوان أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق محمد رضوان الداية، ط٢، دار قتيبة، (د.م)، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، سلسلة دراسات أندلسية، عدد٧، ص٨٩.

(٤) انتخى: افتخر وتعاظم. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الرابع عشر، مادة (نَخَا).

(٥) أبو إسحاق الإلبيري الأندلسي، ديوان أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي، ص٩٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ﴾[1]. قال هذا المائق الجاهل: فأنكر في هذه الآية تقسيم القائلين بأنَّ ما أصابهم مِنْ حسنة فمِنَ الله، وما أصابهم مَنْ سيئة فمن عند محمد، وأخبر أنَّ كلَّ ذلك مِنْ عند الله. قال: ثُمَّ قال في آخر الآية: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[2]. قالَ هَذَا الزنديقُ الجاهلُ: فعَادَ مصوِّباً لقوله ومضاداً لِمَا قَدَّمَ فِي أولِ الآيةِ. قالَ أبو محمد بن حزم: لَوْ كَانَ لهذا الجاهلِ الوقَّاحِ أقل بسطة أو أدنى حظ مِنَ التمييزِ لَمْ يعترضْ بهذا الاعتراضِ الساقطِ الضعيفِ، والآيةُ المذكورةُ مكتفيةٌ بظاهرِها عَنْ تكلُّفِ تأويلٍ، مستغنيةً ببادئ ألفاظِها عَنْ تطلُّبِ وجه لتأليفها، ولكنَّ جهله أعمى بصيرتَه، وطمسَ إدراكَه..."[3].

وفي الفصل السادس، يذكر ابن حزم طعن اليهودي الفاسق بآية أخرى من آيات الله تعالى، فابن النغريلة يذكر قول الله تعالى مخاطباً نبيه محمد ﷺ: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾[4] قال هذا المجنون: فهذا محمد كَانَ فِي شكٍّ مِمَّا ادَّعَاه. قالَ أبو محمد بن حزم:" ... وليعلمْ أَنَّ (إنْ) في هذه الآيةِ لَيْسَتِ الَّتِي بمعنى الشرط، لأنَّ مِنَ المُحالِ العظيمِ الَّذِي لا يتمثلُ في فَهْمِ مَنْ له مسكة أَنْ يكونَ إنساناً يدعو إِلَى دينٍ يقاتلُ عليه وينازعُ فيه أهل الأرضِ ويدينُ بِهِ أهل البلادِ العظيمةِ ثُمَّ يقولُ لهم: إِنِّي في شكٍّ مِمَّا أقاتلكم عليه أيُّها المخالفون ولَسْتُ على يقينٍ مِمَّا أدعوكم إليه وأحققه لكم أَيُّها التابعون... إِلَى مثلِ هذا السخفِ الَّذِي لا يُتَصَوَّرُ إلاَّ فِي مثلِ دماغِ هذا المجنونِ الجاهلِ. وإِنَّما معنى (إنْ) هَا هُنَا الجحد..."[5].

---

[1] سورة النساء، مِنَ الآية٧٨.

[2] سورة النساء، آية٧٩.

[3] ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، رسائل ابن حزم الاندلسي، تحقيق إحسان عباس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧م، الجزء الثاني، ص٤٣.

[4] سورة يونس، مِنَ الآية٩٤.

[5] انظر: ابن حزم، رسائل ابن حزم الاندلسي، الجزء الثاني، ص٥٣- ٥٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وأنهى ابن حزم رسالته بقوله: "قد أوردنا فِي هذا الكتابِ مِنْ شنعِهم أشياءَ تقشعرُ مِنْها الجلودُ، ولولا أَنَّ اللهَ تعالى نصَّ علينا مِنْ كفرِهم ما نصَّ، كقولِه تعالى عنهم: إِنَّهم قالوا: عزيز ابن الله، ويد الله مغلولة، وأَنَّ اللهَ فقيرٌ ونحنُ أغنياءٌ، لمَا استجزنا ذكر مَا يقولُون لشنعتِه وفظاعتِه. ولكنَّنا اقتدينا بكتابِ اللهِ عزَّ وجل فِي بيانِ كفرِهم، والتحذيرِ مِنْهم"[1].

وفي العصر المملوكي، اقتبس البوصيري الشاعر من التَّوراة المحرَّفة قصة لوط مع ابنتيه، وقصة مريم وعيسى عليهما السلام، وقصة صنع هارون عليه السلام العجل لهم، وغيرها من القصص المختلقة، التي ستتضح في هذه الأبيات الشعرية من القصيدة نفسها، قال الشاعر:[2]

لَمْ يَنْتَهُوا عَنْ قَذْفِ داودَ ولا ... لوطٍ فَكَيفَ بِقَذْفِهِمْ رُوبِيلا[3]
وَعَزَوْا إِلَى يَعقُوبَ مِنْ أَولادِهِ ... ذِكْرَاً منَ الفِعلِ القَبيحِ مَهولا
وإِلَى المَسيحِ وأُمِّهِ وكَفَى بها ... صِدِّيقةً حَمَلتْ بِهِ وبُتولا
ولِمَنْ تَعَلَّقَ بِالصَّلِيبِ بِزَعْمِهِمْ ... لعْنَاً يَعُودُ عَلِيهِمُ مَكْفُولا
وَجَنُوا على هارونَ بِالعِجْلِ الذي ... نَسَبُوا لهُ تَصْويرهُ تَضليلا

ثم قال مشيراً إلى قتلهم الأنبياء، وجحدهم نعم الله الكثيرة عليهم:[4]

لا تُكَذِّبْ إِنَّ اليهودَ وقدْ زَا ... غُوا عَنِ الحَقِّ مَعْشَرٌ لُؤمَاءُ
جَحَدُوا المُصطَفى وآمَنَ بالطَّا ... غُوتِ[5] قومٌ هُمْ عندهُمْ شُرفاءُ
قَتلوا الأنبياءَ واتخَذوا العِجْـ ... ـلَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهاءُ

---

[1] ابن حزم، رسائل ابن حزم الاندلسي، الجزء الثاني، ص٧٠.

[2] انظر: البوصيري: أبو عبدالله شرف الدين محمد بن سعيد (ت ٦٩٦هـ)، ديوان البوصيري، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، بيروت، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص١٨٥- ١٨٦.

[3] روبيل: ورد في التَّوراة (العهد القديم) باسم (روأبين)، وهو أحد الأسباط الاثني عشر. انظر: الكتاب المقدس (العهد العتيق)، سِفْرُ التكوين، فصل٣٥، آية٢٢، المجلد الأول، ص٦٤.

[4] البوصيري: أبو عبدالله شرف الدين محمد بن سعيد (ت ٦٩٦هـ)، قصيدة أُمّ القرى في مدح خير الورى ﷺ، تعليق يوسف النبهاني، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، ص٢٣.

[5] الطاغوت: الشيطان وكُلُّ رأس ضلال وكُلُّ ما عُبِد مِنْ دون الله. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثامن، مادة (طَغَى).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَسَقيهِ مَنْ سَاءَهُ المنُّ[1] والسَّلْوى[2] وأَرْضَاهُ الفُومُ[3] والقِثَّاءُ
مُلِئَتْ بِالخَبيثِ مِنْهُمْ بُطُونٌ فَهي نارٌ طِباقُها الأَمْعاءُ

أمَّا في العصر الحديث، فقد وجدت- ولكثرة الأحداث والمواقف التي حدثت في صراعنا مع اليهود- الكثير من الشعراء والأدباء ممن ذكروا اليهود في أدبهم، وتطرَّقوا في درج قصائدهم إلى الحديث عن أفعالهم، التي يقومون بها من أجل تحقيق أهدافهم، وكان من بينهم عبد الغني النابلسي؛ حيث قال في قصيدة "إنَّ النصارى واليهود كلاهما" عن تيه بني إسرائيل:[4]

وكَذا اليهودُ وإنْ تكاثر عَدُّهُمْ فيما مضى لَمْ يبدُ مِنْهُمْ راشِدُ
في أربعينَ مِنَ السنينِ تحيَّروا في مَهْمَهٍ[5] ما قدْرُهُ متزايدُ
لَمْ يقدروا أن يخرجوا مِنْهُ وَهُمْ عددٌ كثيرٌ عِنْ ألوفٍ زائدُ
دَاروا وقدْ رجَعُوا لموضعِ بدئِهِمْ وتناسلوا في تيهِهِمْ وتوالَدوا

وإذا كنت قد أسهبت بعض الشيء في عرض صورة اليهود في الكتب المقدسة وفي الأدب العربي قبل القرن العشرين، فشفيعي في ذلك الرغبة في جعل هذا التمهيد المفتاح لدخولي إلى الشعر العربي لإبراز صورة واضحة لليهود، كما شكَّلها الشعراء العرب في القرن العشرين.

---

(1) المنُّ: الذي كان ينزل على بني إسرائيل، لأنّه كان ينزل عليهم مِنَ السماء عفواً بلا علاج، إنَّما يصبحون وهو بأفنيتهم فيتناولونه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثالث عشر، مادة (مَنَنَ).

(2) السلوى: طير السماني. انظر: المصدر نفسه، الجزء السادس، مادة (سَلاَ).

(3) الفُوم: الثوم. انظر: المصدر نفسه، الجزء العاشر، مادة (فَوَمَ).

(4) عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (ت ١١٤٣هـ/١٧٣١م)، ديوان الحقائق ومجموع الرّقائق، تعليق محمد عبد الخالق الزناتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٧٧.

(5) المَهْمَه: المفازة البعيدة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثالث عشر، مادة (مَهَهَ).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل الأول

صورة اليهودي في الشعر العربي في القرن العشرين: دراسة موضوعية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

توطئة:

يُعدُّ الصراع العربي الإسرائيلي القضية المركزية في تاريخنا الحديث، وهو من أكثر الصراعات تعقيداً؛ من حيث شموله مختلف جوانب الحياة (السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية...إلخ). وقد ظهر هذا الصراع منذ نشوء دولة إسرائيل على أرض فلسطين، حيث مهَّد لقيامها قرار التقسيم الذي صدر عام ١٩٤٧م، والذي نصَّ على تقسيم فلسطين إلى دولتين: عربية، وإسرائيلية.

ففي فلسطين تجري مواجهة بين عالمين مختلفين، فهناك العرب والمسلمون الذين يمثِّلون ثقافةً عريضةً وغنيةً وقديمةً تعوَّدت التسامح والحوار والوضوح، وهناك المحتل الإسرائيلي اليهودي الذي يمثِّل ثقافةً قديمةً صاغتها الخرافات والهواجس والأحلام تعوَّدت تقديس الجماعة وروح الأسلاف، ورأت العالم مقسوماً دون تساو أو تسامح، لا تعترف بالصوت الآخر إلا من حيث إمكانية استغلاله أو استخدامه[١].

وتوالت النكبات التي نزلت بأمتنا العربية منذ تأسيس الحركة الصهيونية، وعقد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧م بزعامة ثيودور هرتزل، الذي هدف إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، حتى حققت الحركة الصهيونية ما كانت ترمي إليه من إقامة دولة لليهود المشتتين في كلِّ بقاع الأرض عام ١٩٤٨م على أرض فلسطين. وبقيام تلك الدولة اتخذ الصراع بين العرب والصهاينة صورة جديدة، تتمثَّل في رفض الدول العربية الاعتراف بتلك الدولة ومقارعتها[٢].

كان الصراع العربي الإسرائيلي محفِّزاً لاهتمام الأدب العربي المعاصر في القرن العشرين برسم صورة اليهودي فيه، خاصة في الشعر، فقد حرَّك هذا الصراع مشاعر الشاعر العربي، لنجده بعد ذلك

---

(١) المتوكل طه، أسئلة الثقافة في القدس والمقاومة والتطبيع، تعقيب صالح أبو أصبع ولؤي عبده، منشورات اتحاد كتاب فلسطين، رام الله، ٢٠٠٩م، ص١٣.

(٢) مجموعة مِنَ المؤلفين، المجتمع العربي والقضية الفلسطينية، تقديم حسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣م، ص٣٩٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ينبه إلى خطرهم وأساليبهم التي استخدموها من أجل الاستيلاء على الأرض، وطرد السكان، وتأسيس دولتهم.

ولتوالي الأحداث والمواقف التي واجهها الشعب الفلسطيني بسبب ذلك الصراع الذي طال أمده، وامتدت خطورته لتحيط بالأمة العربية عامةً، وبالشعب الفلسطيني خاصةً، الذي واجه ذلك الصراع بشكل مباشر؛ نجد أنَّ هذه القضية لم تكن قضية الشعب الفلسطيني فحسب، بل غدت قضية كل العرب والمسلمين، لذا فإننا نرى أنَّ الشاعر العربي، في كلِّ أنحاء الوطن العربي، قد اتخذ من القضية الفلسطينية قضيته المركزية، وموضوعه الأساس في شعره. "وما دامت النكبة عربية وإنسانية، فإنَّ من الطبيعي أنْ تترك أصداءً كثيرة لدى عرب المهجر الذين عرفنا حبهم لوطنهم واهتمامهم بقضاياه. إنَّها هزت قلوب المهاجرين حتى الأعماق، ودفعت الشعراء إلى أنْ يذكروها ويحملوا على مسبيبها"[1].

[1] فريد جحا، العروبة في شعر المهجر، مكتبة رأس بيروت، بيروت، ١٩٦٥م، ص١١١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول

صورة اليهودي العدواني الغادر

عُرف اليهود منذ القدم بأنَّهم غدَّارون وخائنون، وما فعله أبناء سيدنا يعقوب عليه السلام بأخيهم يوسف عليه السلام، يدلُّ على تأصل هذه الصفة في مكنوناتهم، فلقد تآمروا عليه لا لشيء وإنَّما للحسد والحقد، الذي يكنونه تجاه أخيهم بسبب حب والده له[1].

وقد تكرَّرت قصة الغدر والخيانة في عصرنا الحاضر، ولكنَّها هذه المرة طالت الشعب الفلسطيني، ومن أصدق النماذج الشعرية التي عبَّرت عن صفة الغدر التي اتصف بها اليهود، ماجاء به الشاعر (علي صدقي عبد القادر)[2] في قصيدة "حكاية جدة لحفيد" من لوحات شعرية تعبيرية، عرض فيها مشاهد غدر اليهود بالفلسطينيين، معتمداً في عرضه لها على أسلوب القصص، وذلك على شكل حكاية، حيث قال:[3]

في ليلةِ الشِّتاء
تَقصُّ جدةٌ على حفيدِهَا حِكَايةً مِنْ دَم
عَنْ جَارةٍ كَانتْ لَهَا مِنَ اليَّهُود
...
كانتْ إِذَا أَرادتْ استعارةَ الغربال
تَدقُّ مرةً عَلَى الجِدار واحدةً
ومرتين إِنْ أَرادتْ عُلْبَّةَ الوَقيد
وأربعاً للملحِ والتَّوابل
تقول ما تريد جارتي بدقِّها على الجدار
وعِنْدَما وضعتُ خالداً أَباك يا حفيدي

---

[1] محمد عبد السلام أبو النيل، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ص٢٦٧.

[2] ولد في مدينة طرابلس الغرب عام ١٩٢٢م في العهد الإيطالي، وتخرّج من مدرسة أحمد باشا، حصل على دبلوم التعليم وإجازة في المحاماة. قال الشعر وهو في الثالثة عشرة من حياته تقريباً. انظر: كمال قاسم فرهود، موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، مكتبة كل شيء، حيفا، ١٩٩٨م، المجلد الأول، المجلد الثاني، ص٩٦١.

[3] انظر: علي صدقي عبد القادر، ديوان اشتهاء مع وقف التنفيذ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٠م، ص١١١-١١٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أَهدتْ إِليهِ مُصْحَفَ القرآن

كانَ ابنها يُرافقُ الأَطفالَ بالزُّقَاق[1]

كانتْ.. وكانْ.. غَيرَ أَنَّنا بَقينا غافِلين

حتَّى أَقامُوا دولةَ اليَّهود

مِنْ مُجرِمي: (انجلترا) (أميركا)

وبائعي الأفيونِ، والرقيق، والدماء

لِيَسْلُبُونا عِزَةَ الوطن

مِنْ يومِها لَمْ اسْتَمعْ دقاتِ جَارتي، عَلَى الجدار

...

لأَنَّها فرَّت (لإسرائيل)

وصارَ ابنها يُلاحق العرب

بالقتلِ، بالتعذيبِ، فَوقَ أَرْضِنا المُحْتَلة

...

وأُمُّهُ في كُلِّ يوم سبت

تُؤجِّجُ الأحقادَ في كنيسةِ اليهود

عَلَى بِلادٍ فَوْقَها عاشتْ سِنِيناً في سَلام

حفيدي الصَّغير

اغْفِرْ خطيئَتي، لأَنَّني بِجَارتِي خُدِعتْ

لَمْ أكتشفْ بِأَنَّها أَفعى إِذَا جَنَّ الظَّلام

وبالنهار، مرأة، وجارتي القديمة

لقد لخَّص الشاعر علي صدقي عبد القادر حكاية غدر اليهود بأبناء فلسطين من خلال حديث دار بين جدة وحفيدها، حيث أكَّدت الجدة من خلاله أنَّ اليهود غدَّارون، ويجب علينا نحن العرب- كأمة عربية إسلامية- أَنْ لا نقدِّم الودَّ لليهود، حتى لا يُعيدوا الكرة، ويطعنونا في ظهورنا مرةً أخرى، حيث لا ينفع حينها الندم.

---

[1] الزُقاق: السكّة، الطريق الضيق. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء السادس، مادة (زَقَقَ).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وعن حكاية غدر اليهود بالفلسطينيين، يقول الشاعر (عبدالله كنون)[1]:[2]

أَضفْنَاهُمْ فَكَانوا شَرَّ ضَيفٍ ... يُجَازى بالعَدَاوى والسَّلامِ
وأَنْقَذْنَاهُمْ مِنْ ضَنَكِ عَيْشٍ ... فَجَاؤنا بِذُلٍّ واهتِضامِ
هُمُ أَغْروا علينا كُلَّ عَادٍ ... وَكَادُونَا بِدَسٍّ وانتقامِ
هُمُ دَلُّوا عَلَى العَورَاتِ مِنَّا ... فَيَا للهِ مِنْ غَدْرِ اللئامِ

لقد قابل اليهود الفلسطينيين إحسانهم بالإساءة والعداوة، فما كان من اليهود بعد أَنْ أنقذهم الشعب الفلسطيني من ضنك العيش الذي كانوا يعيشون، إلاَّ أَنْ أتوهم بالذلِّ والكيد والغدر. كما أشار سميح القاسم إلى تلك القصة في قصيدة "في القرن العشرين"، متخذاً من لفظة "إيلياً" إشارة إلى الاحتلال، وما يفعله من نفي ومصادرة للأراضي وظلم واعتقال، حيث قال:[3]

أَنَا قَبْلَ قُرون
لَمْ أُطْرد مِنْ بَابِي زَائر
وفَتَحْتُ عُيونِي ذَاتَ صَبَاح
فإِذَا غَلاَّتِي مَسْرُوقة
ورفيقةُ عمري مشنوقة
وإذا في ظهر صغيري.. حقل جراح
وعرفت ضيوفي الغدّارين
فزرعت ببابي ألغاماً وخناجر
وحلفت بآثار السكين
لَنْ يدخل بيتي منهم زائر
في القرن العشرين!

---

[1] عبدالله كنون: "ولد بفاس في المغرب عام ١٣٢٦هـ، ونشأ في بيت علم وصلاح، فتعلَّق بالعلم واعتنى به والده فربَّاه تربية لا يشوبها تقليداً، ولهذا كثيراً ما ينزع في شعره نحو الحرية والإشادة بذكرها. ظلَّ كنون ينظم الشعر على منوال القدماء حتَّى ظهرت الحركة الفكرية الحديثة فتطوَّر شعره بكيفية محسوسة، وتبدَّل أسلوبه وخطته فترفَّع عن الموضوعات القديمة وراح ينظم للشعب يحاكي بشعره الأمة وآماله". انظر: كمال قاسم فرهود، موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، المجلد الأول، ص٧٩٠- ٧٩١.

[2] وحيد الدين بهاء الدين، عبدالله كنون شاعراً، مجلة المناهل، عدد٦، سنة٣، ١٩٧٦م، ص٤١٨.

[3] سميح القاسم، الأعمال الشعرية الكاملة، دار سعاد الصباح، القاهرة، ١٩٩٣م، الجزء الأول، ص٢٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لقد أخذ الشاعر من غدر اليهود درساً لا يُنسى، وعبرةً لكلِّ الأجيال القادمة، بأنْ لا يؤمنوا لليهودي الغادر. لذا قام الشاعر بزرع الألغام أمام باب بيته، لتكون قنبلةً موقوتةً في وجه اليهود إنْ حاولوا مرةً أخرى أنْ يغدروا به وبشعبه. وقد أقسم الشاعر أنْ لا يدخل أحداً منهم بيته في القرن العشرين. فالعربي لا يريد إلاَّ أنْ يعيش بسلام في وطنه وعلى أرضه، لكن الظروف التي أحاطت به جعلته يحمل السلاح في وجه الغدارين المحتلين.

وفي قصيدة "من خطايا التائهين" للشاعر محمود حسن إسماعيل، يتحدث الشاعر عن عقاب اليهود بالتيه لما خالفوا عن أمر ربهم، وغدروا بالشعب الفلسطيني، فيقول:[1]

مَدَّتْ فِلَسْطينُ لَهُم رِحَابا
وأَفْسَحَتْ لِضَيفِهِم جِنَابَا
فَأَتْرَعُوا السُمَّ لَهَا والصَّبَاب
وحيَّروا في أَمْرِهَا الأَلْبَابَا
أَفْضَتْ إِليهِم سَيْفَها الغَلاَّبَا
فَسَاقَهُم في تَارِها أَحْطَابَا
سَيُصْبِحُ التيهُ لَهُم رِكَابَا
وَيَتْرُكُون اللهَ والأَعْرَابَ

ويتعجَّب الشاعر حسني فريز من قسوة قلوب اليهود، وكيف أنَّهم غدروا من أولاهم الحب وفتح لهم بيته، وقدَّم لهم كلَّ العطف والمودة، فهو يقول في قصيدة "يا حامل النار":[2]

يا حَامِلِ النَّارِ والتدميــرِ للعرب ... وهْمُ الصَّدِيق لا زيف ولا ريب
ماذا تُريدُ وقَدْ أَولُوكَ[3] حُبَّهُــمُ ... وكُلَّ ما تَبْتغي مِنْ وافــرِ القَشبِ[4]

---

[1] انظر: محمود حسن إسماعيل، الأعمال الشعرية الكاملة: الدواوين (٨-١٤)، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكُتَّاب، القاهرة، ٢٠٠٨م، المجلد الثالث، ص٥١-٥٢.

[2] حسني فريز، الأعمال الشعرية الكاملة، إعداد راشد عيسى ومعاذ الحياري، منشورات أمانة عمان، عمان، ٢٠٠٢م، ص٤٢٧.

[3] أولُوك: أعطوك. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الخامس عشر، مادة (وَلِي).

[4] القشب: كُلُّ شيء حسن طري ناعم ونظيف. انظر: المصدر نفسه، الجزء الحادي عشر، مادة (قَشَبَ).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لَو أَنَّهُمْ مَنَحُوهُ الصخرَ لانَ لَهُمْ وسَالَ حُبّاً لَهُمْ فِي كُلِّ مُضطربِ
لَمْ يَطْلُبُوا مِنْكَ شَيئاً فِي مُقَابِلِهِ إلاَّ العَدالــةَ عِنْــدَ اللــزِّ والنُّوبِ[1]
لَمْ يَأْمَلُوا أَنْ يَكُونَ الغَدرُ حَظَّهُمْ مِنَ الحَبِيبِ وبَعضُ الحُبِّ كالنَسبِ
اللهُ يَعْلَمُ لَيْسَ العربُ أَولَ مَنْ كَافأتَهُم بِجَحِــيمٍ غَامِرِ اللهبِ

أشار الشاعر في الأبيات السابقة إلى أنَّ اليهود قد أوهموا الفلسطينيين بصداقتهم، فما كانت صداقتهم سوى زيف وباطل. ويوجّه الشاعر خطابه لهم، قائلاً: كيف هان عليكم أَنْ تقابلوهم بالبغض والغدر، وهم الذين كانوا يقدمون لكم كلَّ شيء؟! فقلوبهم كالحجارة، بل هي أشدُّ قسوة، كما أشار الله عزوجل في كتابه العزيز[2]، فالحجارة قد تلين عندما يعرض عليها كلَّ هذا الحب، ولكن اليهود أبوا إلاَّ الغدر والطعن في الظهور.

فاليهود لا يمكن أَنْ تعرف طبيعتهم، لكثرة عقدهم النفسية، فهم كالحرباء، التي تتلون بألوان عديدة، تبعاً للمكان الذي تكون فيه، وكالأفعى التي تجدد ثوبها هي الأخرى، وهذا ما أشار إليه عدنان النحوي بقوله في قصيدة "قلب مؤمن":[3]

فَالأَفاعي تُبَدِّل الثَّوْبَ غِشّــاً ولِذَا العيشُ قُرْبُها لا يطيبُ
يَا أخي حِكْمَةٌ عَرفْتَ فَخُذْها مِنْ خَبيرٍ وقَدْ علاهُ المَشِيبُ
إنَّ مَنْ كانَ مُشــرِكاً وكَفوراً كُفرُهُ في الدِّماءِ مِنهُ الدَّبِيبُ[4]
مَنْ يُعادي الرَّحمنَ جَهراً تُراهُ عن عِداءِ الرَّحمنِ يوماً يَتوبُ
أم تُراهُ مِنِ الضَّــلالةِ يَشفَى وإلى واضِحِ الصِّــراطِ يثوبُ
خَتَــمَ اللهُ قَلبَهُ، دَعْهُ للّــــهِ رَمَادُ الكُفورِ منهُ الشُبوبُ

---

(1) اللزُّ: الشِّدة والضيق. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثاني عشر، مادة (لزَزَ).
النُّوب: المصائب. انظر: المصدر نفسه، الجزء الرابع عشر، مادة (نَوَبَ).

(2) قال تعالى: ﴿ ثُم قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. سورة البقرة، آية٧٤.

(3) انظر: عدنان علي رضا النحوي، ديوان جراح على الدرب، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص١١٩-١٢٠.

(4) الدَّبيب: دبَّ القوم إلى العدو دبيباً إذا مشوا على هينتهم لم يسرعوا. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الرابع، مادة (دَبَبَ).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وسُكــونُ الرياحِ يُنذرُ دَوْماً بالأعاصيرِ حينَ يَأْتي الهُبوبُ
والأفاعي ملســاءُ مثلُ حُريرٍ فهل العيــشُ والأفاعي يَطيبُ

من خلال الأبيات السابقة، نجد أنَّ العيش مع اليهود، كالعيش مع الأفاعي، التي قد يطالنا بعض من سمومها إنْ اقتربنا منها، وكذلك الأمر بالنسبة لليهود، فحالهم كالأفاعي، متى ما سنحت لهم الفرصة قاموا بلدغنا وطعننا في ظهورنا، قال هارون هاشم رشيد في قصيدة "غزة هاشم" واصفاً غدر اليهود:[1]

لَيْسَ يَرْعَى حُرْمَةً.. فِي شَرْعِهِ كُلُّ هَذا الكونِ.. حِقْدٌ .. وَمَآثِمُ
اليهــوديُّ وإنْ آويْتَــــهُ ذَابِــــحٌ طفلَكَ فِي يومٍ وَنَاقِمُ

تلك هي صفات اليهود، لا يمكن أنْ يكونوا محل ثقة، فمتى أدخلته بيتك قد يذبح طفلك ويغتصب زوجك ويسرق كلَّ ما تقع عينه عليه. وما تلك الصفات إلاَّ نتيجة الحقد الذي تأصل في نفوسهم، يقول عبد الرحمن العشماوي في قصيدة "شاهد التاريخ":[2]

ما يَهُودُ الغــدرِ إلا أنفسٌ غُمِستْ في حِقْــدِهَا المُسْتَعِرِ
لَمْ أَزلْ أَشْرَبُ كَأساً مُرَّةً مِنْ رَزَايَاهُم وَأَشْكُو ضَجَرِي
سَلَبُونِي نِعْمَةَ الأَمنِ الَّتِي حَفِظَتْ قَدْرِي وَصَانَتْ جَوْهَرِي
زَرَعُوا هَيْكَلَــــهُم قُنْبُلَةً فَاحْذَرُوا مِنْ صَوتِهَا المُنْفَجِرِ
ما يَهُودُ الغدرِ إلا عُمْلَةٌ نُقِشَتْ فيــها حُرُوفُ البَطَرِ

يؤكد الشاعر في الأبيات السابقة أن الحقد الذي في صدور اليهود قد نتج عنه غدر استهدف الشعب الفلسطيني في جنح الليل، فهم في غدرهم كقنبلة موقوتة يمكن لها أن تنفجر متى سحب منها الصاعق، فهم لا ينسون أنهم يتعطشون لدماء العرب وإزهاق أرواحهم، لذا حاول الشاعر العربي جاهداً أنْ يحرِّض العرب على الوقوف في وجه اللصوص الذين مدوا أيديهم إلى أملاكهم ينهبونها، وعبثوا في منازلهم يخربونها، فها هو الشاعر علي صدقي عبد القادر يقول في قصيدة "الفدائي":[3]

---

(1) هارون هاشم رشيد، ديوان هارون هاشم رشيد، ص٢٨٤.
(2) عبد الرحمن بن صالح العشماوي، ديوان القُدْس أنت، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص١٣٦.
(3) علي صدقي عبد القادر، ديوان اشتهاء مع وقف التنفيذ، ص٢٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اخْلَعْ نَجْمَ الإسرائيلي
ذِي الأَنفِ المَعْكُوفِ[1] الأَصْفَر
مَنْ كَانَ بِبَابِكَ يبكي زُوراً طُولَ الدهر
حَاذِرْ أَنْ يَدْخلَ بَيْتَك فِي خِلْسَة
(فيَهُودا)[2] لا يَسْهُو عَنْ حِرفة صَلْبِ الإنْسان
لا يَنْسى حرفته مصَّ الدم

وفي حديثنا السابق عن وفاء السموءل نجد أنَّ هذا الوفاء لا ينطبق على اليهود عامةً، فتلك الصورة التي رسمها الأعشى والفرزدق وغيرهم ممن تحدثوا عن وفاء السموءل ليست حقيقية، فالسموءل كغيره من اليهود، شغف بحب المال، وهذا سبب رفضه تسليم الأمانة التي وضعها امرؤ القيس عنده، حيث آثر قتل ابنه على أنْ يسلمها، ليس من أجل وفائه، بل لأنَّه مشغوف بحبِّ المال والذهب، فأمانة امرئ القيس كانت سلاحاً يمكن أنْ يستحوذ عليه، وهي رهينة مقابل مال اقترضه منه بالربا يسدده له عند عودته. وقد أكَّد الباحث المختص في الشؤون الإسرائيلية جودت السعد ذلك، حيث قال: "فكلنا قرأ المقولة "مروءة السموءل خلدت ذكره" وهي مقولة وفكرة سربها اليهود إلى الفكر العربي عن طريق حفيد السموءل "دارم بن عقال" والتي تظهر أنَّ السموءل وهو يهودي اسمه "صموئيل" رفض تسليم "الأمانة" التي وضعها الشاعر امرؤ القيس عنده قبل ذهابه إلى القسطنطينية، ويرفض السموءل- كما تقول الرواية اليهودية – تسليم الأمانة للحارث بن مظالم مما أدَّى إلى قتل ابنه. والحقيقة أنَّ امرأ القيس استدان أموالاً بالربا من السموءل مقابل رهن دروع ونساء وأولاد. وقال الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان إن السموءل

---

(1) المعكوف: يعني المعقوف، يرمز لليهودي بأنَّ أنفه معقوف يعني منثنٍ أو معوج، ومنه الصليب المعقوف الذي هو شعار النازية.

(2) يهوذا: "اسم عبري مأخوذ من اسم رابع أبناء يعقوب، وكان يهودا هو الذي اقترح على إخوته ألاّ يذبحوا يوسف وأن يكتفوا ببيعه...". انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الأول، ص٤٠٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

رفض تسليم هذه الرهينة للحارث إلا إذا دفع له ماله الذي أقرضه لامرئ القيس. ما أدَّى إلى قتل ابنه ليس مروءة بل بسبب حبه للمال أكثر من ولده. "[1].

وقد اعتمد في شكه على أمرين؛ أولهما: أنَّ لغتها ليست لغة الشعراء الجاهليين، وثانيهما: أنَّ قائلها هو السموءل. ويستغرب إبراهيم طوقان أنْ يقول شاعر يهودي قصيدةً تتضمن هذه المعاني، فما أغرب أنْ يكون هذا القول من السموءل[2].

لقد نجح الشاعر العربي في عرض لوحات شعرية معبرة وواضحة لشخصية اليهودي الغادر، التي حملها في داخله منذ أقدم العصور، كما أنَّ تلك الصفة التي تأصلت في شخصية اليهودي، كانت الممهِّد لبروز الشخصية العدوانية عن اليهودي.

فاليهود شنُّوا حرباً عنيفةً ضد العرب في فلسطين والأردن ولبنان وسورية ومصر؛ ساعين في ذلك لبثِّ الخوف والرعب في قلوب الآمنين والمجاهدين العرب، ليوصلوهم- نهاية الأمر- إلى مرحلة اليأس، وترك الأرض والممتلكات. وهذا ما يرمي إليه اليهود: فهم يريدون الأرض خاليةً من أهلها، ليتم بعد ذلك دعوة كل اليهود المشتتين في كلِّ بقاع الأرض إلى فلسطين، على أساس زائف اختلقه الصهاينة اليهود هو: أنَّ فلسطين هي أرض الميعاد، التي وعد الله بها نبيه إبراهيم عليه السلام ونسله من بعده، وأنَّها حق لهم، لأنَّهم شعب الله المختار، الذي اصطفاه على العالمين، معتمدين في ذلك على ما جاء في التَّوراة المحرفة[3].

ويمكن القول: إنَّ تلك العهود التوراتية، التي جاءت في نصوص التَّوراة المحرفة، تنص على أنَّ هناك أرضاً لبني إسرائيل، ويدَّعي اليهود اليوم أنَّ تلك الأرض عطاء من الله لهم، وإنْ أشار هذا إلى

---

(1) جودت السعد، الصهيونية وتشويه التراث العربي، مجلة الفكر السياسي، العدد الثامن، السنة الثالثة، شتاء ٢٠٠٠م، ص١٨١.

(2) عادل الأسطة، اليهود في الأدب الفلسطيني بين ١٩١٣م- ١٩٨٧م، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، نابلس، ١٩٩٢م، ص٢٥.

(3) محمد عبد السلام، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، ص٢٦٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شيء فإنَّما يشير إلى أنَّ هذه العهود المزيفة تُعتبر فوق القانون وفوق إرادة الشعوب، مهما كانت هذه الشعوب حتى لو كانت صاحبة الأرض التي يطالب اليهود بامتلاكها[١].

وفي قول بن غوريون رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق عام ١٩٤٨م، ما يشير إلى ما ذكرته آنفاً، وقد وقف ممثِّلاً لليهود في الأمم المتحدة: "وقد لا تكون فلسطين لنا عن طريق الحق السياسي أو القانوني، ولكنها حق لنا على أساس ديني فهي الأرض التي وعدنا الله وأعطانا إياها من الفرات إلى النيل، ولذلك وجب على كلِّ يهودي أنْ يهاجر إلى فلسطين، وأنَّ كلَّ يهودي يبقى خارج إسرائيل بعد إنشائها يعتبر مخالفاً لتعاليم التَّوراة، بل إنَّ اليهودي يكفر يومياً بالدين اليهودي"[٢].

لقد عرف اليهود بحبهم لسفك الدماء، وتاريخهم يشهد على أنَّهم مصاصو دماء، اتخذوا من الإرهاب والقتل والتدمير سبيلاً، من أجل زرع أنفسهم في أرض فلسطين، حتى غدت أعمالهم الإجرامية التي اقترفوها بحق أبناء الشعب الفلسطيني أبشع من الجرائم التي ارتكبت بحق البشرية، على يد جنكيز خان وتيمور لنك[٣].

لقد اقترف الصهاينة العديد من المذابح بحق الشعب الفلسطيني، ومن ذلك: مذبحة دير ياسين، التي وقعت ليلتي التاسع والعاشر من شهر نيسان عام ١٩٤٨م، حيث أقدمت عصابتا (الأرغون)[٤] بزعامة

---

(١) انظر: محمد أبو زيد أبو زيد، أرض الميعاد نظرة قرآنية في العهود التوراتية، مجلة التراث العربي، عدد٨٥، ١٦ سبتمبر ٢٠٠٣م، ص٢٧- ٢٨.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٨.

(٣) أكرم جميل قنبس، بدوي الجبل: شاعر العربية والعرب، دار المعرفة، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١١٤.

(٤) الأرغون: "تعرف باسم (إتسل)، وهي اختصار للعبارة العبرية (إرجون تسفاي ليومي بإرتس إسرائيل)، أي (المنظمة العسكرية القومية في أرض إسرائيل، وهي منظمة عسكرية صهيونية تأسست في فلسطين عام ١٩٣١م". انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الثاني، ص٤٢٥- ٤٢٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

مناحيم بيجن، و(شتيرن)[1] بزعامة أبراهام شتيرن، على شنّ عدوان على قرية دير ياسين. نتج عنه قتل المئات من الفلسطينيين، من بينهم الأطفال والشيوخ والنساء، وكان الهدف من تلك المذبحة بث الرعب في قلوب سكان تلك القرية، وإرغامهم على مغادرة بيوتهم وترك أرضهم[2]. ففي السجل الأسود للمحتل تبقى مجزرة دير ياسين إحدى العلامات البارزة على وحشية وهمجية المحتل[3].

وقد عبَّر الشاعر العربي داخل فلسطين و خارجها عن تلك الجرائم التي اختط بها اليهود طريقهم للاستيلاء على فلسطين، فكان ما شاهده من صور بشعة للجرائم الوحشية التي تشمئز منها النفوس وتقشعر لها الأبدان دافعاً لإثارة مشاعره، فقد حاول أنْ يقف عند تلك المشاهد، من أجل أنْ يرسم لليهودي صورةً تصف عدوانيته وهمجيته في كل مراحل حياته[4].

فها هو الشاعر عدنان النحوي، يُطالعنا في قصيدة له بعنوان "رحلة الموت" تلك المجزرة التي ارتكبتها عصابات الصهاينة في دير ياسين، مصوِّراً قائد عصابة الأرغون الذي ارتكب تلك الجريمة، حيث إنَّه ثعلب مراوغ، كفُّه مسلَّح بالمخالب والمدى، متسخ بالرجس والخطايا والجرائم التي ارتكبها في دير ياسين، وابتسامته ابتسامة مجرم حاقد كائد، يقول:[5]

فَأَيَّ يَدٍ صَافَحْتَ...! مَلءُ بُطُونِهَا مَذَابِحُ ...! أَدْمَتْ كُلَّ قَلْبٍ وَخَاطِرِ

---

(1) شتيرن:" عصابة إرهابية صهيونية تُعرف باسمها الكامل الذي يعني: (المحاربين مِنْ أجل حرية إسرائيل)، وقد نشطت إبان الحرب العالمية الثانية بعد أنْ تلقى أفرادها تدريباً على أيدي القوات البريطانية في فلسطين". انظر: أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ط٣، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٨م، ص٦٧٨.

(2) عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣م، المجلد الثالث، ص١٥٥.

(3) ثقافة المقاومة في الآداب والفنون: أوراق مؤتمر فيلادلفيا الدولي العاشر: المؤتمر العلمي لكلية الآداب والفنون (٢٥-٢٨ إبريل (نيسان) ٢٠٠٥م)، تحرير ومراجعة صالح أبو أصبع وعز الدين المناصرة ومحمد عبيدالله، جامعة فيلادلفيا، جرش، ٢٠٠٦م، ص١١٣.

(4) ماجد أحمد السامرائي، التيار القومي في الشعر العراقي الحديث مُنْذُ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م حتَّى نكسة حزيران ١٩٦٧م، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، سلسلة الدراسات، عدد٣٤٤، ١٩٨٣م، ص٢٥٤.

(5) انظر: عدنان علي رضا النحوي، ديوان ملحمة فلسطين، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١٢٤- ١٢٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أَكَفَّ " مَنَاحِيمِ" ...! أَظَافِرُ ثَعْلَبٍ وَمَدْيَـــةُ جَزَّارٍ وَحِقْدُ مُجَاهِرِ
أَصَافَحْتَهَا... وَالرِّجْسُ بَيْنَ عُرُوقِهَا تَدَفَّقُ أَمْـوَاجَ الخَطَايَا الزَّوَاخِرِ
تَصَافَحْتُمَا... " وَالدَّيْرُ" مَا زَالَ نَازِفاً عَلَى غَاضِـبٍ بَيْنَ النَّجِيعِ وَفَائِرِ
تَصَافَحْتُمَا ...! بَيْنَ ابْتِسَامَةِ مُجْرِمٍ عَتِيٍّ وَكَيْدٍ مِنْ غَـــــوِيٍّ مُحَاذِرِ
فَيَا " دَيْرَ يَاسِين" أَطِلَّ بِلَعْنَةٍ تُزَلْـــزِلُ أَقْـــدَامَ الطُّغَاةِ الجَبَابِرِ

ولم تكن مذبحة دير ياسين أول مذبحة قام بها أفراد العصابات الصهيونية، كما أنَّها لم تكن الأخيرة. فقد ارتكبت تلك العصابات الكثير من الجرائم والمذابح ومازالت إلى وقتنا الحاضر، ومنها: مذبحة قريتي الشيخ وحواسة عام ١٩٤٧م، مذبحة قرية سعسع في يومي الرابع عشر والخامس عشر من شهر فبراير عام ١٩٤٨م، مذبحة قبية عام ١٩٥٣م، مذبحة نحالين عام ١٩٥٤م، مذبحة خان يونس عام ١٩٥٥م، ومذبحتا غزة: الأولى عام ١٩٥٥م، والثانية عام ١٩٥٦م، مذبحة جنين من ٣ إلى ١٣ نيسان عام ٢٠٠٢م، محرقة غزة في فبراير ٢٠٠٨م، وغيرها من جرائم الإبادة الجماعية التي مارسها ويمارسها اليهود الصهاينة بحق الفلسطينيين. وسنجد في الشعر العربي ما يفضح تلك المجازر والمذابح، حيث بثَّ الشاعر العربي في قصائده صوراً تبين تلك الجرائم التي تعرَّض لها الشعب الفلسطيني منذ أنْ أقام اليهود دولتهم على أرض فلسطين، فقد قال الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدة "سنقطع الأسلاك" أنَّ تلك الأسلاك التي فرَّقت بين الأرض وأبنائها ستقطع، رغم حراب العدو الظالم:[1]

مَنْ هُمْ؟ سَلِ الدُّنيا وسَلْ تَارِيخَهَا وَتَقَصَّ مَا صَنَعُـوا بِنَا أَوْ فَظَّعُوا
سَلْ (دير ياسين) وَسَلْ فِي (قِبْيَةَ) كَمْ طِفْلَةٍ؟ كَمْ مُرْضَعٍ؟ قَدْ رَوَّعُوا
وَسَلِ الشَّرَائِعَ.. كَيْفَ قَدْ دَاسُوا عَلَى أَقْدَاسِهَا مُتَغَطْرِسِـينَ وَشَنَّعُوا

فالشاعر في الأبيات السابقة يشير إلى أنَّ اليهود قد دنَّسوا الأرض المقدسة منذ أنْ وطأتها أقدامهم فما هم إلاَّ شعب متغطرس، والتاريخ يشهد على فظائع أعمالهم وشناعتها، كما أنَّ تلك القريتين اللتين وقعتا في شراك اليهود وعدوانه، ستشهدان على حقيقتهم، وبأنَّهم ليسوا سوى قتلة مجرمين، اعتدوا على براءة الأطفال والرضع، وما كان لهم من ذنب ليستحقوا هذا الجرم بحقهم، إلا لأنهم فلسطينيون.

---

[1] هارون هاشم رشيد، ديوان هارون هاشم رشيد، دار العودة، بيروت، ١٩٨١م، ص١٠٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وكان للشاعر العربي الكويتي (خالد الفرج) [1] صوت معبر عن معاناة الشعب الفلسطيني اليومية، فقد أصبحت مأساة فلسطين شغله الشاغل، فسعى جاهداً ليقدم لنا صورةً لذلك المحتل، الذي استهدف شعباً آمناً، محاولاً القضاء عليه، من أجل السيطرة على أرضه وخيراتها، ومن ثم السيطرة على العالم كله، فقد قال الشاعر في قصيدة "الأمر الواقع":[2]

وَدَوْلَةٌ تَدَّعِي الحُرِّيَةَ اعْتَرَفَتْ ... بِوَاقِعِ الأَمْـرِ فَوْرَاً مِنْ فِلَسْطِـينِ
وَسَلَّطَتْ كُلَّ أَفَّاقٍ يُمَـزِّقُهَا ... قَتْـــلاً وَنَهْبَاً لآلافِ المَسَاكِـينِ
فِي (قِبْيَةَ) وَسِواهَا كُلَّ آونَةٍ ... بَلْهَ[3] الضَّحَايَا التي فِي (دَيْرِ يَاسِين)

بهذه اللوعة بكى الشاعر مأساة فلسطين، التي نالت مكاناً سامياً من روحه وشعره. فقد أشار في الأبيات السابقة إلى مجزرتي قبية ودير ياسين، اللتين نفذتاهما عصابات المنظمات الصهيونية، دون أن ترتعش أيدي الصهاينة ولا ضمائرهم، فهم بهذه الأعمال الإجرامية لا يعيرون وزناً للأعراف والقوانين الدولية.

وقد أشار خالد الفرج في قصيدته "نَحَّالِين" إلى ما أصاب قرية نحالين وأهلها، نتيجة الغارة الصهيونية التي استهدفتها، حيث يقول:[4]

يَا أَهْلَ (نَحَّالِينَ) صَبْرَاً ... إِنَّ رُزْأَكُـمُ أُخْـفُّ
مِنْ (قِبْيَةَ) سُتُّونَ فِي ... أَمْثَالِ مِحْنَتِكُم تُوفُّوا
طُلَّـتْ دماؤهُـمُ وأَدْ ... مُعُ ثَاكِلِيهِمْ لا تَجِفُّ
فَتَكَ اليهـودُ بِهِم وَكَمْ ... قَدْ صَفَّقَتْ للظلمِ كَفُّ

---

[1] خالد الفرج (١٣١٦/١٨٩٨- ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م): "ينتمي الأستاذ خالد بن محمد بن فرج الله إِلَى أسرة آل طراد مِنْ فخذ المناديل مِنْ قبيلة الدواسر التي ترجع بنسبها إِلَى قحطان... تغلب الصبغة الدينية على الفرج سواء مِنْ ناحية المعاني أو مِنْ ناحية الآيات التي يتضمنها شعره". انظر: كمال قاسم فرهود، موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، ط٣، ص٤٤٣- ٤٤٤.

[2] انظر: خالد سعود الزيد، خالد الفرج حياته وآثاره، ط٢، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٠م، ص٥٥- ٥٦.

[3] بَلْهَ: بمعنى دَعْ، وهي مبنية على الفتح. وقيل معناها سوى. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الأول، مادة (بَلَهَ).

[4] خالد سعود الزيد، خالد الفرج حياته وآثاره، ص٥٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صَبْرَاً فَفِي (يَوْمِ القِيامةِ) سَوْفَ يَنْفَتِــحُ المَلَفُ

أثارت تلك المجازر مشاعر الشاعر خالد الفرج، فجعلته يبكي الضحايا الذين كانوا ضحية همجية اليهود. فها هو ينادي أهل نحالين، ويحثهم على الصبر، مذكِّراً إياهم بمذبحة دير ياسين، التي راح ضحيتها الكثيرون، حتى غدت القرية مطليةً بدماء الشهداء الذين تساقطوا نتيجة تلك المجزرة. ويذكر الشاعر أهل قرية نحالين بأنَّه وإن لم يفتح ملف تلك الجريمة، حتى يحاسب مرتكبوها، فإنَّ يوم القيامة سيكون اليوم الحق الذي سيشهد فتح ملف تلك الجريمة الدموية بحق كلِّ أبناء فلسطين، ومعاقبة الجناة[1].

وعرض الشاعر كمال رشيد في قصيدة "نحَّالين" مشاهد تلك المجزرة، التي راح ضحيتها االكثير من الأبرياء، واضعاً المتلقي أمام مشاهد سينمائية لحادثة نحَّالين، حيث صوَّر مشهد دخول الصهاينة القرية، وقت السحر (قبل طلوع الفجر)، على أهلها العزَّل غير المتأبهين لمواجهته، وكان ذلك هو هدف الصهاينة من دخول القرية في ذلك الوقت، وفي هذا إشارة إلى مدى خوفهم وجبنهم عن مواجهة الفلسطينين. إلاَّ أنَّ ذلك لم يمنع أهل القرية عن المواجهة وردِّ العدوان، ولم يرعهم أو يردّهم شامير ورابين عن المواجهة، وما حصل في القرى الأخرى: (بيتا)، (عنبتا)، (طوباس) و(سخنين) يشهد على شجاعة الشعب الفلسطيني، وعدم خوفه من الصهاينة، يقول:[2]

سَحَراً جَاءَهَا العَدوُّ بِجَيْشٍ وَهِيَ عَزْلاءُ مَا بِهَا تَحْصَنِينُ
طَوَّقَتْهَا كَتَائِبُ البَغْيِ لَيْلاً وَمَعَ الليلِ كُلُّ كَيْــــدٍ يَكُونُ
خَبْطَ عَشْوَاء تَسْتَبِيحُ حِمَاهَا خَبْطَ ذُعْــرٍ، وَهَلْ لِخَصْمٍ عُيونُ
بَيْنَها وَالعِدَى حِسَابٌ قَدِيمٌ لَيْسَ يُنْسَى، وَالذِّكْرَيَاتُ شُجُونُ
هَبَّ فِتْيَانُهَا وَصَدُّوا وَرَدُّوا لَمْ يَرْعَــهُم شَامِيرُ أَوْ رَابِينُ
قَبْلَهَا شَادَتِ البطُولَةُ "بيتا" و"عَنَبْتَا" و"طُوبَاس" أَوْ "سِخْنِينُ"
كُلُّ شِبْرٍ عَلَى فِلَسْطِينَ يَرْوِي قِصَّةُ المَجْــدِ مُذْ بَدَا كَانُونُ
كُلُّ طِفْلٍ فِيهَا يُلَقَّنُ دَرْساً فَهُوَ بِالبَأْسِ وَالتُّقَى مَعْجُونُ

---

(1) محمد إبراهيم حُوّر، فلسطين في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج العربي، ط٢، دار القلم، دبي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٤٠.

(2) كمال عبد الرحمن رشيد، القدس في العيون، ط٢، دار بلال للنشر والتوزيع، عمان، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٤٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وَفِلَسْـطِينُ بِالرِّجَالِ تُبَاهَى فَتَرَاهَا بِعَزْمِـــهِم مَسْكُونُ

وقال هارون هاشم رشيد في قصيدة "فدائي" مذكِّراً بالمجازر الإسرائيلية: دير ياسين، وكفر قاسم التي شكَّلت نقطة انعطاف أساسية في الموقف المقاوم لشعراء الأرض المحتلة[1] ومندِّداً بمرتكبيها:[2]

أَتَنْسَى "دَيْرَ يَاسِينٍ"
أَتَنْسَى يَوْمَهَا الأَغْبَرْ..
وَ(قِبْيَةَ) وَالدَّمَ المِهْرَاقَ
فَوْقَ تُرَابِهَا يَهْدِرْ
أَتَنْسَى "كَفْرَ قَاسِمٍ"
وَالرَّصَاصَ "الحَاصِدَ" الأَصْفَرْ
وَأَوْجُهَكُمْ أَلا شَاهَتْ
تَتِيهُ بِإِثْمِهَا تَفْخَرْ

أما (سليمان العيسى)[3] فقد رسم في قصيدة "نتفرج" لوحةً معبرةً، عرض فيها جرائم إسرائيل بحق أبناء غزة، حيث يقول:[4]

نَتَفرَّجُ.. يَحْتَرِقُ الجَسَدُ
فِي غَزَّةَ، فِي الأَرْضِ الثَّكْلَى
فِي كُلِّ مَكَانٍ يَتَّقِدُ
يَتَسَاقَطُ أَطْفَالٌ قَتْلَى
ويُقَاتِلُ أَطْفَالٌ جُدُدُ

---

(1) غسان كنفاني، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال (١٩٤٨م- ١٩٦٨م)، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٧م، ص٩٤.

(2) هارون هاشم رشيد، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٤٢٧.

(3) سليمان بن أحمد العيسى: ولد في النعيرية مِنْ قرى أنطاكية، هاجر عام ١٩٣٧م إِلَى سورية بسبب سلخ اللواء عن سورية، تابع دراسته الثانوية في ثانويات حماة واللاذقية ودمشق. شارك في هذه الفترة بتأسيس حزب البعث عام ١٩٤٠م. انظر: كمال قاسم فرهود، موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، المجلد الأول، ص٦٢١.

(4) سليمان العيسى، نشيد الحجارة: مجموعة قصائد، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٨٨م، ص٥٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد بكت الشاعرة هيام رمزي الدردنجي في قصيدة "حريق القدس" حريق (المسجد الأقصى)[1] الذي وقع في ١٩٦٩/٨/٢١م، وجعلت منه نذيراً بالشؤم على الأمة الإسلامية، ورجت الله عزوجل أنْ يرزق الأمة المسلمة قيادة شجاعة تمحو ظلال اليأس وتحل بدلاً منه الأمل بالنصر والعودة[2]، مؤكِّدة ضرورة ذلك؛ لأنَّ العالم الذي نعيش فيه، والواقع المرير الذي نعانيه، غدا مليئاً بالشرور والآثام، تقول الشاعرة:[3]

حَرِيقُ المَسْجِدِ الأَقْصَـــى نَذِيرٌ ... إِلَى الإِسْلامِ بِالشُّـــؤمِ الرَّهِيبِ
حَرْيقٌ يَا رِفَاقِـــي فِي الرَّوَابِي ... حَرِيقٌ فِي المَشَاعِـــرِ وَالقُلُوبِ
أَلا مَنْ يَمْنَحُ الإِسْـــــلامَ رجلا ... صَلاحِ الدينِ كَالأَسَدِ الغَضُوبِ
يُزِيحُ العَارَ عَنْ أَرْضِي وَيَمْحُو ... ظِلالَ اليَّأْسِ مِنْ أَمَـــلٍ مُخَيبِ
فَعَالَمُنَا المَلِـــــيءُ بِكُلِّ دَاءٍ ... غَدَا مُسْتَوْدَعَ الإِثْـــــمِ المُسَيبِ
وَبَاتَ الشَّرُّ فِي كُـــلِّ الرَّوَابِي ... وَلَيْسَ لِسَيْلِ حُزْنِي مِنْ نُضُوبِ

وفي مشهد آخر من المشاهد المتعلقة بالمسجد الأقصى وإحراقه، نجد الشاعر برهان الدين العبوشي لا يتوانى عن إطلاق صرخات التحذير مما يُحيق بالمسجد الأقصى من مخاطرَ وأضرار، فالمسجد الأقصى يستنجد الأمة العربية والإسلامية، بعد أنْ أكلته النيران، وأحاطت بكلِّ جوانبه، إلاَّ أنَّه لا مجيب لصرخته، يقول الشاعر في قصيدة "الأقصى الحريق":[4]

المَسْجِدُ الأَقْصَى اسْتَجَار وَأَنْتُم ... لاهُونَ عَنْهُ فِي هَوىً وخِصَام
النَّارُ تَحْرِقُهُ وَتَأْكُلُ قَلْبَهُ ... وَقُلُوبُكُم مِـــنْ صَخْرة وَرُغَام

---

[1] حريق المسجد الأقصى: حصلت جريمة إحراق المسجد الأقصى عند الساعة السابعة منْ صباح يوم الخميس في ٢١ آب سنة ١٩٦٩م؛ حيثُ أقدم شاب أسترالي الجنسية يدعى دنيس مايكل وليم روهن على إضرام النار في المسجد المقدَّس، بقصد إحراقه وتدميره، وكانت حصيلة الحريق بعد إخماده أضراراً بالغة الخطورة لحقت بالأنفس وبزخارف المسجد ونقوشه. انظر: ميشال غريب، حريق المسجد الأقصى، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٧٠م، ص١٢.

[2] محمد أحمد محمد المجالي، المدن العربية المقاتلة في الشعر الحديث (القدس، بيروت، البصرة)، ص٣٨.

[3] هيام رمزي الدردنجي، الأعمال الشعرية ١٩٦٦م-١٩٩٦م، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥م، ص٩٣.

[4] برهان الدين العبوشي، فارس السيف والقلم: الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر المجاهد الراحل برهان الدين العبوشي (١٩١١م- ١٩٩٥م)، إعداد سماك العبوشي وحسن العبوشي، مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٣١٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وَاللهُ يَنْظُرُكُم وَيَنْظُرُ بَيْتَهُ وَكِتَابَهُ فِـــي جَمْرَةٍ وقِتَام
وَاللهُ خَصَّكُم بِأَقْدَسِ سِرِّهِ وَحَبَاكُم مِـــنْ فَضْلِهِ بِوِسَام
فَخَفَرْتُمُ عَهْدَ الإِلَهِ وَلَمْ تَفُوا فَرَجِعْتُمُ بِالسُّخْـطِ وَالآثَام

وقام مظفر النواب بوصف الهمجية، التي وصم بها اليهود، معرضاً رفضه لعدم مبالاتهم وهم يقتلون الأطفال والنساء والشيوخ، بطريقة وحشية، فهم يتصفون باللاإنسانية، وبالقسوة والقتل بدم بارد، يقول:[1]

مَا أَصْعَبَ البُنْدُقِيَّة حِينَ تُصوَّبُ فِي ضِحكةٍ لِصَغِيرٍ
وَتَتْرُكُهُ فِي المَحَاق
أَيُّهَا السَّافِلُونَ
أَمَا تَسْتَحِي البندُقِيَّةُ حِينَ تَرَى امْرَأَةً
تَتَوسَلُ تَحْتَ البُصَاق
أَمَا تَسْتَحِي القِمَّةُ العَرَبِيَّةُ مِنْ قَاتِلٍ
يَجْهَلُ اللغَةَ العَرَبِيَّةَ يَحْكِي مَطَالِبَهَا

لقد وصف الشاعر المعتدي بأنَّه سافل، لا يعرف الحياء، يقتل النساء الضعيفات بلا ذنب ودونما رحمة، أمَّا الأطفال فتقتلهم بندقيته كذلك، وتقتل معهم براءة الطفولة.

وفي قصيدة "السَّلام الهزيل" يضعنا الشاعر يوسف العظم أمام مشهد للعدوان الإسرائيلي على أرض فلسطين وساكنيها، وكيف يبدو شبح الاحتلال يلاحق الصغار والعذارى والمرأة العجوز والشاب الفتي:[2]

كَمْ صَغِيـــرٍ ذَاقَ الرَّدَى بِيَدَيهِ وَصَغِيرٍ مَا عَادَ يَلْقَى "الحُنُونَةْ"
وَعَجُوزٍ فِي عَتْمَةِ اللَّيلِ بَاتَتْ جُرْحُهَا يَنْـــزِفُ الدِّمَاءَ سَخِينَةْ
دَمَّرُوا بَيْتَهَا فَصَـــارَ حُطَامَاً وَاسْتَبَاحُـــوا فِي حَقْلِهَا زَيْتُونَهْ
وَفَتَاةٍ عَذْرَاءَ مَزَّقَـــــهَا القَيدُ وَكَانَتْ رَمْـــزَ العَفَافِ مَصُونَةْ

---

[1] مظفر النواب، الأعمال الشعرية الكاملة: الشاعر العربي المناضل مظفر النواب، دار قنبر، لندن، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٣٢٨.

[2] يوسف العظم، الأعمال الشعرية الكاملة، دار الضياء، عمان، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٢٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَفَتَىً ثَائِرٍ يَذُوبُ جِـرَاحاً هَجَرَ النَّـومُ وَالنُّعَاسُ جُفُونَهْ

أمَّا هارون هاشم رشيد في قصيدته "غزة هاشم"، فقد وصف ذلك المعتدي بالقسوة والغشومة والنذالة، من خلال عرضه لمشاهد الغارة التي شنَّتها إسرائيل على مدينة خان يونس. فهو الذي رضع هذه الصفات من تعاليم التلمود وطبَّقها على أرض الواقع في دير ياسين وغيرها قبل ذلك، يقول:[١]

وَ "لِخَنيُونِـــسَ" إِذْ مَزَّقَها مَخْلَبٌ.. مُحْتَقِـرُ الآمَـــالِ.. غَاشِـمْ[٢]
هُوَ لَمْ يَرْعَ.. لَهَا حُرْمَتَـــهَا كَيْفَ يَرْعَاهَا خَسِيسُ الأَصْـــلِ آثِمْ
كَيْفَ يَرْعَاهَا اليهُودِيُّ الَّذِي عَلَّمَتْهُ فِي الدَّجَنَاتِ الأَرَاقِـــمْ[٣]
عَلَّمَتْهُ مَا حَـــوَى تُلْمُودُهُ مِنْ تَعَالِـــــــمَ لَهُ فِي كُفْرِ قَاسِمْ

وأهدت الشاعرة الجزائرية (أحلامُ مستغانمي)[٤] قصيدةً بعنوان: "كلمات خجلى لرجال رائعين" إلى شهداء عملية بيسان، الذين أحرقتهم إسرائيل في الشوارع، وإلى كلِّ الرفاق المجهولين، حيث تقول:[٥]

أَلْقُوا بِجُثَثِكُمْ مِنْ شُرُفَاتِهِمْ لِتَتدحْرَجَ مَعَكُمْ هَزِيمَتُهُمْ

فَاسْتَقْبَلَتْ نَافذةُ الأَرضِ نَصْرَكُمْ

أَحْرَقُوكُمْ لِيَمْنَعوكُمْ مِنَ النومِ تَحْتَ تُرابِ فِلسطين

فَأَصْبَحْتُمْ تُرابَ هذهِ الأَرضِ

اليومَ تَمُوتُونَ مَرتين، مرة وأَنْتُمْ تُفَجِّرونَ صَوتَ الحقِّ

ومرة وهُمْ يَحْرِقُونَكُمْ عَلى تُرابِ فلسطين
أَخْطَأُوا عِنْدَما عَرَضُوا جُثَثَكُمْ في المزادِ العلني

---

[١] انظر: هارون هاشم رشيد، ديوان هارون هاشم رشيد، ص٢٨٣- ٢٨٤.

[٢] غاشم: ظالم. الغَشْمُ بمعنى الظُّلم والغَصْبُ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء العاشر، مادة (غَشَمَ).

[٣] الدجنات: الظُّلمات، مفردها (الدُّجْنَة) هي بمعنى الظُّلمة. انظر: المصدر نفسه، الجزء الرابع، مادة (دَجَن).
الأراقم: الأرقم: الحية التي فيها سواد وبياض. انظر: المصدر نفسه، الجزء الخامس، مادة (رَقَم).

[٤] أحلام مستغانمي: جزائرية، ولدت في تونس عام ١٩٥٣م، شاعرة وباحثة وروائية، نشأت في تونس، وأقامت في فرنسا عدَّة سنوات، ثم أقامت في لبنان مسقط رأس زوجها. لها عدة دواوين منها: ١- على مرفأ الأيام (شعر- ١٩٧٢م)، ٢- الكتابة في لحظة عري (شعر- ١٩٧٦م)، ٣- المرأة في الأدب الجزائري المعاصر: دراسة (١٩٨١م)، ٤- ذاكرة الجسد (رواية- ١٩٩٣م). انظر: كمال قاسم فرهود، موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، المجلد الأول، ص٦٨.

[٥] أحلام مستغانمي، كلمات في لحظة عري، دار الآداب، بيروت، شباط (فبراير) ١٩٧٦م، ص٢٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فعندما يكونُ للأمواتِ أكْثَرُ مِنْ ثَمن.. يكونون قد صَنَعوا الحياةَ

فَكُلُّ سِكينٍ غُرِسَتْ في جُثَثِكُمْ هي ثَمَنٌ جديد،

كُلُّ يَدٍ ألْهَبَتْ نار حَطَبكُمْ وَهَبَتْكُمْ حياةً جديدة

أشارت الشاعرة إلى قضية الارتباط بالوجود والتمسك بالأرض، فإسرائيل تحاول جاهدةً أَنْ تتخلَّص من أبناء تلك الأرض حتى بعد قتلهم، فنراها تعمل عامدةً على حرق جثث أبطال فلسطين؛ لأنَّها ترفض بقاء تلك الجثث تحت تراب فلسطين، ولأنَّها تُدرك أنَّ في بقاء تلك الجثث على تراب تلك الأرض نمواً للثورة من جديد[1].

لقد خلَّفت المآسي التي تعرَّض لها الشعب الفلسطيني على يد اليهود المحتلين مشاعر محزنةً، فهذا الشاعر وليد الأعظمي، الذي تأثر بتلك المآسي والأحداث الإجرامية التي طالت الأطفال والنساء والشيوخ والشباب، يبث مشاعره تجاه ذلك الاحتلال، الذي فَقَدَ كلَّ مشاعر الإنسانية، بكلِّ ما تحمله تلك الكلمة من معانٍ، فقال في قصيدة "النشيد الحزين":[2]

نَــرَى مَا لا تُصَــدِّقُهُ خَيَــالاً ... تُحقِّقُهُ عِصَابَاتٌ وَشَغْــبُ

تَرَى القُدْسَ الشَّرِيفَ تَعِيثُ فِيهِ ... شِرار الخَلْق مِنْ خَمْرٍ تَعِبُّ

تَرَى الأَقْصَــى تُدنِّسُهُ يَهُــود ... وَفِي مِحْرَابِهِ رَقْصٌ وَشُرْبُ

تَرَى الأَطْفَالَ مِنْ ذُعرٍ تُنَادِي ... فَلا أُمٌّ تُجَــاوِبُهُــمْ وَأَبُ

تَرَى قَتْلَ الشيوخِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ... هُنَا حَرْقٌ لَهُم وَهُنَاكَ صَلْبُ

فَأَيْنَ خَيْمَةُ الإِسْلامِ صَارَتْ؟ ... وَأَيْنَ مَضَى الأُلَى دَفَعُوا وَذَبُّوا؟

وتكشف الشاعرة دلال الخالدي في قصيدة "مأساة عصرنا" الحقائق الدالة على المجزرة الرهيبة التي خطط لها وأشرف عليها أرئيل شارون في صبرا وشاتيلا، حيث اعتدى اليهود على مخيمي صبرا

---

[1] محمد أحمد محمد المجالي، قضية فلسطين في الشعر المغربي (١٩٣٠م-١٩٨٠م) تونس، الجزائر، مراكش، إشراف الدكتور محمود السمرة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١١٠.

[2] وليد الأعظمي، الأعمال الشعرية الكاملة، تقديم عبد الله العقيل، ط٣، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٤م، ص٣٤٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين في لبنان في السابع عشر من أيلول ١٩٨٢م، وذبحوا وقتلوا وروعوا الأطفال والشيوخ والنساء فسقط أكثر من ألفي شهيد وجريح:[١]

بِصَبْـــرَا وَشَاتِيـــلا مُنِيْنَا بِنَكْبَـــةٍ ... تُذِيـــبُ الحَشَـــا مِنَّا.. تُدَوِّي وَتَقْرَعُ
فَكَمْ قَاتـــلٍ بَاتَ الليالي مُخَطِّطاً ... وَكَمْ مجـــرمٍ يدعي رقيب يخادعُ
فَشَـــارُونُ مَصَّاصُ الدِّمَـــاءِ بَرِيئة ... وَبيغـــن عَدُوُّ اللهِ يَمْضِـــي يُرَوِّعُ
سَـــرَى فِي المُخَيمَينِ[٢] يَذْبَحُ أَهْلَنَا ... وَيَمْشِي عَلَى الأَجْسَادِ يَطْغَى وَيَفْزَعُ
وَأَلْقَى قَذَائِـــفَ تُسْقِطُ الشَّـــرَّ كُلَّهُ ... تَدَاعَتْ بِـــهَا الأَرْكَانُ وَالمَوْتُ جَامِعُ
فَسَالَتْ دِمَاءُ الطفْلِ حَرَّى بِحُضْنِهَا ... وَرَاحَتْ تَلُـــمُّ الجُرْحَ حَيْرَى وَتَدْمَعُ

كما كشف نزار قباني في قصيدة "راشيل وأخواتها" عن حقائق مجزرة قانا في جنوب لبنان، حيث يقول واصفاً قتلهم للناس البريئين فيها، يرفعون أعلام القتل وحرابه، وكأنَّهم بذلك يكرِّرون ما فعله معهم هتلر النازي في الحرب العالمية الثانية عندما أراد التخلص من أعضاء الجماعات اليهودية في ألمانيا وفي البلاد الأوروبية (التي وقعت في دائرة نفوذ الألمان) وذلك من خلال تصفيتهم جسدياً في أفران الغاز[٣]، فقد هجموا على قانا "كأفواج ذئاب جائعة" إشارةً إلى قذارة اليهود، "يشعلون النار في بيت المسيح" وهذه إشارة إلى معاداتهم لكلِّ الأمم حتى الأنبياء وحقدهم عليهم والأولياء، يدمِّرون كلَّ حضارة ويقتلون كلَّ حي حتى الحجر ويدنسون كلَّ مقدس "ثوب الحسين" و"أرض الجنوب الغالية"، ويخربون كلَّ ما يُوحي بالحضارة والبراءة والإنسانية، يقول:[٤]

---

[١] انظر: دلال العلمي الخالدي، ديوان الأقصى الجريح، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص٧١-٧٢.

[٢] المخيمان: صبرا وشاتيلا.

[٣] وقد أطلق على تلك المحرقة اسم الهولوكوست وهي " كلمة يونانية تعني: "حرق القربان بالكامل" وهي بالعبرية "شواه" وتترجم إلَى العربية أحياناً بكلمة المحرقة. وتُستخدم للمُصطلح كلمة "هولوكوست" في العصر الحديث عادة للإشارة إلَى إبادة اليهود، بمعنى تصفيتهم جسدياً على يد النازيين. انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الأول، ص١٦٨- ١٦٩.

[٤] انظر: نزار قبَّاني، تنويعات نزارية على مقام العشق، ط٢، منشورات نزار قبَّاني، بيروت، فبراير ١٩٩٨م، ص٢٦٣-٢٦٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

دَخَلُوا قَانَا عَلَى أَجْسَادِنَا
يَرْفَعُونَ العَلَمَ النَّازِيَّ فِي أَرْضِ الجَنُوبْ.
وَيُعِيدُونَ فُصُولَ المِحْرَقَهْ..
هِتْلَرٌ أَحْرَقَهُمْ فِي غُرَفِ الغَازِ
وَجَاؤوا بَعْدَهُ كَي يُحْرِقُونَا..
هِتْلَرٌ هجَّرَهُمْ مِنْ شَرْقِ أُورُوبَّا..
وَهُمْ مِنْ أَرْضِنَا قَدْ هَجَّرُونَا.
هِتْلَرٌ لَمْ يَجِدِ الوَقْتَ لِكَي يَمْحَقَهُمْ[1]
وَيُرِيحَ الأَرْضَ مِنْهُمْ..
فَأَتُوا مِنْ بَعْدِهِ.. كَي يَمْحَقُونَا!!.
دَخَلُوا قَانَا.. كَأَفْوَاجِ ذِئَابٍ جَائِعَهْ..
يُشْعِلُونَ النَّارَ فِي بَيْتِ المَسِيحْ..
وَيَدُوسُونَ عَلَى ثَوْبِ الحُسَيْنْ..
وَعَلَى أَرْضِ الجَنُوبِ الغَالِيَهْ..
قَصَفُوا الحِنْطَةَ، والزيتونَ، والتَبْغَ،
وَأَصْوَاتَ البَلابِلْ..
قَصَفُوا قَدْمُوسَ[2] فِي مَرْكِبِهِ..
قَصَفُوا البَحْرَ.. وَأَسْرَابَ النَّوَارِسْ..
قَصَفُوا حَتَّى المَشَافِي.. وَالنِّسَاءَ المُرْضِعَاتْ..
وَتَلامِيذَ المَدَارِسْ
قَصَفُوا سِحْرَ الجنوبيَّاتِ
وَاغْتَالُوا بَسَاتِينَ العُيونَ العَسَلِيَّهْ!..

إنَّ دلال الخالدي ونزار قباني يعرضان في هاتين اللوحتين الشعريتين نازية اليهود، وبطولاتهم المزيفة عن الشعب الأعزل في فلسطين ولبنان. فها هم يظهرون مدى تعطشهم لشرب دماء الأبرياء في

---

(١) يمحق: يَمْحو ويحرق. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثالث عشر، مادة (مَحَقَ).

(٢) قَدْمُوس: يقصد لبنان. أو هو إشارة إِلَى أسطورة قدموس وأخته. وتتلخص الأسطورة بِأَنَّ زوش، كبير الآلهة، خطف "أورب" الجميلة، بنت أشنار، ملك صيدون، وأخت قدموس، فلحق بهما هذا الأخير إِلَى بلاد الإغريق لاسترداد أخته. وفي الطريق قتل تنيناً كان قد فتك باثنين مِنْ رجاله، وزرع أضراسه في الأرض كما أمرته آلهة الحكمة، فنبت رجالٌ مُسلحون تقاتلوا ولَمْ يبقَ مِنْهم إِلاَّ خمسة أصبحوا فيما بعد نبلاء ثيبا، أولى مئة مدينة ومدينة سيبنيها قدموس، وأعطت أورب اسمها للغرب بينما أعطاه قدموس الألفباء، أداة المعرفة". وهذه الأسطورة أشار إِلَيها سعيد عقل في مقدمة مسرحيته وهي بعنوان: (قدموس). انظر: أحمد سليمان الأحمد، دراسات في المسرح المعاصر، دار الأجيال، دمشق، ١٩٧٢م، ص٢٢٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library - Yarmouk University

قانا وصبرا وشاتيلا، فيوجِّهون صواريخهم ومدافعهم وأسلحتهم الغادرة في وجوه الأطفال والنساء والشيوخ، حيث أحاطوا بقانا، وكأنَّهم أفواج من الذئاب المتوحشة الجائعة، التي وجدت في أبناء قانا طعامها اللذيذ. ومن يتأمل الأسطر الشعرية السابقة يجد إيحاءً بمعاناة هؤلاء الذين تساقطوا على الأرض، بلا أي ذنب أو جريمة. فنحن أمام صورة من صور الأحداث اليومية، التي تجري على أرض الواقع في فلسطين ولبنان، صورة مليئة بالدماء والجراح، بالقتل والتمزيق والاغتيال. فاليهود الصهاينة قاموا بقذف صواريخهم باتجاه كلِّ من كانت تأويه الخيام، فمن بعد أن طردهم اليهود من ديارهم، وأصبحت الخيام هي الملجأ الوحيد لإوائهم وحمايتهم من حر الصيف وبرد الشتاء، أبى اليهود الصهاينة إلاَّ أنْ يمحقوهم ويقتلوهم، حتى لا يُفكِّروا بالعودة من جديد إلى ديارهم أو التفكير بمقاومتهم.

وقال عبد الرحمن العشماوي في قصيدة "لا تقولوا" عن سفاح القرن العشرين "شارون"، الذي ارتبط اسمه بكلِّ الحروب التي اندلعت بين العرب واليهود، منذ عام ١٩٤٨م وحتى عام ١٩٨٢م؛ حيث كان مسؤولاً عن مجزرتي قبية عام ١٩٥٣م، وصبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢م، وغيرها من الجرائم التي كانت سبباً في اندلاع شرارة الانتفاضة عام ٢٠٠٠م[١]:[٢]

لا تَقُولُوا:
أَسْرَفَ المُجْرِمُ فِي القَتْلِ وَفِي الظلمِ تَمَادَى
وَإِلَى قَصْعَتِنا جَيْشُ الأَبَاطيلِ تَنَادى
أَبْدَأَ الغَاصِبُ فِينا وأَعَادا
لا تَقُولُوا:
.. ..
صَرَخَ الطِّفلُ ونَادى، ثُمَّ نَادى، ثُمَّ نَادى
ثُمَّ فَاضَتْ رُوحُهُ في عَتْمَةِ الليلِ وفي القلبِ كَمَدْ[٣]
...

---

[١] عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، المجلد الثالث، ص٤٢٩.

[٢] انظر: عبد الرحمن بن صالح العشماوي، ديوان القُدْسُ أنت، ص٣٨- ٣٩.

[٣] كَمَدْ: حُزْن مكتوم. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثاني عشر، مادة (كَمَدَ).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لا تَقُولُوا:

إِنَّ شارونَ، ومَنْ شارونُ؟ باغٍ يتبَخْتر[1]
ظَالمٌ فِي جَيْشِ إِبْلِيسَ مُسَخَّرْ
مُدْمِنٌ يَشْرَبُ خَمْرَاً مِنْ دَمِ الطِّفْلِ المقطَّرْ
مُغْرَمٌ بِالعُنْفِ يَشْتَاقُ إِلَى رُؤْيةِ مَقْتُولٍ مُعَفَّرْ

تلك هي ملامح شخصية السفاح (شارون)، حيث أسرف في قتل الأبرياء دون وجه حق، وكأنَّ تلك الدماء التي تنزف خمر استساغته زعامات تلك الدولة، تلذَّذوا في شربه كأساً تلو الآخر، ليزداد إحساسهم بالنشوة والفرح والمتعة. ومن خلال تلك اللوحة الشعرية نرى أنَّ شارون ظالم سخرته قوى إبليس على الأرض، ليمتص دماء الفلسطينيين، ويستمتع برؤية المقتولين منهم.

ولم يكن لذلك النازي أنْ يرفع علمه الملطخ بدماء الأبرياء، إلاَّ على أنقاضهم ودمار وطنهم. فلولا أسلحتهم وطائراتهم لما استطاع شارون، الذي صورته دلال الخالدي بأنَّه مصَّاص دماء، وبيغن، عدوا الله، أنْ يسفكا دماءنا. والحب الذي تأصل في نفوس اليهود لسفك الدماء، هو نتيجة الاضطهاد الذي لاقوه أيام هتلر، الذي قام بحرق اليهود في أفران معسكرات الاعتقال وإبادتهم، وتعذيبهم. ولم يسلم من ذلك العذاب أحد لا الأطفال ولا النساء، ولا حتى الشيوخ. فكانت تلك المحرقة محركاً للحركة الصهيونية، التي قامت بممارسة ذلك الاعتداء، وبنفس الطريقة النازية الهتلرية[2]. وهم بتلك الجرائم يُعيدون هذا الاضطهاد، ولكنهم في هذه الأيام هم كهتلر، بل أكثر فتكاً وفظاعةً منه، والفلسطينيون كاليهود في الاضطهاد آنذاك.

ويُطالعنا الشاعر نفسه في قصيدة "نكهة الموت" بجرائم الصهيوني النازي شارون، فيقول:[3]

آلَةُ الحَربِ هُنَا، آلَـــةُ مَوْتٍ زَادُهَا اليومِيُّ بِنْتٌ وَغُـــلامُ
زَادُهَا لَيْلَى وَإِيمَانٌ وسُعدَى وَنِضَالٌ وَجِـــــهَادٌ وَعِصَامُ

---

[1] التَّبختر: مِشية حسنة. انظر: ابن منظور، لسنن العرب، الجزء الأول، مادة (بَخْتَرَ).

[2] انظر: أحمد نوفل، الحرب النفسية بيننا وبين العدو الإسرائيلي (الكتاب الثالث)، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، سلسلة الحرب النفسية، عدد٤، ص١٢٨-١٢٩.

[3] انظر: عبد الرحمن بن صالح العشماوي، ديوان القُدْس أنت، ص٢٠٨- ٢٠٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

زَادُهَا اليومِيُّ أَشْـــلاَءُ نِسَاءٍ وَشُيوخٍ وَهَنَتْ مِنْهَا العِظَامُ

زَادُهَا فِي رَحِـمِ الأُمِّ جَنينٌ وَرَضِيعٌ لَـمْ يُفَارِقْهُ الفِطَامُ

آلةُ الحَربِ هُنَا وَحْشٌ مُخِيفٌ هَائِجٌ، غَايَتُهُ الكُبْـرَى انْتِقَامُ

يَا نِظَامَ الدُّولِ الكُبْرَى سَمِعْنَا مِنْكَ لَوْمَاً، عَجَبَاً كَيْفَ نُلامُ؟!

أَتُلامُ امْرَأَةٌ ثَكْلَـــى تُنَادِي أَيُلامُ الشَّعبُ بِالقَهْرِ يُسَامُ؟!

أَمْنَ الإِرْهَابِ شَـارُونُ بَرِيءٌ وَهُوَ بِالقَتْلِ شَغُـوفٌ مُسْتَهام؟!

يُشير الشاعر في الأبيات الشعرية السابقة إلى أنَّ مسلسل الإجرام متواصل ومستمر، ففي كلِّ يوم تستهدف آلة الحرب البنات والغلامان، النساء والشيوخ، الجنين والرضع. فآلة الحرب، من وجهة نظر الشاعر، وحش مخيف هائج، لا يفكر إلاَّ في الانتقام. فعلام يا نظام الدول الكبرى تلومين هؤلاء الصرعى، تلومين الأم الثكلى، وها هو شارون يمرح في الأرض المقدسة، يبيح فيها الفساد، فكيف تتم تبرئته من الجرم الذي أدين به؟! على الرغم من أنَّه لم يُراعِ حرمة أحد، وقام بقتل الطفل والشاب والعجوز؟!.

أمَّا محمد جميل شلش فقد حاول أنْ يضعنا أمام الواقع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، وكيف حاول المحتلون قتل أفراده باستخدام مختلف الأسلحة والمواد المحرمة دولياً، حيث قاموا بحرقهم بقنابل النابالم[1]، وهذا ما أشار إليه الشاعر في قصيدة "إلى شعوب العالم" بقوله:[2]

إِلَيْكُمُو.. مِنْ عَالَمٍ تُحْرِقُهُ قَنَابِلُ النَّابَالم
فِي جَزِيرةِ العَرَبْ

---

[1] النابالم:" اسم يطلق على قنبلة حارقة شديدة الانفجار استخدمت مُنْذُ الحرب العالمية الثانية، وتكون في أحجام مختلفة، تتميز بأنَّ بها خزاناً لَهُ غلاف معدني، (مِنْ سبيكة نلفنسوم عادة) يحتوي على جازولين هُلامي فإِذَا اصطدمت بالهدف حدث انفجار تصحبه حرارة شديدة إِلَى درجة أنها تُذيب وتفتت الغلاف المعدني الذي يتطاير في كُلِّ اتجاه فيضاعف آلام المصاب. وقد استخدمت إسرائيل قنابل النابالم ضدَّ عرب الضفة الغربية بالأردن أثناء العدوان الإسرائيلي الاستعماري في يونيو ١٩٦٧م". انظر: أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ص١٢٨٧.

[2] انظر: محمد جميل شلش، ديوان محمد جميل شلش، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨م، ص٤٠٣- ٤٠٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

إِلَيْكُمُو نَرْفَعُ صَوْتَ شَعْبِنَا الجَبَّار

فِي حَيَاءْ

فَنَحْنُ أَقْوِيَاء

وَنَحْنُ فِي المِحْنَةِ لا نَشْكُو إِلَى أَحَدْ

مِنْ مُجْرِمٍ، ضَمِيرُهُ مَاتَ إِلَى الأَبَدْ

لَكِنَّنَا نَرْفَعُ هَذَا الصَّوتَ فِي إِصْرَارْ

لَعَلَّهُ يُوقِظُ فِي عَالَمِنَا

المُنْسَحِقِ المُنْهَارْ

نَخْوَةَ كُلِّ البَشَرِ الأَحْرَارْ

وأشار إلياس فرحات إلى تلك الأسلحة الفتاكة التي استخدمها الإسرائيليون لقتل الفلسطينين والعرب، كما أن الشاعر يستنكر عليهم ما يقومون به، فإذا لم نكن واليهود أقرباء، فما هي العلاقة التي تربط بيننا، أنكون جيران؟! وهل يقوم الجار بإيذاء جاره؟! وإن كانت عروبتنا هي التي تغيضهم وتحثهم على قتلنا، ألسنا من بني الإنسان، الذي حرَّم الدين قتل الإنسان بغير حق، وفي هذا إشارة إلى لا إنسانية الصهيانة وعدم احترامهم لمعاني الحرية والكرامة، يقول:[1]

إِنَّ الأُلَى قَتَلَ اليهودُ وَشَرَّدُوا ... بِسِلاحِ فَتَّاكٍ وَسَعْيِ جَبَانِ

إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَنَا فَمَا هُمُــو ... جِيرَانُنَا؟ أُنسِيءُ بِالجِيرَانِ؟!

إِنْ لَمْ نَكُنْ عَرَباً يَمِيلُ بِنَا الهَوى ... مَعَهُمْ، أَلَسْنَا مِنْ بَنِي الإِنْسَانِ؟

وإذا ما انتقلنا للشاعر محمود عبد الحميد الأفغاني، فإنَّنا نجده يعلن مقاومته ورفضه لوجود المحتل على الأرض الفلسطينية، وأنَّه مهما طال الليل، فلا بدَّ لنور الشمس أنْ يشرق، حيث يقول في قصيدة "أرض الفداء":[2]

إِيه صُهْيُون... لَقَدْ طَالَ المَــدَى ... وَلَقَدْ غَــرَّكَ، نَجْــمٌ، قَدْ أَفَــلْ

فَلْتَذُبْــح... وَلْتَقْتَــل... مَنْ تَشَا ... وَلْتُحَارِب.. فَوْقَ سَهْلٍ، أَوْ جَبَلْ

عَنْ قَرِيبٍ.. سَوْفَ نَأْتِي، فِي غَدٍ ... إِنَّ يَــوْمَ الثَّأْرِ.. آتٍ، لا جَدَلْ

---

[1] إلياس فرحات، ديوان مطلع الشتاء، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٨٦.

[2] محمود عبد الحميد الأفغاني، ديوان الأفغاني شاعر شباب فلسطين، مطابع الدستور التجارية، عمان، (د.ت)، ص٨٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سَـــوْفَ لا نَغْسِـلُ، إلاَّ بِالدَّما مَوْطِنَاً.. دَنَّسَـهُ الشَّعْبُ الخَوَلْ[1]

لقد دمَّر اليهود فلسطين، وجعلوا معظم قراها ومدنها ركاماً، ومن تحت هذا الركام زرعت جثث الفلسطينيين، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فحسب، بل تجاوزوه إلى حرق الأشجار، وهدم المدارس على رؤوس الأطفال. وهذا ما حرَّك مشاعر الشاعر العربي، وجعله يواجه اليهود، برفضه واستنكاره لما يقومون به على الأرض المقدسة. فقد عبَّر الشاعر فاروق مواسي في قصيدة "أسماك القرش" عن تلك الجرائم بحق الإنسانية، مسجِّلاً ما وقع في باقة الغربية يوم الأرض سنة ١٩٧٧م بقوله:[2]

يَطوفُ فِي بَاقَةَ فِي الشَّوارِعْ
وَيَقْذِفُ القَنابِلَ الَّتِي تُهَيِّجُ المَدامِعْ
تُهَاجِمُ الأَطْفَالَ فِي المَدارِسْ
شَراسَةُ الأوغادِ، تَقْحَمُ الجَوامِعْ
عِصِيُّهُم سِلاحُهُمْ، وَنَقْمَةُ الغضبْ
تُلاحِقُ الكِبارَ والصِّغارْ

أمَّا فدوى طوقان في قصيدة "إلى السيد المسيح في عيده" فقد لجأت إلى التَّوراة، لتأخذ قصة الكرامين، الذين أحاكوا مؤامرةً ضد وارث الأرض وصاحبها، فقاموا بقتله، ومن ثم الاستيلاء على أرضه وكرمه[3]. ومن خلال تلك القصة تعرَّضت الشاعرة لما حصل بين الشعب الفلسطيني صاحب الأرض واليهود المعتدين، الذين سلبوهم أرضهم عن طريق القتل والتدمير، تقول:[4]

قَتَلَ الكَرَّامُونَ الوَارِثَ يَا سَيِّدُ–
وَاغْتَصَبُوا الكَرْمْ
وَخُطَاةُ العَالَمِ رَيَّشَ فِيهم طَيْرُ –
الإِثْمْ

---

[1] الخول: قد يكون الخَوَلُ واحداً وهو اسم يقع على العبد أو الأَمَة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الرابع، مادة (خَوَلَ).

[2] فاروق مواسي، الأعمال الشعرية الكاملة، مكتبة كُلِّ شيء، حيفا، (د.ت)، المجلد الأول، ص١٣٤.

[3] يوسف بكار، فدوى طوقان: دراسة ومختارات، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، سلسلة الشعراء الأعلام، ٢٠٠٤م، ص٣٧.

[4] فدوى طوقان، ديوان فدوى طوقان، ط٥، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧م، ص٥٠١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وَانْطَلَقَ يُدَنِّسُ طُهْرَ القُدْسْ
شَيْطَاناً مَلْعُوناً، يَمْقُتُهُ حَتَّى الشيطان

صوَّرت فدوى طوقان اليهود بأنَّهم شياطين ملعونة، كرههم كلُّ البشر، حتى الشيطان أصبح يمقتهم، لكثرة ما تلطَّخت أيديهم بالدماء، ولعدوانيتهم وهمجيتهم في تعاملهم مع الآخرين. من هنا جاء تعبير الشاعرة للقوى الصهيونية، التي تدعمها أمريكا وبريطانيا، وعن عدوانها على أرضنا العربية، صادقاً وواضحاً- وكأنَّنا في ذلك التعبير، نرى صورةً واقعيةً، تظهر لنا ما اتسم به اليهود من التدمير والقتل وطمس معالم حضارتنا العربية والإسلامية[1].

وفي استحضار الشاعرة لشخصية السيد المسيح نرى أنَّها قد تركت للقارئ مهمة الوصول إلى دلالتها الرمزية المعاصرة، وجعلت مدينة القدس تصلب، وكأنَّها تريد أنْ تُشير إلى أنَّ أولئك الذين صلبوا السيد المسيح قد كرَّروا جريمتهم حينما احتلوا مدينة القدس وصلبوها[2].

وعن تلك الجرائم البشعة قال علي صدقي عبد القادر في قصيدة "الشوارع المثقوبة الآذان"، باثاً للقارئ أسلوب التحدي والمقاومة التي يواجه بها الشعب الفلسطيني همجية المعتدين، مبرزاً أساليبهم القمعية، التي ابتعدت عن كل ما تحمله كلمة الإنسانية من معان:[3]

اللَيلُ يَمْضِي، وَالكِلابُ تَلْعَقُ الدِّمَاء
وَالرُّعْبُ يَجْلِدُ الزُّقَاقَ فِي الظَّلام
وَأَعْيُنُ النِّسَاءِ، فِي ثُقُوبِ البابِ تَنْتَظِر
(وَالأُمَمُ المُتَّحِدة)
تَهُزُّ ذَيْلَ (إِسْرَائِيلَ) عَابِثَة
بِلا إِكْتِرَاث

---

(1) عمر يوسف القادري، التجربة الشعرية عند فدوى طوقان بين الشكل والمضمون، دار هومة، الجزائر، ١٩٩٠م، ص٢٢١.

(2) انظر: محمد أحمد محمد المجالي، المدن العربية المقاتلة في الشعر الحديث (القدس، بيروت، البصرة) ١٩٤٨م-١٩٨٨م، ص٣٢٧- ٣٢٨.

(3) علي صدقي عبد القادر، ديوان اشتهاء مع وقف التنفيذ، ص١٢١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لأَنَّ لُعْبَةَ (اليهودِ) بِالدِّمَاءِ لَمْ تَتم

يُصوِّر الشاعر في الأبيات السابقة مشهداً دموياً، يُجسِّد فيه فظائع اليهود وحقدهم، الذي كان نتيجته قتل الأبرياء وإرعابهم. كما يُصوِّر لنا الممارسات الشيطانية التي لم تكترث لها الأمم المتحدة أو تعر لها اهتماماً، وإنَّما رأتها كلعبة يستمتعون باللعب بها، فصارت شوارع فلسطين ممتلئةً بالقتلى والجرحى، وصُبغت الأرض بلون الدماء، وقام اليهود بتسليط الكلاب على الجثث، لتقوم بلعق الدماء بكل شراهة.

إنَّ ذلك المشهد الذي تشمئز منه النفوس، وتقشعر له الأبدان، ليمثل مدى الحقد والكراهية التي تأصلت في نفوس اليهود، والتي جعلتهم يرمون غيرهم بسهام من نار، يقول هارون هاشم رشيد في قصيدة "إننا عائدون":[1]

وَعَلَى المَسَاجِدِ وَالكَنَائسِ وَالمَعَاهدِ يَعْتَدُونَ
وَيُلطِّخونَ طَهَارةَ الأَقْدَاسِ... ظُلْمَاً يَجْرِمُونَ
لَكِنَّهُم لا يَعْلَمُونَ... أَنَّ الغَدَاةَ سَيُهْزَمُون
وَسَيَطْعَنُونَ بِمَا جَنُوا مِنْ ظُلْمِهِم وَسَيَنْدَمُونَ
مَهْمَا تَطَاولَتِ السنونُ، وَأَمْعَنَ المُستَكْبِرُونَ
لا بُدَّ يَوماً يُهزمونَ، ومِنَ الدِّيارِ سيُطْرَدُونَ

لقد بثَّ الشاعر روح المقاومة والمواجهة في نفوس الأحرار، وحثَّ الأبطال على الدفاع عن الوطن المسلوب. ويؤكِّد أنَّ ظلم اليهود لن يدوم، مهما طال الزمان. وفي قول توفيق زيَّاد تأكيد على حتمية زوال اليهود من أرض فلسطين:[2]

أيُّ شيءٍ
يَقْتُلُ الإِصْرَار
فِي شَعْبٍ مُكَافِح؟
أيُّ حَرْبٍ

---

[1] هارون هاشم رشيد، ديوان هارون هاشم رشيد، ص١٠٥.

[2] توفيق زيَّاد، ديوان توفيق زيَّاد، دار العودة، بيروت، ٢٠٠٠م، المجلد الأول، ص٢٢٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

قَدِرَتْ يَوْمَاً، عَلَى
سَرِقَةِ أَوْطَانِ الشُّعُوب؟
وَطَنِي..!! – مَهْمَا نَسَوا–
مَرَّ عَلَيهِ
أَلْفُ فَاتِحْ
ثُمَّ ذَابُوا..
مِثْلَمَا
الثلجُ يَذُوبْ..!!

إنَّ دولة الاحتلال ولم تكتفِ بارتكاب المجازر الدموية ضد شعب أعزل، ليس له من ذنب أو جناية إلاَّ أنْ تبقى أرضه نظيفةً من أيِّ رجس، أو عدوان. فمجزرة تلو مجزرة قامت برصد الشعب الفلسطيني وقتله بدم بارد، وإنَّما لجأت إلى اغتيال القادة والمناضلين، ففي قصيدة "بضع كلمات وقسم"، قال سليمان العيسى مذكِّراً المتلقي بحادثة اغتيال المجاهد أبي جهاد ليلاً في منزله بتونس:[1]

كُلُّ الرَّصاصِ ليَقتُلوكْ
كُلُّ الرَّصاصِ.. ليُسْكِتُوكْ
كُلُّ الرَّصاصِ.. ليُطفئوا شَرَراً
كُلُّ الرَّصاصِ.. ليُخمدوا حَجَراً

إنَّ المعتدين قد لجأوا إلى أسلوب التصفية الجسدية واغتيال قادة عرفوا بنضالهم ضد اليهود، فقاموا باستخدام وسائل متعددة لتنفيذ تلك التصفيات، سواءً بتفجير منازلهم، أو سياراتهم، أو تلغيم طرد يرسلونه للقائد المستهدف، أو إرسال رسائل تحتوي على كمية من المتفجرات، كما فعلوا مع مدير الأبحاث الفلسطينية أنيس الصايغ، الذي بُترت بعض أصابعه، نتيجةً لفتحه رسالةً متفجرةً، أرسلها الصهاينة إليه، فما أنْ قام بفتحها، حتى تفجرت بين يديه[2].

---

(1) انظر: سليمان العيسى، نشيد الحجارة: مجموعة قصائد، ص٢٥-٢٦.

(2) أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ص١٥٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد تنوعت وسائل اليهود في اغتيالهم للمقاومين والمجاهدين، الذين رفضوا زرع اليهود في أرض فلسطين، فقاموا بتصفيتهم، متوهمين أنَّهم بهذا الاغتيال يمكنهم إخماد روح المقاومة. هذه الاغتيالات كان لها ردٌّ فعل معاكس، ففي كلِّ يوم يولد مقاوم رافض لوجود اليهود في فلسطين.

وقد أشار الشاعر بدوي الجبل (محمد سليمان الأحمد) في قصيدة "من وحي الهزيمة" إلى حرفة اليهود: القتل والفتك والتدمير، التي مارسوها ضد الشعب العربي الفلسطيني:[1]

لَنْ يَعِيشَ الغَازِي وَفِي الأَنْفُسِ ... الحِقْدُ عَلَيهِ، وَفِي النُّفُوسِ السَّعِيرُ
يَحْرِقُ المُدنَ، وَالعَذَارَى سَبَايَا ... وَصَغِيـــرٌ لِذَبْحِـــهِ وَكَبِيـــرُ
دِينُهُ الحَرْقُ والإِبَادَةُ وَالحِقْدُ ... وَشَتْـــمُ الأَعْرَاضِ وَالتشهِيـــرُ
صَوَّرَتْهُ التَّورَاةُ بِالفَتْكِ وَالتدمِيرِ ... حَتَّـــى لَيَفْـــزَعَ التصـــويرُ

دعا الشاعر الأمة العربية إلى النهوض والوحدة، من خلال تلك القصيدة، التي بعثت في النفوس الأمل بإلحاق الهزيمة بالمعتدي. كما أشار إلى ما جاء في التَّوراة من صور واضحة، تدلُّ على نهم اليهود إلى سفك دماء الأبرياء، لنجده يقول: إنَّ التَّوراة قد فزعت مما وسموا به، يقول بدوي الجبل في القصيدة ذاتها:[2]

هَتَكُوا حُرْمَةَ المَسَاجِدِ لا جَنْكِيزُ[3] ... بَارَاهُـــمُ ولا تَيْمـــورُ[4]

---

(1) بدوي الجبل، ديوان بدوي الجبل، ط2، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة- إيران، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص١٩٩.

(2) المصدر نفسه، ص٢٠٣.

(3) جنكيز خان: "يعرف باسم (تيمو تشجين)، ولد في وقت عاد فيه والده مِنْ إحدى غزواته المعتادة على التتار. وقد ولد قابضاً في يده اليمنى بعلقة في حجم عظمة الظلف. صادف يوم ولادته أسر تيمو تشجين أوغى التتري، فلذا سمي بـ (تيموتشجين). وعند رؤية إيسوغاي للمولود قابضاً عند ولادته قبضة مِنَ الدم المتخثرة عدَّ هذا بمنزلة إشارة بالرسالة الملقاة عليه في الحياة كمقاتل ومصيره في الحياة كفاتح، ولهذا أطلق عليه الأعداء اسم الأسير". انظر: ي.أ. كيتشانوف، حياة تيمو تشجين (جنكيز خان) الذي فكر في السيطرة على العالم: الشخصية والعصر، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، السلسلة المشتركة للبحوث والمصادر في تاريخ الجزيرة العربية وبلدان الخليج، رقم٢، ص٣٢.

(4) تيمور لنك: "ولد عام ١٣٣٦م لأب لَمْ يكن غنياً ولكنه صاحب نفوذ. وقد ولع منذ صباه بالخيل فأصبح فارساً ممتازاً، وتجمَّعت حوله في شبابه قلة مِنَ الفرسان، مسلحة تسليحاً جيداً، استغلها تيمور في ظروف الفوضى الإقطاعية لمهاجمة أراضي الجيران والقوافل بهدف الحصول على الغنائم. وقد أصيبت رجله وكذلك يده اليمنى في إحدى هذه الهجمات فأصلح رجله بالحديد، وكان ذلك سبب اشتهاره باسم (تيمور لنك) أي تيمور الأعرج أو اسم (الأعرج الحديدي) لأنه أصلح رجله بالحديد. توفي في ١٨ شباط من عام١٤٠٥م". انظر: أ. يو. يكوبوسفكي، تيمور لنك وصف موجز لسيرة حياته، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، مجلد١٥، عدد٧، ١٩٨٨م، ص٩٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

قَحَمُوهَا عَلَى المُصلِّينَ بِالنَّارِ فَشِلْوٌ[1] يَعْلُو وَشِلْوٌ يَغُورُ
أَمْعَنُوا في مَصَاحفِ اللهِ تَمْزِيقاً وَيَبْدُو عَلَى الوجُوهِ السُّرُورُ
فُقِئَتْ أَعْيُنُ المُصلِّينَ تَعْذِيباً ودُبِسَتْ مَنَاكِبٌ وصُدُورُ

يرسم الشاعر لوحةً دمويةً تعبر عن سلسلة من الجرائم التي اقترفها اليهود بحق الفلسطينيين، فسعى جاهداً لإبرازها ووضعها أمام ناظرينا، لنتذكر كلَّ ما يفعله اليهود في أرض فلسطين. فأيُّ إنسان غيور على دينه، سيحاول أنْ يُقاوم تلك الشوكة المزروعة في صدورنا. كيف لا يُقاوم المسلم من يدنِّس بيديه كتاب الله الكريم، ويقوم بتمزيقه، فرحاً مسروراً، ومن بعد ذلك نجده يقتل كلَّ من نطق باسم الله وبالشهادتين، يفقأ أعينهم، ويسحق أقدامهم[2].

إنَّ جلَّ ما يفعله اليهود اليوم في فلسطين هو من وحي التَّوارة والتلمود، حيث استمدوا منهما كلَّ تعاليمهم المتمثلة بالقتل والتدمير والإبادة الجماعية. فكتبهم تسمح لهم بأنْ يفعلوا أيَّ شيء بـــ (الجوييم)[3]، من هنا كان حبهم لسفك الدماء وقتل الأبرياء. وبرأي الشاعر وكلِّ العرب والمسلمين، لن يعيش هذا الغازي طويلاً على أرضنا، طالما ظلت تنبعث روح المقاومة والجهاد في نفوسنا.

أمَّا القروي (رشيد سليم الخوري) شاعر العروبة، الذي شغل بفلسطين وعمل من أجلها، وطاف المدن والقرى في المهجر، وهو يحثُّ على إسناد شعب فلسطين ومناصرته والجهاد في سبيل التحرر والانعتاق[4]، فيقول في قصيدة "وعد بلفور":[5]

أَلأَجْلِ مَبْكَاكُم تُــرَاقُ دِمَاؤُنَا دَمْعٌ يَسِيلُ وَلا دِمَاءٌ تُهْدَرُ

---

(1) الشِلْو: القطعة من اللحم لأنها بقية منه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، المجلد السابع، مادة (شَلا).

(2) أكرم جميل قنبس، بدوي الجبل شاعر العربية والعرب، ص١١٣.

(3) الجوييم: "اسم عبري يطلقه اليهود على المسيحيين خاصة وعلى غير اليهود بصفة عامة، ويعني الأميين أو الوثنيين أو الأجانب. تردد ذكره في التلمود الذي يشير في مواضع متعددة بما يفيد استعلاء الشعب اليهودي على غيره من الشعوب، كما يشير إلى أن الجوييم هم أعداء اليهود"ز انظر: أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ص٤٣٠-٤٣١.

(4) أحمد مطلوب، القروي شاعر العروبة في المهجر، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٥م، ص١٤٢.

(5) القروي: رشيد سليم الخوري، الأعمال الشعرية الكاملة، دار المسيرة، بيروت، حزيران ١٩٨١م، الجزء الأول، ص٤٤١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تَتَهَافَتُــونَ عَلَى الجدَارِ كَأَنَّهُ يَوْمُ القِيَامَةِ وَالجدَار المَحْشَرُ
فِي كُلِّ مُضْطَرَبٍ لَكُم مَبْكَى فَلِمَ هَذَا النَّعِيبُ عَلَى الخَرَابِ يُؤْثَرُ
مَاذَا يُفِيــدُ بُكَاؤُكُمْ وَذُنُــــوبُكُم تَطْغَى عَلَى قَبْرِ المَسِيحِ وَتَزْخَرُ
قَدْ سَمَّرَتْهُ عَلَى الصَّلِيبِ جُدُودُكُم وَاليومُ مِنْكُم لا يَزَالُ يُسَمَّرُ

وقال حيدر محمود في قصيدة "هنا.. كان" مذكِّراً بالجرح الفلسطيني الدامي:[1]

وأسألُ
عَنْ مَسْرَى الرَّسُولِ،
دُرُوبها؟!
فَيَرتَدُّ، مَخنُوقاً،
إِلَيَّ.. جَوابُها:
هُنَا كان..
مِنْ عشرينَ عاماً،
وأَطْبَقَتْ ..
عليهِ "يهودٌ" ...
فاستوى فيهِ نابُها!
وهيكلُها المزعومُ،
قامَ .. مقامَهُ..
وصارَ كتابَ العالمين،
"كِتابُها!"
.. يُدين بهِ شرقٌ،
وغربٌ

لقد بات طعام المعتدي وشرابه دماء الفلسطينيين، حيث قام بتقتيلهم وتعذيبهم لرفضهم وجوده على أرضهم ولإصرارهم على إقامة دولة حقيقية لهم في فلسطين، فلجأ إلى هذا الأسلوب من العنف؛ لأنَّهم لم يجدوا طريقةً أخرى ليتخلصوا من أبناء الشعب الفلسطيني، الذي أثبت تمسكه بأرضه. فاليهود منذ أنْ وطئت أقدامهم فلسطين، وهم يحاولون أنْ يجمعوا أشتاتهم من كلِّ أنحاء العالم ليضعوها في فلسطين، ولكن ذلك لم يكن إلاَّ على حساب الفلسطينيين، الذين قتل بعضهم، وهجر آخرون، أمَّا من بقوا في الأرض

(1) حيدر محمود، الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١م، ٤٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فقد حاول الصهاينة أنْ يجلبوهم إلى السجون، ليحاكموهم دون تهمة أو جرم اقترفوه. وهم بتلك السياسية التي يتبعونها في حياتهم، أبشع من سياسة جنكيز وتيمور لنك[١].

وعن حقيقتهم ومزاعمهم الزائفة الباطلة، يقول أحمد محرم الشاعر الذي هزته مأساة فلسطين هزاً قوياً، حتى استولت على مشاعره في قصيدة "فلسطين الجريحة":[٢]

نَفَتْهُم فِجَاجُ الأَرْضِ مِنْ سُوءِ مَا جَنُوا فَجَاؤُوا عَلَى ذُعْـرٍ عَبَادِيدَ[٣] شُرَّدَا
يُرِيدُونَ مُلْكَـاً فِي فِلَسْـطِينَ بَاقِيا عَلَى الدَّهرِ يَحْمِي شَعْبَهُم إِنْ تَمَرَّدَا
يُدِيرُونَ فِي تَهْوِيدِهَا كُـلَّ حِيلَةٍ وَيَأْبَـى لَهَا إِيمَانُهَا أَنْ تُهَـوَّدَا

عاش اليهود منذ القدم مشردين في كلِّ أنحاء العالم، ولم يسلم من عقدهم النفسية وحقدهم الأسود أياً من البشر في أيِّ مكان. ولم تكن فلسطين خيراً من سائر البلاد التي ألقى اليهود سمومهم فيها[٤]، فلقد جاء اليهود إلى أرض فلسطين، زاعمين أنَّ لهم حقاً في امتلاك تلك الأرض، وقد أعطاهم الله هذا الحق، كما يزعمون في كتابهم المقدس. فمنذ صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م، واليهود يسعون عن طريق الحركة الصهيونية، إلى المجيء إلى فلسطين على اعتبار أنَّها حق لهم.

قال وايزمن، رئيس دولة إسرائيل الأسبق: "لقد وجدنا في فلسطين حين أخذنا وعدنا وجئنا بعد الحرب لتنفيذ الوعد، أساساً يصلح للبناء عليه. وشعرنا أننا لسنا بادئين، وإنَّما كنا نكمل بناءه الذي بدأناه"[٥].

---

(١) أكرم جميل قنبس، بدوي الجبل شاعر العربية والعرب، ص١١٤.

(٢) أحمد محرم، ديوان الأقصى الحزين، تحقيق محمود أحمد محرم، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٤م، ص٧٣.

(٣) عباديد: العباديد والعبابيد ، بلا واحد، هم الفِرق من الناس. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء التاسع، مادة (عَبَدَ).

(٤) وليم الخازن، الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية من مطلع النهضة إلى عام ١٩٣٩م، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م، ص٣٤٩.

(٥) حاييم وايزمن، مذكرات حاييم وايزمن (أول رئيس لدولة إسرائيل) بقلمه ١٩٥٢م، منشورات دار الفنون، بيروت، ٢٠٠٦م، ص٢٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سعى اليهود إلى سلب الشعب الفلسطيني أرضه، إضافةً إلى قيامهم بطرد أصحاب تلك الأرض وساكنيها. وقد أباحت لهم عقائدهم ذلك، فصاروا يخطِّطون لطرد أهل فلسطين من الأرض وإبعادهم عنها، وإن لم يقدروا على ذلك، فإنهم يستخدمون العنف والسجن وسيلةً لتثبيت أقدامهم على تلك الأرض[1]. فبعد أنْ قاموا بإحياء ذلك العهد القديم، الذي وعد به الله نبيه إبراهيم عليه السلام ونسله من بعده بأنَّ الأرض لهم. ومن خلال ذلك الوعد جلبت الحركة الصهيونية، بمساعدة بعض القوى الاستعمارية، بعض اليهود المشتتين وزرعتهم في أرض فلسطين. وفي قصيدة لإبراهيم طوقان بعنوان "زيادة الطين"، يذكر فيها الطوفان الذي طغى على مدينة نابلس وضواحيها سنة ١٩٥٣م يقول:[2]

وَلا تَزَالُ مِـنَ الزَّلْزَالِ بَاقِيَـةً ... تِذْكَارُهَا يُـوقِدُ الأَكْبَادَ إِيقَادَا[3]
مُنْذُ احْتَلَلتُمْ وَشُؤمُ العيشِ يُرْهِقُنَا ... فَقْراً وَجَـوْراً وَإِتْعَاساً وَإِفْسَادَا
بِفَضْلِكُم قَدْ طَغَى طُوفَانُ "هِجْرَتِهِم" ... وَكَانَ وَعْـداً تَلَقَّيْنَاهُ إِبعَادَا[4]
وَاليومَ، مِنْ شُؤمِكُمْ، نُبلَى بِكَارِثَةٍ ... هَذَا هُوَ الطِّينُ وَالمَاءُ الَّذِي زَادَا...

لقد أفرز اليهود ثقافةً استمدت روحها من ملاحقة الآخر وقتله، وكأننا أمام صورة لحيوان مفترس يطارد فريسته ليمتصَّ دماءها، من أجل أَنْ يظفر بما يريده، ويحقق أحلامه، التي بناها على جثث الأطفال. وكان ذلك نتيجةً للأيدولوجية الصهيونية التي تأسست من مجموعة من مشاعر الحقد والكراهية وعدم الثقة بالنفس وبالآخر أيضاً. وكان هذا الأمر مسوِّغاً لاغتصاب أرض فلسطين، مستندين في ذلك على التَّوراة والتلمود، الذي هو أشد تعصباً من التَّوراة، وفيه من الحقد أضعاف ما في التَّوراة. وما قاله

---

(١) المتوكل طه، صورة الآخر في الشعر الفلسطيني (١٩٩٤م- ٢٠٠٤م)، المركز الفلسطيني للدراسات والنشر، رام الله، ٢٠٠٦م، ص١٣.

(٢) إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة لإبراهيم طوقان، نظرة في شعر إحسان عباس، مقدمة فدوى طوقان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣م، ص٢١٤.

(٣) الزلزال الذي وقع سنة ١٩٢٧م، وقد خسرت فيه نابلس الكثير مِنَ الأرواح والأموال.

(٤) إشارة إِلَى الهجرة اليهودية إِلَى فلسطين وإِلَى وعد بلفور.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

إبراهيم طوقان في الأبيات السابقة يؤكد هذه الحقيقة. وكذلك الأمر بالنسبة لقول محمود درويش في قصيدة "سنة أخرى فقط":[1]

مَا أَجْمَلَكُم يَا أَصْدِقَائِي
عِنْدَمَا تَغْتَصِبُونَ الأَرْضَ فِي مُعْجِزَةِ التَّكوين
أَوْ تَكْتَشِفُونَ النبعَ فِي صَخْرِ السُّفُوحِ المُمكِنَهْ

يُشير محمود درويش- معتمداً على ما جاء في أسفار التَّوراة- إلى أنَّ اليهود قد اغتصبوا أرض فلسطين، وجعلوا لهم الحق في امتلاكها مستمدين ذلك الحق من كتبهم. ولم تكن إقامة تلك الدولة إلاَّ على حساب الفلسطينيين. ومن وجهة نظر درويش، إنَّ اليهود ليسوا سوى طفيليات تعيش من رئات الآخرين وعلى أنقاضهم، كما أنَّهم برابرة يغيرون على غيرهم، ويفتكون بهم. فهم ينشئون أبناءهم نشأةً عسكريةً على حساب نشأتهم العقلية، وكأنَّهم يريدون بناء إسبارطة جديدة. وكلُّ ذلك نتيجة لما تحمله نفوسهم من حقد وكراهية، أباحت لهم قتل غيرهم بدم بارد، ثم نراهم يبدون ضحايا، كالذي يقتل القتيل ومن ثم يحاول أن يكسب أجر المشي في جنازته[2].

راح الشاعر العربي يقاوم هذا المغتصب، ويُحرِّض شعبه على الصمود وعدم التفريط بشبر واحد من أرضه، فها هو علي أحمد باكثير في قصيدة "نشيد حرب الفداء" يقول:[3]

تَطَايَرِي تَطَايَرِي يا جَذْوَةَ الفِدَاءْ
تَطَايَرِي يا نَقْمَةَ السَّمَاءْ
تَطَايَرِي كالنَّارِ في الهَشِيمْ
لِتَقْذِفِي بالمُعْتَدِي الأَثِيمْ
وَدَوْلَةَ المُغْتَصِبِ الزَنِيمْ
إِلَى الجَحِيمْ

---

[1] محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، ط٢، دار الحرية، بغداد، ٢٠٠٠م، المجلد الثاني، ص٤٢٧.

[2] انظر: تهاني شاكر، محمود درويش ناثراً، (د.ن)، (د.م)، ٢٠٠٤م، ص١٧٥-١٧٨.

[3] علي أحمد باكثير، قصائد علي أحمد باكثير عن فلسطين، ص٤٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تُطالعنا هذه الأبيات بالشعور الإنساني في نظر أيّ شاعر عربي خارج فلسطين إلى عذابات الشعب الفلسطيني وجراحاته، حيث يبرز لنا مدى بغضه لهذا المعتدي، فيحث العرب بأنْ يهبُّوا للدفاع عن فلسطين شعلاً متطايرةً، وحمماً مقذوفةً في وجه دولة الإثم والعدوان.

وفي قصيدة أمل دنقل "الأرض والجرح الذي لا ينفتح"، يُصوِّر فيها مشهداً لاغتصاب الأرض على يد اليهود، متخذاً المرأة رمزاً لعرض قضية الأرض المغتصبة[1] يقول:[2]

الأَرْضُ مَا زَالَتْ، بِأُذُنَيْهَا دَمٌ مِنْ قِرْطِهَا المَنْزُوعِ،
فَقَهْقَهَةُ اللصُوصِ تَسُوقُ هَوْدَجَهَا.. وَتَتْرُكُهَا بِلا زَادِ،
تَشُدُّ أَصَابِعَ العَطَشِ المُمِيتِ عَلَى الرِّمَال،
تَضِيعُ صَرْخَتُهَا بِحَمْحَمَةِ الخُيولْ
الأَرْضُ مُلْقَاةٌ عَلَى الصَّحْرَاءِ، ظَامِئَة،
وَتُلْقِي الدلوَ مَرَّاتٍ .. وَتُخْرُجُهُ بِلا مَاء!

يُصوِّر الشاعر الأرض بأنَّها امرأة سطا عليها اللصوص (رمز العدو الغاصب)، ونهبوا خيراتها وتركوها دامية الأذنين (من إثر انتزاع قرطها من أذنيها)، وحيدةً في الصحراء تعاني الجوع والعطش، ولا أحد يجيب صراخها[3].

وركَّز الشعر العربي على إبراز صورة ذلك العدو الذي استولى على كلِّ ممتلكاتنا، واغتصب أرضنا، وهدم منازلنا، ليبني بدلاً منها مستوطنات لليهود. وسجَّل الشاعر علي صدقي عبد القادر في قصيدة "أصوات .. يا أمي!!!" مقاومته لذلك المعتدي رافضاً وجوده على أرض فلسطين، معلناً أن وجود

---

(1) فتحي محمد رفيق يوسف أبو مراد، شعر أمل دنقل: دراسة أسلوبية، عالم الكتب الحديث، اربد، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٧٨.

(2) أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥م، ص١١٧.

(3) فتحي محمد رفيق يوسف أبو مراد، شعر أمل دنقل: دراسة أسلوبية، ص٧٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

اليهود على الأرض العربية سيكون وصمة عار على جبين الأمة العربية، لذا دعا إلى مواجهتهم والتخلص منهم:[1]

طَالمَا ظَلَّ عَلَى أَرْضِي يَهُودٌ غَاصِبُون
أَطْلَقُوا النَّارَ عَلَى الرِّيحِ، عَلَى الشَّمْسِ، عَلَى قَبْرِ الجُدُود
صَلَبُوا أَفْرَاخَنَا، دَقُّوا مَنَاقِيرَ الطيور
إِنَّهُم لَطْخَةُ عَارٍ خَجِلَتْ مِنْهَا الحَيَاة

لقد سطا اليهود على كلِّ ما نملكه في تلك الأرض، ولم يكن السطو على الأرض بطريقة سهلة، بل كانت على حساب أبناء الشعب الفلسطيني، الذي دمَّر اليهود بيته وأحرقوا زرعه، لكي يبنوا عليها مستوطنات تؤويهم، يقول محمود درويش في قصيدة "أغنية ساذجة عن الصليب الأحمر":[2]

أَخَذُوا بَابَاً.. لِيُعْطُوكَ رِيَاح
فَتَحُوا جُرْحَاً لِيُعْطُوكَ صَبَاح
هَدَمُوا بَيْتَاً لِكَي تَبْنِي وَطَنْ
حَسَنٌ هَذَا.. حَسَن

ويعجب الشاعر المهجري إيليا أبو ماضي في قصيدة "خطب فلسطين" كيف يعطى إنسان ما لا يملك؟ ولماذا لا يعطي اليهود قطعةً من بلده؟ فلندن واسعة أوسع من القدس. ولندن تحب اليهود أشدَّ الحب[3]، يقول أبو ماضي:[4]

فَقُلْ لليهودِ وأَشْياعِهِمْ ... لَقَدْ خَدَعَتْكُمْ بُروق المُنى
أَلا ليتَ " بلفور" أَعْطَاكُمُ ... بِلاداً لَـــهُ لا بِلاداً لنا
" فلندنُ " أَرْحَبُ مِنْ قُدْسِنَا ... وأَنْتُـمْ أَحَبُّ إِلَى " لُنْدنا"

---

[1] علي صدقي عبد القادر، ديوان اشتهاء مع وقف التنفيذ، ص١٤.
[2] انظر: محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص٩٨-٩٩.
[3] فريد جحا، العروبة في شعر المهجر، ص١٢٣.
[4] إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، جمع الشعر وقدَّم له عبد الكريم الأشتر، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ٢٠٠٨م، ص٧٩١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ورد الشاعر الجزائري (محمد العيد آل خليفة)[1] في قصيدة "هيجت وجدي" على مزاعم اليهود وأكاذيبهم، داعياً بحماسة وإصرار إلى التأكيد على أنَّ القدس عربية منذ أقدم الأزل، والحديث في غير ذلك يُعدُّ مجافياً ومنافياً للعدالة[2]، فقد قال:[3]

إِنَّ الَّذِي زَعَـــمَ العَدَالةَ شِـرْعَةً ... آذى (الأَئمةَ) فِي رِضَى (الأَحْبَارِ)
وَدَهَـــى العُمُومَةَ فِي وَشَائِجَ نَسْلِها ... وسَطَى عَلَى الأَجْوارِ بالإِجْوَارِ
وَأَحَـــلَّ بِالقَانُـــونِ جُـرْمَاً فَادِحَاً ... وَأَذَلَّ دِيـــــنَ اللهِ للدِّينارِ
قُلْ لابنِ صُهْيُونَ اغْتَرَرْتَ فَلا تَجُرْ ... إِنَّ ابْنَ يَعْرُبِ نَاهِـضٌ للثَّارِ
أَعْرَضْتَ عَنْ خُطَطِ السَّلامِ مُولِيًا ... فَوَقَعتَ مِنْها فِي خُطُوطِ النَّارِ
القُدسُ لابْنِ القُدْسِ لا لِمُشَـــرَّدٍ ... مُتَصَهِينٍ وَمُهَاجِـرٍ غَـدَّارِ

يؤكِّد الشاعر حقيقة اليهود، بأنَّهم ليسوا سوى شعب مشرد، أبغضته كلُّ شعوب العالم، لكثرة ما جنت أيديهم. ويؤكِّد أيضاً أنَّ العرب سيهبون للذود عن أرضهم وعرضهم، فلا يبقى اليهودي متمسكاً بغروره واستكباره. ويُطالعنا الشاعر محمد القيسي في قصيدة "السجين" بمثل هذه الصورة، فقد عرض أساليب اليهود في طرد أبناء الوطن أصحاب الأرض، لينفردوا من بعدهم بها، يقول:[4]

أَحْكَمُوا البَّابَ عَلَيَّ
أَغْلَقُوا كُلَّ الشَّبَابِيكِ وَجَاؤُوا بِالسَّتَائِرْ
حَجَبُوا عَنِّي ضِياءَ الشَّمسِ وَالوجهَ الَّذِي أَهْوَى، وَأَطْفَالِي الصِّغَارْ
فَتَّتوا مَا كُنْتُ أَحْوِي مِنْ سَجَائِرْ
كَسَروا ظَهري بعُقبِ البُنْدُقِيةْ

---

[1] هو محمد العيد بن محمد بن خليفة منْ محاميد سوف المعروفين بالمناصير منْ أولاد سوف. ولد في مدينة عين البيضاء ١٣٢٣هـ/١٩٠٤م. استهدف شعر العيد في مرحلة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية إلى الدعوة والإصلاح، والتمرد على الأوضاع التي خلَّفها الاحتلال، وصوّر آمال الشعب وشعاراته القومية كما باهى بأمجاد وطنه وتاريخه ودافع عن حقوقه السياسية. وارتبط بالأحداث التاريخية والاجتماعية في وطنه. انظر: كمال قاسم فرهود، موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، المجلد الثاني، ص١٢٨٥- ١٢٨٧.

[2] محمد أحمد محمد المجالي، المدن العربية المقاتلة في الشعر الحديث (القدس، بيروت، البصرة)، ص٨.

[3] محمد العيد بن محمد علي بن خليفة، ديوان محمد العيد آل خليفة، ط٢، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٩م، ص٣٣٠.

[4] محمد القيسي، الأعمال الشعرية، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩م، الجزء الأول، ص٧٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ثُمَّ قَالُوا: أَتُهَاجِرْ ؟

إنَّ اليهود المتصهينين يعلمون أنَّ الفلسطينيين لن يفرِّطوا بأرضهم ووطنهم مهما كان الثمن، فبعد أَنْ استخدموا كلَّ الوسائل من أجل أَنْ يستولوا على فلسطين، وجدوا أنَّ أصحابها متمسكون بها، تمسك جذور الشجرة بتراب الأرض، لذا حاولوا أَنْ يستخدموا طريقة الترهيب والتعذيب من أجل أَنْ يتنازل الفلسطينيون عن أرضهم، وهذا ما أشار إليه الشاعر بقوله: أتهاجر؟ بعد كلِّ التعذيب الذي سبق هذا الاقتراح. تلك هي أساليبهم التي يستخدمونها لتحقيق مآربهم.

يُصوِّر توفيق زياد هذه الغارة فيرى أنَّ لليهود حقاً في أن تكون لهم دولة، ولكن اليهود لجأوا إلى صنع شعار لهم يؤكد أن أرض فلسطين، أرضنا من حقهم، فقالوا شعار فلسطين "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، وكأنَّ أعينهم أضحت لا تبصر بأن على الأرض أناساً يقطنونها، وما كان أعمى بصيرتهم غير استعلائهم واستكبارهم، يقول توفيق زيَّاد في قصيدة "ما أنكر وما لا أنكر":[1]

أَنَا لا أُنْكِرُ حَقَّ الشَّعبِ الآخر
أَنْ يَحْيَا فِي دَوْلَة
أَنْ يَبْنِيهَا كَيْفَ يَشَاء
حَتَّى أَنْ يُقَسِّمَهَا أَكْثَرَ مِنْ دَوْلَة
أَنْ يَجْعَلَهَا نَاراً أَوْ جَنَّة
...
لَكِنَّ هَذَا لا يَعْنِي
أَنْ أُنْكِرَ شَعْبِي
وَحُقُوقِي القَوْمِيَّة
فَأَنَا أُنْكِر أَنْ تَمْتَدَ يَدٌ سَوداء
حَتَّى لَوْ كَانَتْ تِلْكَ يَهُودِيَّة
أَوْ غَيْرَ يَهُودِيَّة
لِحُقُوقِي..
وَحُقُوقِ شُعُوبِي العَرَبِيَّة

---

[1] انظر: توفيق زيَّاد، ديوان توفيق زيَّاد، المجلد الأول، ص٤٧٦– ٤٧٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولم يحظَ المسجد الأقصى بأكثر من إشارة سريعة في قصيدة عبد الرحيم محمود (١٩١٣م-١٩٤٨م) "نجم السعود"[١]، وهي قصيدة ألقاها في استقبال الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود، الذي جاء لزيارة المسجد الأقصى يوم الخميس في١٩٣٥/٨/١٤م[٢]، يُشير إلى شرائم اليهود المشتتة في الأرض القادمة إلى فلسطين، فيقول:[٣]

يَا ذَا الأَمِيرُ، أَمَامَ عَيْنَيكَ شَاعِرٌ ضُمَّتْ عَلَى الشَّكوى المَرِيرةِ أَضْلُعُهْ
المَسْجِدُ الأَقْصَى، أَجئتَ تَزُورُهُ أَمْ جِئْتَ مِنْ قَبْلِ الضَّيَاعِ، تُوَدِّعُهْ!!
حَـــرَمٌ يُبَاحُ لكل أوكَعَ آبقِ[٤] ولِكُلِّ أَفَّاقٍ، شَـــرِيدٍ أَرْبُـــعُهْ

وكأنَّ الشاعر قد أحس بضياع فلسطين قبل أنْ تحصل تلك النكبة التي أدَّت إلى وضع إسرائيل يدها على تلك الأرض. وقد أكدَّ الشاعر أحمد مطر في قصيدة "بلاد ما بين النهرين" حقيقة اليهود المشردين في الآفاق، فقد قال:[٥]

فَيَا حَسْرَتَاهُ عَلَى هَؤُلاءِ العِبَاد
أَتَوا مِنْ بِلاد
عَتَوا فِي بِلاد
مَا كَانَ قَبْرٌ لَهُمْ فِي بِلاد
فَهُمْ مِنْ تُرَاب، وَهُمْ للرَّمَاد

يتحسَّر الشاعر لما لاقاه هؤلاء العباد (اليهود) من معاناة في رحلتهم الطويلة، من أجل أنْ يصلوا إلى أرض فلسطين ليقذفوا سمومهم فيها، ويفسدون ويعبثون بمقدساتها وحرماتها. ولن يكون لهم أي شيء فيها، حتى القبر لن يجد أرضاً تقبله ليدفن فيها.

---

(١) فاروق مواسي، هدي النجمة دراسات وأبحاث في الأدب العربي الحديث، مطبعة فينوس، الناصرة، ٢٠٠١م، ص٤١.
(٢) عبد الرحيم محمود، الأعمال الكاملة: الديوان والمقالات النقدية، جمع وتحقيق عز الدين المناصرة، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٦٧.
(٣) المصدر نفسه، ص٦٧.
(٤) أوكع: لئيم. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الخامس عشر، مادة (وَكَعَ).
آبق: خائن. انظر: المصدر نفسه، الجزء الأول، مادة (أَبَقَ).
(٥) أحمد مطر، الأعمال الشعرية الكاملة، ط٢، (د.ن)، لندن، ٢٠٠١م، ص٢٦٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويتبدَّى الإصرار على الصمود ورفض وجود اليهود على أرض فلسطين، من خلال قول الشاعر عبد الكريم الكرمي في قصيدة "مصرع ثائر":[1]

وَمَا أَرْضُ العُرُوبَةِ لِي بِأَرْضٍ إِذَا سَلَبَتْ (فِلَسْطِينَ) اليهودُ

فالشاعر يرى أنَّه لن يعيش في أيِّ أرض، طالما بقي اليهود على أرض فلسطين يعيثون فيها الفساد. ونلاحظ الرفض العربي لذلك الوجود اليهودي أيضاً في شعر رجا سمرين في قصيدة "من وحي النكسة" حيث يقول:[2]

اسْتَبَاحَ الأَعْرَاضَ فِيهَا وَغَالَى فِي ارْتِكَابِ الآثَامِ ضِدَّ القَدَاسَهْ
عَاثَ فِي المَسْجِدِ الأَقْصَـــى وَفِي القُبَّة، وَالمَهْدُ قَدْ أَبَاحَ افْتِرَاسَهْ
بِيْنَمَا نَحْنُ لا نَزَالُ نُغَذِّي الخَلَفَ فِينَا وَنَسْتَطِيبُ التِمَاسَهْ

كما تحدث سليم الزعنون في قصيدة "فلسطين والعلم" عن اليهود، الذين شرَّدوا أهل الأرض، حتى آوتهم الخيام:[3]

يَا فِلَسْطِينُ جَارَ فِيكِ زَمَانٌ تَهْزِمُ الحَقَّ فيهِ صَوْلَةُ نُكسِ
قوَّةُ الشرِّ فِي رُبَاكِ تَمَادَتْ تَغْرِسُ الفِسْقَ بينَ طُهْرٍ وقدسِ
شَرَّدتْ سَاكِنَ الدِّيارِ فَلاذَتْ نَفْسُهُ بِالخِيَامِ تَضْحَى وَتُمْسِي

وقال علي أحمد باكثير في هذا المعنى في قصيدة "الرقصة المقدسة":[4]

ساقتا (الرِّجسَ) إلى مِحْرَابِنَا بِفِلَسْطِـــينَ لِيَعْزُو عُنْصرِيتَنَا
ثُمَّ يَبْنِـــي إمبراطـــورِيةً مِنْ رُبَى النيلِ إِلَى أعلى الفُرَاتِ
حُلْمٌ للرجـــسِ ما أهْوَلَهُ إِنْ بَقِينَا فِي سُبَـاتٍ وشَتَاتِ

---

(1) عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، ديوان أبي سلمى (عبد الكريم الكرمي)، دار العودة، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٢٦٣.

(2) رجا سمرين، الأعمال الشعرية الكاملة (١٩٥٠م- ٢٠٠٢م)، دار اليراع للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٢٩٥.

(3) سليم الزعنون، ديوان يا أُمَّة القدس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ١٩٩٥م، ص١٨٨.

(4) علي أحمد باكثير، قصائد علي أحمد باكثير عن فلسطين، ص٣٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد ابتلع اليهود أرض فلسطين، وما زالوا إلى الآن يحاولون أنْ يمدُّوا أيديهم على أراضٍ أخرى. فهم يرون أنَّ حدود دولتهم من النيل إلى الفرات. واليهود لم يرعووا في أنْ يستولوا على مناطق أخرى، ما استطاعوا فعل ذلك. فقد أشار عدنان النحوي في قصيدة "قلب مؤمن" إلى أنَّ فلسطين أصبحت نهب عدو اتسم بالإلحاد، وقد أوغلت الشرور صدورهم:[1]

جَاءَ رَهْطُ الغِربانِ بَعْدَ نُسورٍ ... وبِعَودِ الغِربانِ شَرٌّ يَؤوبُ
إِذْ رأيتَ الإسلامَ شرقاً وغَرْباً ... ضَائِعاً تائِهاً حَوَتْهُ الكُروبُ
فَبِلادُ الإســـلامِ نَهْـبُ عــدُوٍّ ... مُلحدٍ فيه للشـــرورِ نَصِيبُ

وقال عبد الوهاب البيَّاتي في قصيدة "العرب اللاجئون"، واصفاً اليهود بأنَّهم كالنمل والطيور الجارحة التي تأكل لحوم الشعب الفلسطيني:[2]

يَا مَنْ رَأى أَحْفَادَ عَدْنَان عَلَى خَشَبِ الصَّلِيبِ
مُسَمَّرِين
النمل يَأْكُلُ لَحْمَهُم
وَطُيورٌ جَارِحَةُ السنين

وفي صورة أخرى من الصور التي رسمها الشعر العربي لاغتصاب اليهود لأرض فلسطين، يعرض لنا الشاعر عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) مشهداً في قصيدة "النازحون"، يقول فيها:[3]

لُغَةُ الدَّمـــعِ أم بَيانُ الجِـــراحِ ... وصدَى اليُتمِ أم أنينُ الأَضاحي
يا فِلسطينُ!.. أَيْنَ تُرْبَتُكِ العَذْراءُ؟! ... تَفْتَضُّـــــها يـــــدُ المُجْتاح
حـــرَّ قلبِي على التُرابِ خَصيباً ... بِشظايا الأَعراضِ والأَرواحِ!...

---

[1] انظر: عدنان علي رضا النحوي، جراح على الدرب، ط٣، ص١١٨- ١١٩.
[2] عبد الوهاب البيَّاتي، الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢م، ص٦١٤.
[3] عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، ديوان أبي سلمى (عبد الكريم الكرمي)، ص١٦٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لقد شبَّه الشاعر أبو سلمى تُراب فلسطين بالفتاة العذراء الطاهرة التي فضَّ بكارتها اليهود فدنسوها. وفي لوحة تسجيلية لمشاهد محاكمة ذلك المغتصب، يقول نزار قباني في قصيدة "جريمة شرف أمام المحاكم العربية":[١]

... وفَقَدْتَ يا وطَني البكارَهْ..
لم يَكْثَرِتْ أَحَدٌ..
وسُجِّلتِ الجريمةُ ضدَّ مجهولِ
وأُرْخِيَتِ الستارَهْ..
نسيَتْ قبائلُنا أظافرَها
تشابهتِ الأُنوثةُ والذُكُورَةُ في وظائِفها،
تحوّلت الخيولُ إلى حجارهْ..
...
ما زالَ يكتبُ شِعْرَهُ العُذْريَّ، قَيْسٌ
واليهودُ تَسَربوا لفِراشِ ليلى العامريَّهْ[٢]
حتَّى كلابُ الحيِّ لم تَنْبَحْ..
ولم تُطْلَقْ على الزاني رصاصةُ بندقيَّهْ

لقد سلب اليهود أرض فلسطين بطرق ملتوية وغير مشروعة، حيث حاولوا بشتى السبل أَنْ يحقِّقوا أحلام شعبهم المشرد، فهذا عبد الرحمن العشماوي يقول في قصيدة "من جعفر الطيار إلى نصر الجرار":[٣]

أتحدَّثُ يا جعفر عن جيش يهودٍ عَرْبد[٤]
سَلَبَ الأقصى، أبْعَدَ، شَرَّدْ
وعلى قَتْلِ الطفلِ تعوَّدْ

---

[١] انظر: نزار قبَّاني، الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، (د.ت)، الجزء الثالث، ص٢٢٩-٢٣١.

[٢] ليلى العامرية: معشوقة قيس بن الملوح، وهي مِنْ بني عامر من سكان نجد. وقد ضرب بها المثل في الحب العذري والغزل العفيف، وزوَّجها أهلُها إِلَى رجل ميسور الحال اسمه وَرْدْ ليستبد العشق والشوق بمحبوبها. انظر: إميل ناصيف، مجنون ليلى، منشورات جروس برس، طرابلس- لبنان، ١٩٩٢م، سلسلة العشاق العرب، ص١٠-١٦.

[٣] عبد الرحمن بن صالح العشماوي، ديوان القُدْس أنت، ص٧٣.

[٤] عَرْبَدَ: ساء خُلُقه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء التاسع، مادة (عَرَبَّدَ).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

" جَيْشُ يهودْ؟؟؟! "

هل تعني إخوانَ قرود؟
هذا خَبَرٌ يُدْمي القلبَ، وربِّ الناسْ
كَيْفَ تَرَكْتُم أَرْضَ المَحْشَرِ للأَنْجاسْ؟!

كما أشار عبد الفتاح عبد العال في قصيدة "حرمان وفداء" إلى سرقة اليهود لبيوت الفلسطينيين وأراضيهم، وإلى طردهم منها، يقول:[1]

لَقَدْ سَلَبُوا بَيْتِي
وَزَيْتُونِي وَزَيْتِي
وَحَاكُورةً وَبَيَّارَةً
كُنْتُ أَزْرَعُهَا أَنَا وَبَنتِي
وَتَرَكُونَا فِي العَرَاءِ
بِلا رِدَاءٍ ولا كِسَاءِ

ابتلي الشعب الفلسطيني بمغتصب لا يعرف الحق، فعلى الرغم من أنَّ قرار التقسيم قد أعطاه جزءاً من أرض فلسطين، إلا أنه تغاضى عن ذلك القرار، وأبى إلاَّ العمل على سلب كلِّ فلسطين. والتاريخ يشهد على كيفية بسط اليهود نفوذهم على أرض فلسطين[2]، وبروتوكولاتهم تؤكِّد أنَّهم يجب أنْ يسلبوا المزيد من الأراضي، من أجل أنْ تُصبح لهم السيادة على العالم أجمع[3]، فقد جاء في قصيدة "مجاهد" للشاعر إيليا أبي ماضي خطاب موجَّه للعرب، "حيث طالب الشاعر العرب بالوقوف صفاً واحداً في وجه أطماع العدو الصهيوني التي لن تقف عند حد، فهو عدو مراوغ قادر على تدبير المكائد التي

---

(1) عبد الفتاح رمضان عبد العال، ديوان نداء الأقصى، منشورات العال، عمان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٤١.

(2) محمد عبد عبدالله عطوات، الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من ١٩١٨م إلى١٩٦٨م، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٣٤٤.

(3) انظر: برتوكول رقم (١). محمد خليفة التونسي، بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة عباس محمود العقاد، مكتبة مرزوق، (د.م)، (د.ت)، ص١٢١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يستطيع بها أنْ يحصل على الأرض، ولهذا أوصاهم ألاَّ يغفلوا عنه، وأنْ يحموا أوطانهم بالسير على الطريق الذي اختطه لهم الفقيد الزعيم الفلسطيني موسى كاظم الحسيني"[1]، يقول:[2]

يَا قَوْمَنَا، إنَّ العَــدُوَّ بِبَابِكُمْ ... بِئْسَ المُغير عَلَى البِّلادِ الجَارُ
ولَهُ بِأَرْضِكُمْ طَماعةُ أَشْــعُبٍ ... ورَاوغَهُ، ولِكَيْدِهِ اسْتِمْــرَارُ
لا تَرْقُــدُوا عَنْهُ فَلَيْسَ بِرَاقِدٍ، ... أَفَتَهْجَعُونَ وقد طَمَــى التَّيارُ؟
إنَّ الطيورَ تَذُودُ عَنْ أَوْكَارِهَا ... أَتَكُــونُ أَعقَلَ مِنْكُمُ الأَطْيَارُ؟
سِيروا عَلَى آثارِ "مُوسى" واعملوا ... إنْ شئتــمُ ألاَّ تَضِيــعَ ديارُ

"هكذا حيكت خيوط المأساة المروعة للشعب الفلسطيني والتي لا تُماثلها مأساةً تعرض لها شعب في العصر الحاضر... فانتزاع الإنسان من العمل داخل وطنه يعني انتزاعه من نسيج العلاقات الاجتماعية المتكونة تاريخياً وتركه يهيم خارج وطنه أو دفعه لذلك بالقوة"[3]. من هنا تناول الشعراء العرب كلَّ ما كان يمارسه- وما يزال- العدو الصهيوني ضد الفلسطينيين الصغير منهم والكبير من أعمال إجرامية ومجازر وحشية، كما أكَّد الشعراء أنَّ مثل هذه الممارسات الإجرامية لن تُدخل الرعب إلى قلوب الشعب العربي والفلسطيني بصورة خاصة، بل على العكس من ذلك، فإنها ستزيد من قوتهم ونقمتهم ضد الأعداء[4].

تلك هي بعض ملامح شخصية اليهودي العدواني كما تجلَّت في الشعر العربي في كلِّ أنحاء الوطن العربي وخارجه. فقد هبَّ الشاعر في كلِّ أنحاء الوطن العربي وخارجه: الفلسطيني والأردني والسوري واللبناني والمصري والعراقي والخليجي واليمني والجزائري أضف إلى ذلك شعراء المهجر - الذين أسهموا بشكل واف في شعر النكبة، فقدَّموا لنا إرثاً من الشعر امتاز بصدق الشعور وعمقه،

---

[1] عادل محمد أبو عمشة، الاتجاه السياسي في شعر إيليا أبو ماضي، (د.ن)، (د.م)، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٠٠.

[2] إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٧٦٨.

[3] محمد سعيد مضيه، الإرهاب وأيديولجيا الصهيونية، مجلة المواقف، السنة الأولى، العدد الثاني، ربيع الثاني ١٤٠٨هـ/ كانون الأول ١٩٨٧م، ص١٠٥.

[4] محمد أحمد محمد المجالي، المدن العربية المقاتلة في الشعر الحديث (القدس، بيروت، البصرة)، ص٣١٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأعطانا صورةً واضحةً عن مشاركتهم في قضيتهم الكبرى[1]- للدفاع عن أرض فلسطين العربية، مهبط الرسل والأنبياء؛ لأنَّ تلك القضية هي قضية كلِّ العرب، وعلى العرب، أينما كانوا، أنْ يُشهروا أسلحتهم في وجه المعتدي، كما فعل الشاعر العربي، الذي اتخذ من قلمه سلاحاً ناطقاً يدافع من خلاله عن الإسلام والمسلمين، وحتى المسيحيين، الذي نالهم من اضطهاد اليهود ما نال المسلمين.

وأخيراً، أخلص إلى أنَّ الصورة العدوانية الاستعلائية، التي اتسم بها اليهود، قد استهدفت الإنسان العربي ومشاعره في فلسطين. وتُعدُّ تلك الصورة هي الأبرز في هذه الدراسة، نتيجةً لما يتعرَّض له الشعب الفلسطيني من احتلال استيطاني لوطنه، والتي اعتمد فيها المحتل آلية القتل والقهر والتعصب الأعمى سبيلاً أساسياً لاحتلال الأرض العربية وتهويدها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

---

[1] فريد جحا، العروبة في شعر المهجر، ص١٣٥.

المبحث الثاني

صورة اليهودي الجبان

قال تعالى: ﴿لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾[1]

عاش اليهود عمرهم أذلاء، جنوا ثمار هذا الذل جبناً وخوفاً ورعباً، حتى غدا الجبن سمة بارزة من سماتهم، تأصّلت في نفوسهم في كلِّ مراحل حياتهم. وقد اكتسب هذا الخلق من ملابسات حياتهم، ومن ما وقع عليهم من الظلم والاضطهاد. ومن يتأمل القرآن الكريم، يجد أن فيه من المواطن التي تشير إلى جبن اليهود- أشرنا إلى هذا في حديثنا عن صورة اليهود في القرآن الكريم- الكثير، فمن بين تلك المواطن جبنهم عند دخول الأرض المقدسة، وجبنهم عن قتال الرسول وأصحابه، لذا نرى أنَّه لا وجود للشجاعة والرجولة والجرأة، بكلِّ ما تحمله تلك الكلمات من معان فاضلة، في قلوبهم، بل على العكس من ذلك فقد أبوا إلا استفحال ذلك المرض والانحراف واستقدامه، حتى قادهم ذلك إلى الفرقة والاختلاف فيما بينهم[2].

وقد سعى الشاعر العربي للحديث عن جبن اليهود وخوفهم، فها هو الشاعر رجا سمرين يقول في قصيدة "من وحي النكسة" مُشيراً إلى جبن اليهودي في ساحة القتال:[3]

مِنْ دِماءِ الأُباةِ يَنْهَلُ عبَّاً ... فِي اضطِهَادِ الأَحْرَارِ يُظْهِرُ بُأْسَهْ
وَهُوَ فِي سَاحَةِ القِتَالِ نعَامٌ ... فِي غُضُونِ الرِّمالِ يَدْفِنُ رَأْسَهْ
يُغْلِقُ السمعَ عَنْ صياحِ الأَيَامِي ... يَقْبَلُ الضيـــــمَ فَاقِداً إِحْسَاسَهْ

أشار الشاعر في الأبيات السابقة إلى أنَّ اليهود كالنعام، التي تغمر رأسها بتراب الأرض عندما يحدق بها الخطر، واليهود أجبن حتى من تلك النعام. فالطريقة التي يقاتل بها اليهود اليوم أبناء الشعب الفلسطيني، توحي بجبنهم وهلعهم. والأحداث اليومية التي يتعرَّض لها الشعب الفلسطيني، خير شاهد على

---

[1] سورة الحشر، منَ الآية١٤.

[2] انظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية منْ خلال القرآن، ٢٢٨- ٢٣٦.

[3] رجا سمرين، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٩٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذا الجبن. ومن يُطالع أخبارهم التي تعرضها شاشات التلفاز يرى أنَّهم يخافون من الطفل الصغير، الذي يحمل حجراً بيده، فنجدهم يُشهرون سلاحهم في وجهه، خوفاً من أنْ يُباغتهم به فجأة، فقد قال محمود درويش في قصيدة "مديح الظل العالي":[1]

والموتُ يَأتِينَا بِكُلِّ سِلاحِهِ الجَّويِّ والبريِّ والبحريِّ
ألفُ قذيفةٍ أُخرى ولا يَتَقَدمُ الأعداءُ شِبْراً واحداً

ولو كان اليهود يتمتعون بشجاعة وجرأة لما رأيناهم يتسللون ليلاً إلى بيوت الآمنين من أبناء الشعب الفلسطيني لقتلهم، أو زجهم في المعتقلات والسجون، قالت أمينة العدوان في قصيدة "أبو جهاد":[2]

لا يُحَارِبُونَ عَلَى جَبْهَةِ قِتَال
ولا يَسْتَطِيعُونَ إلاَّ كَالجبنَاء
اقْتِنَاصه فِي جُنْحِ الظَّلام

وإذا ما حوَّل هؤلاء الجبناء اليوم أنفسهم إلى صورة أخرى تُوحي بالشجاعة والجرأة، وإذا ما استأسدوا، وأظهروا أنفسهم بمظهر القوي، فذلك ليس إلاَّ لأنَّهم لا يواجهون العرب مواجهة حقيقية، وإنَّما يواجهونهم وهم واضعون رؤوسهم خلف حصونهم، وداخل دبابتهم، وهذا يُشير إلى جبن اليهود وخوفهم.

وإذا ما أردنا أنْ نستحضر مشاهد مواجهة اليهود لأبناء الشعب الفلسطيني على أرض الواقع، فسيكون ذلك شاهداً على جبنهم، فلولا طائراتهم وصواريخهم ودباباتهم التي يتحصنون بها، لما استطاعوا أنْ يقتلوا طفلاً ولا امرأة ولا حتى حيواناً، ولا أنْ ينسفوا بيتاً ويدمروا مسجداً وكنيسةً ومدرسةً وجامعةً، يقول سليم الزعنون في قصيدة "الحرب":[3]

وبِتْنَا نَرَى "إِسْرَائِيلَ" وهِي رَهِينَةٌ تَخَافُ قِتالاً قَاصِمَ[4] الظَّهْـرِ ضَارِيا
زَعَامتُهَا تَخْشَى دَمَـاراً وجولةً تَطُولُ فَلا تُبقي عَلى الأَرْضِ باقِيا

---

[1] محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الثاني، ص٣٦٢.
[2] أمينة العدوان، ديوان مَنْ يموت، ط٢، دار الكرمل، عمان، ١٩٩١م، ص٦٨.
[3] سليم الزعنون، ديوان يا أُمَّة القدس، ص٨٩.
[4] قاصم: كاسر. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الحادي عشر، مادة (قَصَمَ).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

رَواجِفَ تَجتَرُّ الهَزِيـمةَ كُلَّمَا تَذكَّـــرْتِ الصاروخَ يَنْحَـطُّ دَاويا
تَخَبْطهُمْ مِسٌّ مِنَ الجنِ فاسْتَوى أَكَانَ ضِيـــاءً صُبْحُـهُمْ أو لياليا

يؤكِّد الشاعر نفسه ما سبق وأشرنا إليه، ويبين لنا أنَّ اليهود يخشون أيَّ معركة قد تطول بينهم وبين المجاهدين العرب، وهم بهذا الجبن، كالذي تخبطه مس من الشيطان، فأصبح يتلفت حوله مذعوراً خوفاً من أن يراه أحد أو يعتدي عليه.

وقد حاول الشاعر (محمد الحلوي)[1] في قصيدة "جراح" أنْ يُلفت انتباه العرب والمسلمين إلى حقيقة جبن العدو الذي استولى على كلِّ ما في أرض فلسطين، فيقول:[2]

مِنْ أَلَّهُوا العِجْلَ واخْتارُوا عبادَتَهُ ومَنْ بِكُلِّ لسانٍ في السَّما لُعِنوا!
مِنْ قَتَلُوا أَنْبياءَ اللهِ واخْتَلَفُوا مِنَ الأَرَاجِيفِ مَا تَذْكُو بِهِ الفِتَنُ!
يَسْتَأْسِدُونَ ولَيْسُوا فِي الوَغَى أُسْدَاً وَهُمْ نِعَامٌ إِذَا مَا اسْتَنْفَرُوا جُبِنُوا!
لَمْ يَعْرِفُوا الحَرْبَ إِلاَّ فِي قُرَىً جُمِعَت مُحَصَّنَاتٍ وَفِي أَحْجَارِهَا كَمَنُوا!
يَدْعُونَ للسلمِ فِي مُسْتَنْقَعَاتِ دَماً وَلَيْتَهُم جَنَحُوا للسلمِ أَوْ رَكَنُوا!

ويتساءل الشاعر وليد الأعظمي مستنكراً: كيف يكون لليهود أنْ يخوضوا حروباً؟ وهم الذين عرفوا بجبنهم، وما جاء في القرآن والحديث النبوي الشريف، دليل واضح وضوح الشمس على مدى جبنهم، فقد قال الشاعر في قصيدة "ليلة الرسول":[3]

صَالَتْ عَلَيْهَا عِصَابَاتٌ تُهدِّدها مِنَ اليهودِ بِاسْـمِ البَغْيِ تَقْتَحِمُ
مَتَى اسْتَطَاعَ يَهودٌ خَوْضَ مَعْرَكَةٍ يَا للهَوانِ !! فَمِمنْ نَحْنُ نَنهَزِمُ؟

---

[1] محمد الحلوي:- "ولد بفاس عام ١٩٢٢م، ونشأ في أسرة محافظة كان لها أكبر الأثر في توجيهه وتكوينه. امتدت إليه يد الاستعمار فحكم عليه بالسجن سنة ونصفاً قضى أكثرها في معتقلات التعذيب مع إخوانه الوطنيين سنة ١٩٤٤م. للحلوي ديوان شعر مطبوع عام ١٩٦٥م باسم (أنغام وأصداء) يقع في ٣٠٠ صفحة، فيه شعر اجتماعي ووجداني ووطني وشعر مناسبات". انظر: كمال قاسم فرهود، موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، المجلد الثاني، ص١١٩٧.

[2] محمد الحلوي، الأعمال الشعرية، منشورات وزارة الثقافة، المملكة المغربية، ٢٠٠٦م، الجزء الأول، ص١٦١.

[3] وليد الأعظمي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٥٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما أشار يوسف العظم في قصيدة "فالطفل فينا مارد جبار" إلى جبن اليهود بقوله:[1]

أَمَّا اليهودُ فقد تَوَارَى جَمْعُهُمْ خَلْفَ القِلاعِ وَحَوْلَهُمْ أَسْوَارُ
وَبَدَا كَبِيرُ القومِ مَهْزُوماً بِلا جَيْشٍ يُغير وجيشُــهُ جَرَّارُ

وفي قول لموشي ديان إشارة إلى هذا الجبن وذاك الهلع، يقول: "نحن جيل من المستوطنين بدون الخوذة والمدفع لن نستطيع أن نبني منزلاً أو نغرس شجرة. ويجب أَنْ لا نجفل من الكراهية التي تستغل نفوس مئات الألوف من العرب الذين يحيطون بنا، ويجب أَنْ لا نُدير رؤوسنا بعيداً، حيث لا ترتعش أيدينا. يجب أَنْ يكون جيلنا قوياً وقاسياً حتى لا يسقط السيف من أيدينا وتنتهي حياتنا..."[2].

وقد وجَّه سليمان العيسى خطابه للجنرال الإسرائيلي، حيث قال في قصيدة "نشيد الحجارة":[3]

يا أَيُّهَا الجِنرالُ .. يا مَنْ يَمْتَطِي دَبَّابةً،
ويَجِيءُ يَحْصُدُهُمْ..
لماذَا الذُّعْرُ؟
أَطْفَالُ الخيامِ النائمونَ عَلى الطَّوى،
مُنْذُ اغتصبتَ طَعَامَهُمْ وتُرابَهُمْ،
لا يَمْلِكُونَ سِوى الحِجَارةْ..

يتساءل الشاعر مستهزئاً: كيف لهذا الجنرال، بعد أَنْ شرَّد الأطفال والنساء والشيوخ، وألقاهم في الخيام بعيداً عن بيوتهم، أَنْ يخاف منهم، وهم الذين لا يحملون سوى الحجارة، ليقاوموا به هذا الجبان، فعلام الخوف والذعر البادي على وجهك أيها الجنرال، يا من يتحصن في دبابته؟!

وقال الشاعر غازي القصيبي في قصيدة "الموت في حزيران" عن جبن اليهود:[4]

اليهودُ أَجْبَنُ خَلْقِ اللهِ سَارُوا
بِقربةِ المَاءِ؟ هَلْ تَعْلَمُ أُمِّي

---

[1] يوسف العظم، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٢٤.
[2] إحسان مرتضى، فلسفة العنف كضرورة حتمية في السياسة الإسرائيلية، مجلة الدفاع الوطني، عدد٤٤، ٢٠٠٣/٤/١.
[3] سليمان العيسى، نشيد الحجارة: مجموعة قصائد، ص١٠.
[4] غازي عبد الرحمن القصيبي، ديوان معركة بلا راية، مطابع دار الكتب، بيروت، ١٩٧١م، ص ١٦٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أَني أَمُوتُ؟ ويا رَبَّاهُ مَاذا
غَداً تَقُولُ سُعادُ؟

ويستهزئ الشاعر القروي (رشيد سليم الخوري) في قصيدة "وعد بلفور" من تلك الشجاعة التي يدعيها اليهود، ويقولون إنَّهم قد ورثوا تلك الشجاعة والبسالة من نبي الله يعقوب عليه السلام، فيقول:[1]

عن أيِّ يعقوب ورثتَ شجاعــةً ... يا مَنْ بمِنْ رَضَعُوا البَسالةَ يَسْخَرُ؟!
تَجْرِي مع الضُّمرِ العرابِ وأنتَ إنْ ... عُقِد الرهانُ عن الحمــيرِ مُقصَّرُ
الفــوزُ داعيةُ الغُرورِ وحقُّكم ... للسَبْق في العَوراء أَنْ تتكبروا !!
أقصى الشجاعةِ عِنْدَكُمْ أَنْ تَسْلَموا ... هَرَباً وأَعْظَمُ بَأْسَكُمْ أَنْ تَغْدرُوا !
هاتُــوا لنا باللهِ مأثرةً إِذَا ... ذُكِرَتْ يحق لكم بها أَنْ تَفْخَروا !

أمَّا الشاعر حيدر محمود في قصيدته "حتى يقول لنا الأقصى.. كفى مهجاً"، فقد حاول أَنْ يُوقظ العرب والمسلمين من سباتهم العميق، ودعاهم إلى الوحدة؛ لأنَّ ذلك هو السبيل إلى التحرر والنصر على العدو، فصحوة العرب والمسلمين وإيمانهم هو الذي يرهب العدو، وإلاَّ فرض هذا العدو سلطته علينا، واستولى على ممتلكاتنا وأرضنا. يقول الشاعر:[2]

لا يُرهِبُ الخَصْمُ شيئاً، مِثْلَ "صَحْوَتِنَا" ... وَغَيْرَ إِيمَانِنَا .. لا شيءَ يُثْنِيهِ!

لقد أصبح الخوف والجبن والهلع سمات وراثية من سمات اليهود، توارثوها عن أجدادهم وآبائهم، فأصبحت كجذور الشجر التي تمسكت بتراب الأرض وأبت أَنْ تقلع منه، فتأصلت تلك السمات في نفوسهم، وبدت في شخصيتهم المعقدة، وستلازمهم إلى يوم القيامة. وهذا ما أشار إليه نبي الرحمة، محمد ﷺ، حيث قال: "لا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّى يُقاتِلَ المُسْلِمُونَ اليهودَ. فَيَقْتُلَهُمُ المُسْلِمُونَ. حتَّى يَخْتَبِئَ اليَهُوديُّ

---

[1] انظر: القروي: رشيد سليم الخوري، ديوان الشاعر القروي (رشيد سليم الخوري)، المجلد الأول، ص٤٤٠- ٤٤١.
[2] حيدر محمود، الأعمال الشعرية، ص٤٥٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ. فَيَقُولُ الحَجَرُ أوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ! يا عَبْدَ اللهِ! هذا يهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فاقْتُلْهُ إِلاَّ الغرقَد. فَإِنَّهُ مِنْ شجرِ اليهُودِ"[1].

يُشير رسول الله محمد ﷺ إلى أنَّ اليهود سيواجهون المسلمين آخر الزمان، وسيظهر جبنهم الذي لا يعترفون به في هذه الأيام، وذلك عندما يواجهون المسلمين، ويفرون للاختباء وراء الحجر والشجر، خوفاً منهم، وما ذلك النوع من القتال إلا شاهد على الخوف والجبن الذي يملأ قلوبهم، وسنرى أنَّ اليهود مهما استأسدوا في زماننا، ستأتي ساعة تفضح استأسادهم الكاذب وهزيمتهم المحققة، إضافة إلى أنَّها ستكون وصمة عار في جبينهم.

---

[1] أبو الحسين مسلم بن الحجاج القُشيري النيسابوري (٢٠٦هـ/٢٦١هـ)، صحيح مسلم، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، رقم الحديث (٢٩٢٢)، الجزء الرابع، ص١٧٧٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الثالث

صورة اليهودي عابد الذهب والعجل

ارتبطت صورة اليهودي في كلِّ مراحل حياته بالمال، ومدى ما يمكن أنْ يحصل عليه منه، بغض النظر عن الطريقة التي تتم بها كيفية الحصول عليه[1]. فقد حرص اليهود على جمع المال وكنزه بشتى السبل غير المشروعة. والتاريخ يسجل نهمهم الزائد للمال وجشعهم في جمعه، ليكون بأيديهم كالسلاح، الذي من خلاله يستطيعون أنْ يستعبدوا الناس ويذلوهم، ويستولوا على أرضهم ومقدراتهم، وينشروا بوساطته الفواحش والرذائل في كل مكان.

من هنا سعى الشاعر العربي جاهداً لتصوير اليهودي، الذي شغف بحب المال، وأصبح معبوده الوحيد. فها هو إبراهيم طوقان يشير إلى تلك الصفة التي التصقت باليهود، من خلال ردِّه على شاعر اليهود (رئوبين)، حيث يقول:[2]

يا يهوديُّ كيف عِلْمُك بالتو ... راةِ، قُلْ لي، أَمْ فَاتَكَ التعليمُ
بَيْنَ أَسْفَارِها خلائقُ عَنْكُمْ ... مُبْتَدَاها ومُنْتَهاها ذميـــمُ
يُوسفُ بَاعَهُ أَبُوكُمْ يهوذا ... إنَّ حبَّ الدينارِ فِيكُمْ قديمُ

لقد ذكر طوقان اليهود بذلهم واستعبادهم، كما أشار إلى أنَّهم يجهلون التَّوراة، التي تتحدث عن أخلاقهم، وهي خلائق ذميمة منذ بدايتها وحتى نهايتها. إنَّهم يعبدون المال ويتخذونه إلهاً بدل الإله؛ حيث

---

[1] نادي ساري الديك، جراحات حيفا عذابات الكرمل، (الشكل والمضمون في شعر محمود درويش ١٩٦٠م- ١٩٧١م): دراسة، مؤسسة الأسوار، عكا، ٢٠٠٣م ص٢٤.

[2] إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص١١٤.

قال إبراهيم طوقان في مقدمة القصيدة: "نشرت الجريدة اليهودية (دوار هايوم) قصيدة لشاعر اليهود رئوبين، نقلتها إلى العربية جريدة فلسطين، وعنوان القصيدة "أنشودة النصر"، أتى فيها الشاعر على الحوادث الأخيرة في فلسطين مُشيداً بذكر اليهود وشجاعتهم... في الطعن والضرب زارياً على العرب (أبناء هاجر وإسماعيل) خوفهم ووحشيتهم وهزيمتهم! زاعماً تارة أنّهم عُزل مظلومون، وأنّ العرب على تسليح الإنكليز لهم كانوا لصوصاً وقطّاع طرق وأهل خيانة وغدر يعتدون على الأطفال والشيوخ والنساء. ونظمت هذه القصيدة ردّاً على أنشودة النصر غير معترضٍ كثيراً إلى الحوادث بقدر اعتراضي إلَى تاريخ اليهود وتوراتهم وما عرفوا به من قبل، وما هم عليه اليوم منَ الادعاء الباطل والغدر ونكران الجميل ممّا يناقض كل ما ادعاه الشاعر رئوبين وما وصف به قومه منَ المزايا والأخلاق". انظر: المصدر نفسه، ص١١٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

باع أبوهم يهوذا يوسف عليه السلام، لأنَّ حبَّ الدينار فيه قديم[1]. فالشاعر حاول أنْ يقدِّم صورة لليهود بشكل عام، من خلال ردِّه على رئوبين شاعر اليهود، متتبعاً الأفكار التي أوردها رئوبين في قصيدته، والتي تتحدث عن رؤية رئوبين للعرب، من أجل الردِّ على تلك الأفكار المستمدة من الفكر الصهيوني، ودحضها وإبطال مزاعم اليهود وأكاذيبهم.

وفي قصيدة "اليهودي التائه" للشاعر إيليا أبي ماضي تعرَّض للحديث عن شغف اليهود بالمال، وسعيهم الدؤوب لجمعه وكنزه، فيقول:[2]

أَعْجَبَهُ سَمْنَـــكُمُ فَصَارَ مِثْلَ العَلَقــه
يَمْتَصُّ أَمْوَالَـــكُمُ مَصَّ الهَجِيرِ الزَنْبَقَه
يَمْلأُ مِنْ جُيُوبِـكُمْ جُيُوبَـــهُ المُخَرَّقَه
إِنْ تَسْتَحُوا لا يَسْتَحِي كَـذَا الإِلَهُ خَلَقَــهُ

...

قُومُوا اقْرَؤوا تَارِيخَهُ هَلْ فِيهِ إِلاَّ مُوبِقَه؟
في كُلِّ يَومٍ يَبْتَغِي ضَرِيبةً أَوْ نَفَقَــه
كَأَنَّــكُمْ بُعولَــةٌ كَأَنَّــهُ مُطلَّقَـــه

كما أشار رجا سمرين في قصيدة "من وحي النكسة" إلى ذلك الشغف بحبِّ المال، وطرقهم في جمعه، بقوله:[3]

يَستَبِيحُ الأَموالَ مِنْ أَيِّ وَجهٍ ويُولِي الأُمُورَ أَهلُ الدَّنَاسة

إنَّ علاقة اليهود بالمال علاقة تاريخية متجذرة، فهو – بالنسبة لهم– السبيل الوحيد للسيطرة على العالم، والتحكم بالبشر. لذا لعن باكثير اليهود، الذين اتخذوا منه إلهاً ومعبوداً، يقول:[4]

تَبَّتْ يدُ المَلْعُونِ صِهيونٍ وتَبْ ولا بَنوهُ العَابِـــدُونَ للذَّهَبْ

---

[1] عادل الأسطة، اليهود في الأدب الفلسطيني بين ١٩١٣– ١٩٨٧م، ص٢٦.

[2] انظر: إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٠٦– ١٠٩.

[3] رجا سمرين، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٩٥.

[4] علي أحمد باكثير، قصائد علي أحمد باكثير عن فلسطين، ص٤٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

غَداً سَيَصْلَونَ نَاراً ذَاتَ لَهَبْ نَحْنُ وقُودُهَا وَهُـمْ لَهَا حَطَبْ

إِلَى الجهادِ فالجهاد قدْ وَجَبْ

فالشاعر يفترض لهم صورة أبي لهب وامرأته، اللذين سيصليان اللهب يوم القيامة بما آذيا رسول الله محمد ﷺ، واليهود سيصلون هذا اللهب في الدنيا قبل الآخرة على أيدي العرب المجاهدين.

ويُطالعنا نزار قباني في قصيدة "راشيل شوارزبنرغ"، التي يعرض فيها ما عمد إليه اليهود من تزوير للنقود، حيث قال:[1]

قِصَّةَ إِرْهَابِيةٍ مُجَنَّدهْ

يَدْعُونَهَا (راشيلْ)

قَضتْ سِنِينَ الحربِ فِي زَنْزَانةٍ مُنْفَرِدهْ

شَيَّدَهَا الأَلمانُ فِي براغْ

كَانَ أَبُوهَا قَذِراً مِنْ أَقْذَرِ اليهودْ

يُزوِّرُ النُقُودْ

لقد احتلَّ ذلك المال الجزء الأكبر من عاطفة الحب التي استولت على أنفس اليهود، وأصبحت متأصلةً في أعماقهم. ومع كثرة الأموال التي جمعوها بطرقهم الملتوية غير المشروعة، سعى اليهود إلى التحايل على الآخرين، حتى عرفوا بأنَّهم مرابون، يقومون بإقراض الناس المال، ليأخذوا بعد ذلك زيادةً عليه، وقد تكرَّرت تلك الصورة في أدبنا العربي وفي الأدب الغربي، فجاءت صورة اليهودي في النهاية بصورة المرابي، حيث بدا في روايات ويليام شكسبير مرابياً جشعاً، ففي: رواية "تاجر البندقية" التي كان بطلها شيلوك، الذي عُرف بمدى كراهيته للناس وحقده عليهم، حيث لجأ إلى استخدام الربا طريقةً للانتقام منهم. وفي رواية لكريستوفر مارلو، بعنوان "يهودي مالطا"، يتعرَّض فيها لوصف اليهودي المخادع المحب للمال.

---

[1] انظر: نزار قبّاني، الأعمال السياسية الكاملة، المجلد الثالث، ص٢٨- ٢٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وفي إحدى الصور التي رسمها الشاعر إيليا أبو ماضي لليهودي عابد الذهب، يقول في قصيدة "عابد الذهب":[1]

سَاءَتْ خَلائقُهمْ، أوْلا خَلاقَ لَهُم ... إلاَّ الشَّـــرَاهَةُ والإيثَارُ والنَّـــهمُ
إذَا رَأَوا صُورةَ الدِّينارِ بَارِزَةً ... خَرُّوا سُجوداً إلَى الأَذْقَانِ كُلُّهُمُ
قَدْ أَقْسَمُوا أَنَّهمْ لا يُشْرِكُونَ بِهِ ... بِئْسَ الإلهُ وَبِئْسَ القَـــومُ والقَسمُ

"وعن واقع اليهود بالاتجار والمال والصرفة والربا يقول ماركس: ويجب ألاَّ نبحث عن سرِّ اليهودي في دينه، بل فلنبحث عن سر الدين في اليهودي الواقعي، ما هو الأساس الدنيوي لليهودية؟ المصلحة العملية والمنفعة الشخصية. إذن فالعهد الحاضر بتحرره من المتاجرة والمال وبالتالي من اليهودية الواقعية العلمية، إنما يحرر نفسه أيضاً..."[2].

وفي قصيدة "النشيد الأول" للشاعر هارون هاشم رشيد يشير إلى كيفية استغلال اليهود لتلك الأموال التي جمعوها بالطرق الملتوية، وكيفية استغلالهم لها، حيث سعوا من خلال تلك الأموال غير الشرعية إلى امتلاك الأرض والبشر، فقد قال الشاعر:[3]

قد قَرَّرُوا بالمالِ.. أَنْ يَسْتَعْبِدُوا كُلَّ البشر..
قَدْ قَرّرُوا .. أَنْ يَشْتَرُوا.. حَتى الضمائرَ.. والفِكر..
حَتى الصحافةَ والإذَاعة.. والخيالةَ .. والصور
بِالمال.. قَالُوا.. سَوفَ نَحْكُمُ.. سَوفَ نَمْتَهِنُ البشر
سَنذلِّلُ.. الدُّنيا.. سَنَحْكُمَهَا.. سَنَمْلأُهَا.. شَرَر..
سَنَقُودُهَا نَحْوَ الدمارِ إلَى الفَنَاءِ.. إلَى الخَطَر
وَنَكُونُ نَحْنُ الرَّابِحِينَ النَّاجِحِينَ.. لَنَا الظَّفَرُ
بِالمَالِ سَوفَ نُذَلِّلُ، الدُّنيا جَمِيعَاً والبَشَر،
(يُاهوهَ) شَاءَ بِأَنْ يكُونَ الناسُ خُدَّاماً لَنَا
وبِأَنْ تَكُونَ الأَرضُ، كُلُّ الأَرضِ، مِنْ أَمْلاكِنَا

---

[1] إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٠٤.
[2] يوسف أيوب حداد، الصهيونية اليهودية، مجلة كنعان، العدد١١٥، تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٣م، ص٢.
[3] انظر: هارون هاشم رشيد، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٩٦- ٢٩٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وبِأَنْ نُتوِّجَ فِي فِلَسْطِينَ البعيدةِ.. مِلْكنا
وبِأَنْ يَجُوعَ الناسُ.. كَي يَرْضَى.. ويَهْنَأَ شَعْبُنَا
وبِأَنْ يَذُوقَ الذُّلَّ كلُّ الكَونِ إِلاَّ قَومَنَا
(ياهوه) شاءَ وسوف، نبلغُ ما أرادَ بعزمنا
بالمال بالإرهابِ.. بالإفسادِ في كلِّ الدُنى
بالفتكِ بالتدميرِ نبلغُ ما نريدُ.. وبالخنا[1]
سنبيعُ في سوقِ الرذيلةِ، كلَّ شيءٍ.. عندنا
وسنشتري كلَّ الوجود سنشتريه بمالنا

إنَّ تلك الصورة الكبيرة لليهودي، التي وضعها الشاعر بين أيدينا، ما هي إلاَّ دليل على ما جاء في برتوكولاتهم[2]، التي خطَّط اليهود لتنفيذ كل بند جاء فيها، من أجل أَنْ يصلوا إلى أهدافهم. فالمال – من وجهة نظر اليهود– هو السبيل الوحيد لامتلاك العالم والسيطرة عليه، فمن خلاله يستطيعون أَنْ يشتروا كلَّ الأراضي وحتى العقول والأفكار. وهذا هو السبب الذي جعل اليهود يغترون بما يملكون من مال. وقد أشار محمود عبد الحميد الأفغاني في قصيدة "قصة شعبي" إلى ذلك بقوله:[3]

أَخي قَدْ غَرَّ إِسْرَائيلَ أحلامٌ.. وأَمْوالُ
وغَرتهُمْ مَعَ الأَيا مِ أوهامٌ.. وآمالُ!
وظنَّ الخصمُ أَنَّ العربَ من دنياه، قد زالوا!
أَلا يَدْرِي بِأَنَّ الدهـــــرَ إِدْبَارٌ.. وإقبالُ!
ويوم البغيِّ، والباغينَ مَهْمَا طَالَ.. زوَّالُ

يرى الشاعر أنَّ الظلم والاستبداد مهما طال سيكون مآله إلى زوال، وأنَّ هذا الغرور الذي ملأ صدورهم، والأوهام التي عشعشت في عقولهم، لا بدَّ أَنْ يكون لها نهاية مهما طال بها الزمان.

---

[1] الخنا: الفُحشُ في القول. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الرابع، مادة (خَنَا).

[2] انظر: بروتكول رقم (٢٠) منْ كتاب: محمد خليفة التونسي، بروتوكولات حكماء صهيون الخطر اليهودي، ص٢٠١– ٢٠٨.

[3] انظر: محمود عبد الحميد الأفغاني، ديوان محمود الأفغاني، ص٨٧– ٨٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي قصيدة "فلسطين الجريحة" التي تعرَّض فيها أحمد محرم للحديث عن اليهودي المرابي، وكيف اتخذ المال رباً له، دليل واضح جليٌّ على تأصُّل تلك الصفة فيهم، وقسوتهم في تعاملهم مع الآخرين. فلقد غدا المال عند اليهود كالربِّ المعبود، الذي أولوه كلَّ الحب والإخلاص:[١]

أَفِي المســـجدِ الأَقصَى الأُلى أَبَـــوا سِوى المالِ طُولَ الدهرِ رَبّاً ومَسْجِدَا
أَحَلُّوا الرِّبَا، فالأَرْضُ غُبرُ وجُوهِهَا تُرينا الصباحَ الطلـــــقَ أَقْتَـــم أربدا

كما بثَّ الشاعر عبد الفتاح عبد العال في قصيدة "حرمان وفداء" صورةً لمقاومة العرب لهذا اليهودي المرابي، فقد قال:[٢]

وَتُخلِّصنَا مِنَ الشَّرَاذِمِ[٣] الحَاقِدةِ
وتُمَلِّصنَا[٤] مِنَ الشرائحِ الفَاسِدةِ
مِنْ أَهْلِ الفِسْقِ والشِّقَاقِ
مِنْ أَهْلِ المُرَابَاةِ والنِّفَاقِ

إنَّ اليهود شراذم تحمل نفوسهم الكثير من الحقد والكره للعرب، كما أنَّهم شعب فاسق، اتخذوا من الربا والنفاق وسيلةً لتعاملهم مع الناس. وقد أشار عبد الرحمن العشماوي في قصيدة "شاهد التاريخ" إلى أنَّ ما حصل عليه اليهود من مال ما هو إلاَّ عملة زائفة، لم تتخذ إلا قيمة باطلة من الربا، يقول الشاعر:[٥]

ما يَهودُ الغدر إلاّ عُملَةٌ نُقِشَت فيها حـــروفُ البَطَرِ
عُمْلَةٌ زَائِفَـــةٌ، قِيمَتُهَا في تضاعيفِ الرِّبا والمَيْسِرِ

فمنذ أنْ ظهرت صورة المرابي "شايلوك" في رواية "تاجر البندقية"، التي صوَّر فيها تاجراً يهودياً مرابياً، جوفه مليئ بالحقد الأسود على الناس، وقد شُغِف بحب المال الذي استخدمه كوسيلة للانتقام منهم. وفي مسرحية علي أحمد باكثير "شيلوك الجديد"، التي كتبها عام ١٩٤٤م، وقد رمز باكثير بشيلوك ليس

---

[١] أحمد محرم، ديوان الأقصى الحزين، ص٧٤.
[٢] عبد الفتاح رمضان عبد العال، ديوان نداء الأقصى، ص٤٣.
[٣] الشِرذِمة: الجماعة القليلة من الناس ج شَراذم وشَراذيم. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء السابع، مادة (شَرذَ).
[٤] تَملَّص: أفلت وتخلَّص. انظر: المصدر نفسه، الجزء الثالث عشر، مادة (ملَصَ).
[٥] انظر: عبد الرحمن بن صالح العشماوي، ديوان القُدْس أنت، ص١٣٦- ١٣٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فقط إلى شخص بعينه، بل إلى الشخصية الصهيونية بكل مكوناتها التي رباها (الجيتو اليهودي)[١] في أوروبا الشرقية[٢]. لذا نجدهم يحاولون أنْ يخرجوا أنفسهم من تلك الصورة، وأن لا تكون وصمة عار في حياتهم[٣].

كما أشار الشاعر (عدنان الصائغ) في قصيدة "بيروت" إلى حب اليهود للمال، حيث قال:[٤]

إنَّ صَيارِفةَ[٥] العَصْرِ مُنْتَشِرُونَ بِكُلِّ زَوايا المدينة

إنَّ رِجَالَ المباحثِ مُلْتَصِقُونَ بِكُلِّ خَلايا القصيدة

لقد غدا الربا والتحايل لدى اليهود وسيلةً من وسائل الانتقام من المجتمع، حتى إن بعض الحاخامات قد أفتوا بأن الربا هو مصدر سريع لجلب الدخل لليهودي، والذي يمكنه من التفرغ لدراسة التوراة بكل يسر وسهولة. من هنا حرم اليهود من الاندماج في مجتمعاتهم، وتكرست طفيليتهم وعداء المجتمع لهم[٦].

أمَّا صورة اليهود عابدي العجل، فقد أشرت إليها آنفاً عند حديثي عن صورة اليهودي في القرآن الكريم، فمنذ أنْ نجى الله بني إسرائيل من يد فرعون، الذي لاقوا على يديه الظلم والاضطهاد، عرف اليهود بأنهم قوم ضالون، يحاولون أنْ يقلِّدوا كلَّ من يرونهم، فعلى الرغم من أنَّ الله كان يستحق العبادة وعدم الشرك به، بعد تلك النعم التي أنزلها عليهم، إلاَّ أنهم قابلوا تلك النعم بالكفر، وبالإشراك بالله الواحد.

---

[١] الجيتو: الحي المقصور على إحدى الأقليات الدينية أو القومية، ولكن التسمية أصبحت ترتبط أساساً بأحياء اليهود في أوربا. وللكلمة معنيان: الأول يُقصد به أي مكان يعيش فيه فقراء اليهود دون قسر في الدولة. أما المعنى الثاني فهو الذي أصبح شائعاً ويُقصد به المكان الذي يُفرض على اليهود أن يعيشوا فيه. انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الأول، ص٤٣٤.

[٢] عبد الحكيم الزبيدي، اليهود في مسرح علي أحمد باكثير، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٩م، ص٢٤.

[٣] خليل الهنداوي، تيسير الإنشاء، ط١٠، دار الشروق العربي، بيروت، (د.ت)، ص٣٦٣.

[٤] عدنان الصائغ، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٥٥٦.

[٥] الصرَّاف والصَيْرَف والصيرفي ج صَيارفة: بيّاع النقود بنقود غيرها. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء السابع، مادة (صَرَف).

[٦] عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الأول، ص١٢٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فقد قاموا بعبادة العجل الذهبي المسبوك، وقد رافقتهم تلك الصورة إلى اليوم، حيث قام الشاعر العربي بإعادة إحيائها في درج قصائده.

وقد أكَّدت لنا حقيقة اليهود وعدم استحقاقهم أي وعد أو كرامة من الله تعالى، وذلك لأنَّهم أعرضوا عن شرائعه وفرائضه ووصاياه، حيث عبدوا غيره من الآلهة والأوثان، ومن بينها العجل[1]. وفي الشعر العربي في القرن العشرين إشارة إلى عبادة اليهود للعجل، فها هو الشاعر محمود حسن إسماعيل يقول في قصيدة "قيامة الثأر":[2]

لِكُلِّ دِينٍ أَرْسَلَ اللهُ، ذَهَبْتُم مُنْكِرِين
عَنْ كُلِّ شَرْعٍ مِنْ نبيٍّ جَاءَ، قُمتُم مُعرِضين
وَكُلِّ هادٍ مَرَّ بالدُّنيا، وقفتُم ناقِمين..
"مُوسَى" يُناجِي اللهَ فَوقَ سِينا،
وأَنْتُم للعجلِ ساجِدينا؛
مُحيِّرين التيهَ أَرْبَعينا..
حَتَّى نُسِخْتُم فيهِ أَجْمَعينَ

وفي قصيدة "فلسطين" للشاعر محمد الحلوي أشار إلى أنَّه لا خير فيمن جعل مع الله إلهاً آخر، وإلى أنَّ سيدنا موسى عليه السلام فيما لو عاد سيرفض العيش بينهم، ولن يختار منهم شيعةً أو حواريا، وذلك بقوله:[3]

وَلَو أَنَّ مُوسَى عَادَ مَا عَاشَ بَيْنَهُم ... وَلا اخْتَارَ مِنْهُم شِيعَةً أَوْ حَوَارِيا!
فَلا خَيْرَ فِيمَنْ أَلَّهُوا العِجْلَ بَعْدَهُ ... وَدَبُّوا إِلَى كُلِّ الشُّعُوبِ أَفَاعِيا!

---

[1] صالح الرقب، ليس لليهود حقٌّ ديني في فلسطين، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، المجلد السادس، العدد الأول، يناير ١٩٩٨م، ص٢.

[2] محمود حسن إسماعيل، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الثالث، ص١٦.

[3] محمد الحلوي، الأعمال الشعرية، الجزء الأول، ص١٠٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويُطالعنا إبراهيم طوقان في قصيدة "ردٌّ على رئوبين شاعر اليهود" إشارةً إلى عبادة اليهود للعجل الذي صنعوه من الذهب منذ زمن رسولهم موسى عليه السلام، وعنايتهم بالربا الذي عدَّه أحد أصنامهم التي يجبثون لها احتراماً وتقديساً، يقول:[1]

يَشْهَدُ (العِجْلُ) أَنَّ ألواحَ مُوسَى ... يوم زِغْتُم أَصَابَها التحطِيمُ
وَبُطُــونُ التاريخِ فِيهَا عَجِيبٌ ... وَغَرِيبٌ بِعَارِكُمْ مَوْسُـــومُ

...

والرِّبا ربُّكم لَهُ صَنَـــمُ الحِرْ ... صِ مِثالٌ أَنْتُمْ عَلَيهِ جُثُــومُ

وها هو الشاعر أحمد محرم في قصيدة "فلسطين الجريحة"، يُعلن رفضه لسيادة اليهود عابدي العجل لهذه الأرض وسيطرتهم عليها، يقول:[2]

أَيُمْسِي (عَبِيدُ العِجلِ) للنَاسِ سَادةً ... وَمَا عَرَفُوا مِنْهُمْ عَلَى الدهرِ سَيِّدَا؟
لَهُمْ مِنْ فِلَسْطِينَ القبورُ، ولَمْ يَكُنْ ... ثَرَاهَا لأَهلِ الرجسِّ مَثْوىً ومَرْقَدا[3]

فكيف يسود هذه الأرض من أضحى العجل له ربَّاً ومعبوداً؟! وكيف تمتد أيديهم على فلسطين، التي لن يكون لهم فيها حتى القبر. أيرضى الله أَنْ يحكم الأرض شعب شريد لم يعرف معنى السيادة يوماً؟!. وهذا ما أشار إليه رجا سمرين في قصيدة "يا حجر الطفل"، حيث قال:[4]

أَحْبَارُ الهَيْكَلِ مَهْزُومُونَ ومَرْعُوبُونَ
فَلا يَغُرُّكَ فَحِيح[5] الحَبْرِ الأَعْظَمِ
وهُوَ يَلُوبُ[6] وَيَصْرُخُ فِي وَجْهِ التاريخِ
وَيُعْلِنُ أَنَّ اللهَ أَعَادَ عَقَارِبَ الساعة
مِنْ أَجْلِ عُيونِ عَبِيدِ العجلْ
فَعَبِيدُ العجلِ وحُوشٌ

---

[1] إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص١١٤.
[2] أحمد محرم، ديوان الأقصى الحزين، ص٧٤.
[3] المَرقد: المضجع ج مراقد. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الخامس، مادة (رَقَدَ).
[4] رجا سمرين، الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٨٠.
[5] الفحيح: صوتها من فيها. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء العاشر، مادة (فَحَحَ).
[6] لاب الرجل يلُوب لَوباً أي عطش. انظر: المصدر نفسه، الجزء الثاني عشر، مادة (لابَ).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لا يَرْوِيهِمْ غَيرُ دِمَاءِ الطفلِ الكنعانيِّ
وَلا يُشبِعَهُمْ غَيْرُ لُحومِ صَبَايا القدس

يعلن الشاعر رفضه لوجود عبيد العجل على أرض فلسطين، وأنَّ هؤلاء سيكون مصيرهم الهزيمة. إنَّ اليهود عبيد العجل، يتوهَّمون أنَّ الله قد أعطاهم تلك الأرض، وأنَّ سيادتها من حقهم، كيف هذا وهم يغرسون حقدهم في صدور الأطفال والصبايا؟! أيرضى الله أَنْ يُقتل الأبرياء من الأطفال والنساء؟! أيرضى أَنْ يُبني أحد وطناً ودولةً على حساب الآخرين؟! إنَّ الله لا يرضى ذلك، ولكن اليهود يعبثون بالتاريخ كيفما شاؤوا، حتى يسهل عليهم تحقيق مطامعهم،

وقد أشار عدنان النحوي في قصيدة "ربى الأقصى" إلى كفر اليهود بالله، بسبب لجوئهم إلى عبادة العجل بدلاً من عبادة الواحد الأحد، الذي أنزل عليهم الكثير من النعم، ولكنهم أبوا إلا الجحود والنكران، فكان مصيرهم العقاب، حيث مسخهم الله وجعلهم قردةً وخنازير، يقول:[1]

فَوا عَجَباً لِمَنْ مُسِخُوا قُروداً جَزَاءَ الكافـــــرينَ المُعْتدينا
ومَنْ عَبدوا على الأَهواءِ عِجْلاً عَلى دَنسِ الضَّلالةِ مُبْلسينا[2]

أمَّا شاعر المهجر إيليا أبي ماضي، فقد ذكر في قصيدة "أيا عجل اليهود" اليهود وعبادتهم للعجل، فيقول:[3]

أَيَا عجلَ "اليهودِ" ولَسْتَ تِبْراً وإلاَّ كُنْتُ أَحْسَنَ مِنْكَ حَالا
إِذَا هَزَّ العَصَا "مُوسَى" وَأَهْوَى فَلَيْسَ يَقِيكَـــهَا قَرْنانِ طَالا

---

[1] عدنان علي رضا النحوي، ديوان ملحمة فلسطين، ص٩٧.

[2] أبلَسَ من رحمة الله: أي يَئِسَ. ومنه سُمِّي إبليسُ وكان اسمه عزازيل. والمُبْلِس هو الساكت من الحزن والخوف. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الأول، مادة (بَلَسَ).

[3] إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٠٣٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الرابع

صورة اليهودي عدو السلام

لن نجد قوماً يستخفون بالعهود كما هم اليهود، فهم لا يراعون العهود والمواثيق ولا يلتزمون بها. وقد حاول الشعر العربي أَنْ يبيِّن للذين يلهثون وراء تحقيق السلام مع اليهود أنَّ ذلك لم يكن إلاَّ خديعة يتوارون خلفها، من أجل أَنْ يتنصَّلوا من تحقيق سلام عادل وشامل مع العرب، وأَنْ يزيدوا مدة إقامتهم على تلك الأرض.

وفي الشعر إجابة للتساؤل الذي حيَّر العقول العربية، ألا وهو: هل يُريد اليهود الحرب أو السَّلام؟ ولن يكون هناك إجابة أكثر صراحةً ووضوحاً من أنَّ السلام مع اليهود مستحيل، وأنَّ الأرض لا يمكن أَنْ يستردَّها أصحابها من أيدي المعتدين إلاَّ بالقوة والسلاح كما أُخذت.

فالسلام بالنسبة لبن غوريون: "إنْ هو إلاَّ وسيلة وحسب، أمَّا الغاية فهي الإقامة الكاملة للصهيونية. ولذا فالاتفاق الشامل أمر غير مطروح الآن، فالعرب لن يستسلموا في إرتس يسرائيل[1] إلا بعد أَنْ يستولي عليهم اليأس الكامل، يأس لا ينجم عن فشلهم في الاضطرابات (الانتفاضات) التي يثيرونها أو التمرد الذي يقومون به وحسب، وإنَّما ينجم عن نمونا نحن أصحاب الحقوق اليهودية المطلقة في هذا البلد"[2].

---

[1] إرتس يسرائيل:" عبارة عبرية وردت في التَّوراة وفي الكتابات اليهودية الدينية والفقهية، وتعني حرفياً" أرض يسرائيل". ويستخدم هذا المصطلح للإشارة إِلَى أرض فلسطين وبعض المناطق المتاخمة لَهَا". انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الثاني، ص٤٥٥.

[2] انظر: المصدر نفسه، المجلد الثاني، ص٥١٩-٥٢٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لقد كان الشعراء أكثر استشعاراً بخطر تلك المشاريع التي وضعها اليهود، فها هو هاشم الرفاعي في قصيدة "وصية لاجئ" يعبر عن هذه المشاريع من مثل: (مشروع ليندون جونسون)[١] بعيد حرب عام ١٩٦٧م، و مشروع (كامب ديفيد ١٩٧٧-١٩٧٩م)[٢] وخطرها على الأمة العربية[٣]، فيقول:[٤]

سَيُحدِّثُونكَ يا بُنَي عَنِ السَّلام
إياكَ أَنْ تُصغي إِلَى هَذا الكَلام
كَالطفلِ يُخدع بِالمُنى حِينَ يَنَام
صَدَّقتُهُمْ يَوماً فآوتنِي الخِيام
وغَدَا طَعَامِي مِنْ نَوالِ[٥] المُحْسِنِين
يُمقِي[٦] إِلَى الجِيَاعِ اللاجئين

يُصوِّر لنا الشاعر ذلك السَّلام بأنَّه ما كان ولن يكون إلاَّ خديعة، يخدع بها الشعب العربي، الذي يصوره طفلاً يخدع بالمنى قبل نومه. ويُشير الشاعر إلى أنَّ السَّلام لم يكن إلا سبباً في تشريدنا وضياعنا،

---

[١] مشروع ليندون جونسون: مشروع خاص باستغلال مياه نهر الأردن ينسب إِلَى جونسون المبعوث الخاص للرئيس الأمريكي أيزنهاور، عرض مشروعه على رؤساء الحكومات العربية خلال شهر نوفمبر١٩٥٣م، يتضمن هذا المشروع إنشاء سد على نهر الحصباني العلوي لتخزين فائض الايراد الشتوي للنهر. انظر: أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ص٤٢٩.

[٢] كامب ديفيد: "تمخَّض كامب ديفيد الذي قادته الإدارة الامريكية عن وثيقتين مثلتا ذروة النجاح للكيان الصهيوني والاستراتيجية الإمبريالية حيثُ أتاحتا لهما دخول المنطقة العربية مِنْ أوسع أبوابها "مصر" وإحكام السيطرة عليها".
"وقد نصَّت الاتفاقية الأولى مِنْ اتفاقيات كامب ديفيد المسمَّاة باتفاقية "إطار السلام في الشرق الأوسط"- بأنَّ كلاً مِنْ مصر وإسرائيل وافقتا على أنْ يكون حكم ذاتي لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة خلال خمس سنوات انتقالية تتاح لإسرائيل خلالها حق إبقاء قواعد عسكرية في نقاط معينة للحفاظ على أمنها... أمَّا الاتفاقية الثانية والوثيقة التي تُعبِّر عنها، فقد أسميت "إطار للسلام المصري وإسرائيل" وهي تمثِّل إطار الصلح النهائي الثنائي بين النظام المصري وإسرائيل، فلقد نصت هذه الوثيقة على أنَّه "مِنْ أجل التوصل إِلَى السلام بين البلدين فقد تَمَّ الاتفاق بين كُلٍّ مِنْ مصر وإسرائيل على التفاوض بإيمان صادق بهدف التوقيع على إطار لاتفاقية سلام بين البلدين خلال ثلاثة أشهر...". انظر: كامب ديفيد أعلى مراحل التآمر على الشعب الفلسطيني، إعداد قسم الدراسات، منشورات فلسطين المحتلة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٤٧-٥٩.

[٣] يوسف شحدة الكحلوت، مشروع السلام برؤية شعراء انتفاضة الأقصى المباركة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، يونيه ٢٠٠٨م، ص٧٢.

[٤] هاشم الرفاعي، ديوان هاشم الرفاعي المجموعة الكاملة، جمع وتحقيق محمد حسن بريُغش، ط٢، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٣٨٠.

[٥] النَّوال: العَطَاء والحاجة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الرابع عشر، مادة (نَالَ).

[٦] يُمقِي: يُقدِّم. انظر: المصدر نفسه، الجزء الثالث عشر، مادة (مقَا).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فقد صدَّق العرب اليهود من قبل في سلامهم المزيف، فكان مصيرهم التشرد والضياع، والنوم في العراء والخيام؛ وهذا ما حدث فعلاً وخيام الفلسطينيين تشهد على ذلك.

ويؤكِّد عبد الرحمن العشماوي في قصيدة "اكسروا هذي السلاسل" أن السَّلام وهم وأكذوبة كبرى، وأنَّ اليهود هم أعداء للسَّلام، ولا وجود لأيِّ نوايا لتحقيقه، ولا صلة تربط بينهم وبين السَّلام الحقيقي العادل لا من قريب ولا من بعيد. وفي ترديد الشاعرة لكلمة (اليهود) إشارة إلى مدى التناقض بين هذين القطبين اللذين لا يلتقيان: اليهود والسَّلام، بل من السخف أَنْ نظنَّ أنَّهما سيلتقيان[١]، يقول:[٢]

واعلموا أَنَّ سلامَ القومِ وهمٌ..
مَا لَهُ في هذه الدنيا وجودْ
أَيهودٌ وسَلامٌ، وسَلامٌ ويَهودْ؟!
هَذهِ الأُكذوبةُ الكُبْرَى..
وفِي التَاريخِ الآفَ الشُّهود

ويستخف خالد الفرج في قصيدة "الهدنة" بإتفاقية الهدنة التي وقعها العرب مع إسرائيل عام ١٩٤٨م، وبقومه الذين تهاووا أمام ذلك العدو يبحثون عن السَّلام[٣]، حيث جعلت إسرائيل من تلك الهدنة غربالاً يستعين به، من أجل غربلة الرجال الذين يدَّعون البطولات الكاذبة، فيقول:[٤]

بَيْنَ اليهودِ وبَيْنَ قَومـــــي هُدنةٌ ... قَدْ خُرِقتْ حَتى غَدتْ غِرْبَالا
فيهِ النِّصَالُ عَلى النِّصالِ تَكَسَّرتْ ... وبِهِ نُخلنَا للخُطــوبِ رِجَالا
لَمْ يُمسِــكَ الغِربالَ مِنْهُم واحِــداً ... حَتَّى ولا وَعْــدَاً ولا أَقْوالا

ويستثير الشاعر حسني زيد الكيلاني العرب ويحذرهم ألاَّ ينخدعوا بوعود الحلفاء وحلاوة أحاديثهم ومعسول كلامهم، فيقول في قصيدة "لا تُرجعوا مأساة أندلس لكم":[٥]

---

[١] يوسف شحدة الكحلوت، مشروع السلام برؤية شعراء انتفاضة الأقصى المباركة، ص٧٦.

[٢] عبد الرحمن بن صالح العشماوي، ديوان القُدس أنت، ص١٨٣.

[٣] محمد إبراهيم حُور، فلسطين في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج العربي، ص١٢٨.

[٤] خالد سعود الزيد، خالد الفرج: حياته وآثاره، ص٥٣.

[٥] انظر: حسني زيد الكيلاني، ديوان أطياف وأغاريد، دار الرائد للدعاية والنشر، عمان، ١٩٤٦م، ص٢٩-٣٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

دَهَمَتْكُم سُــودُ الخُطُوبِ فَجَرِّدُوا سَيْفَ العُرُوبَــةِ للجِهَادِ وَشَمِّرُوا
قُومُوا ابْعَثُوهَا فِي الجَزِيرَةِ صَيْحَةً حَمْرَاءَ تُقْصَفُ بِالرُّعُــودِ وَتُنْذِرُ
لا تَعْبَأُوا بِوعُــودِهِم وَوَعِيدِهِم إِنْ شِئْتُم يَا قَــوم أَنْ تَتَحَرَّرُوا
هُــم يَمْلِكُونَ قَنَابِلاً ذَرِيَّــةً وَاللهُ مِنْ تِلْكَ القَنَابِلِ أَكْبَرُ
خَطَرُ المَصِيرِ أَجَلُّ مِنْ تَهْدِيدِهِم بِالنَّاسِفَاتِ كَمَا تَرَونَ وَ أَخْطَرُ

...

لا تَأْخُذُوا الأَفْعَى بِنَاعِمِ جِلْدِهَا فَالنَّابُ فِي تِلْكَ النُّعُومَةِ أَخْبَرُ
يَا قَوم جَدَّ الجِدُّ وَاتَّضَحَتْ لَكُم نِيَّاتُهُم إِنْ أَفْصَحُوا أَو أَضْمَرُوا
لا تُرْجِعُوا مَأْسَاةَ أَنْدَلُــسٍ لَكُم وَتُصَوِّرُوا الشبحَ الرَّهِيبَ وأَبْصِرُوا

لقد أحسَّ الشاعر بفقد فلسطين وضياعها لا محالة، ففزع من خلال الشعور إلى صلاح الدين الأيوبي، فتمثله محارباً، مدبراً لمعركة التوحيد ضد الصليبيين، لعلَّ في ذلك إثارةً للزعماء العرب الذين كانوا يرون المطامع الصهيونية التي أخذت تزرع المستعمرات وتمدها بالسلاح، بمباركة الإنجليز، دون أنْ يحركوا شيئاً غير اللسان:[1].

وقال أيضاً في قصيدة "عيد بلفور"، التي نظمها بمناسبة حوادث فلسطين بين العرب واليهود في ربيع الثاني ١٣٤٨هـ، حيث قال:[2]

هَلْ كَانَ وَعْــدُكَ مُنزلاً بِالوحي مِنْ رَبٍّ مَجِيد؟
أَمْ أَنتَ تِمْثَالُ الوفاءِ فَــلا تَحُــولُ ولا تَحِيد
جَازيتَ إِخوانَ السَمَــؤالِ فِي وَفَائِــهِمْ المَجِيد
هُــم آزَرُوكَ فجَازِهِــمْ مِمَّا لَدَيكَ بِمَا تُرِيد
فَأَمَامَــكَ المُسْتَعْمَرَاتُ وَقَدْ تَرامَــتْ بِالحُدُود
إِنَّ الكريــمَ بِمَا لَدَيهِ عَلَــى مُواليهِ يَجُود
وَاحْذَرْ مِنَ العَرَبِ الأَشَاوسِ إِنَّ بأَسَــهُمُ شَدِيد

---

[1] سمير قطامي، الحركة الأدبية في شرقي الأردن مُنْذُ عام ١٩٢١م حتَّى عام ١٩٤٨م، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٩م، ص١١٤.

[2] خالد سعود الزيد، خالد الفرج: حياته وآثاره، ص٤٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

إنَّ الاقتناع بأنَّ إسرائيل تدعو إلى السَّلام، وبأنَّها محبة له، وذلك من خلال التظاهر بحرصها عليه، لا يمكن أنْ يكون صحيحاً؛ لأنَّ من يقوم بالعنف والعدوانية ضد الشعب الفلسطيني، لن يكون سلامها المزيف إلا دعايةً؛ لإظهار نفسها أمام الرأي العام بأنها من دعاة السَّلام والاتفاق. فنحن نشاهد كلَّ يوم كيف أنَّ الصهاينة المعتدين يطرحون السَّلام في كلِّ مناسبة من المناسبات، ليُظهروا لنا أنَّهم يريدون العيش مع العرب بسلام[١]، قال هارون هاشم رشيد في قصيدة "قولوا لهم" موجِّهاً خطابه لهؤلاء الذين يدَّعون إلى السَّلام، ويتبجحون بالمثل الإنسانية، متناسيين هول كارثة فلسطين وحقيقة عروبتها:[٢]

قُولُوا لَهُم.. أَيْنَ السَّلامُ الحَقُّ.. أَشْيَاعَ السَّلام؟!

وَالدَّاعِرُونَ.. يُمَزِّقُونَ قَدَاسَةَ الأَرْضِ الحَرَام

الحَالِمُونَ بِدَولةٍ فِي غَيْرِ مَوْطِنِهم تُقَام

بِالظُّلْمِ بِالإِرْهَابِ، بِالتَّشْرِيدِ بِالدمِ بِالحِسام

...

مِنْ أَيْنَ يَبْلُغُنَا السَّلام.. وفِي فِلَسْطِينَ اللئام

يَتَمَتَّعُونَ بِخَيرِهَا.. وَنَمُوتُ فِي لَيْلِ الخِيام

من خلال المقطع الشعري السابق نلحظ رفض الشاعر دعوة اللاجئين إلى السلم والتصالح مع اليهود قبل أنْ يتحقق أملهم بالعودة إلى أرضهم، وهذا لن يتم إلاَّ بالقوة والحرب، بالإضافة إلى قهر المحتل وإزالة دولته المزيفة[٣].

---

[١] أحمد نوفل، الحرب النفسية بيننا وبين العدوّ الإسرائيلي، ص٢٧.

[٢] انظر: هارون هاشم رشيد، الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٣٢- ١٣٣.

[٣] عبد الرحمن الكيالي، الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، ص١٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وقد جاء في شعر أمل دنقل ما يؤكّد رفض الصلح، الذي يتقنع به المحتل، من أجل أنْ يبقّي يده على أرضنا، ولكن الشاعر أصرَّ على عدم قبوله، حتى لو كان ثمن هذا الصلح الذهب والمال الكثير. فالأرض عند الشاعر ليست شيئاً يباع ويشترى، يقول في قصيدة "لا تصالح":[1]

(١)
لا تُصَالِح!
.. ولَو مَنَحُوكَ الذهَبْ
أَتُرَى حِينَ أَفْقَأُ عَيْنَيْكَ،
ثُمَّ أُثَبِّتُ جَوْهَرَتَينِ مَكَانَهُمَا..
هَلْ تَرَى..؟
(٢)
لا تُصَالح عَلَى الدمِ، حَتَّى بِدَمْ!
لا تُصَالح! ولَو قِيلَ رَأْسُ بِرَأْسِ،
أَكُلُّ الرؤوسِ سَواءٌ؟!
أَقَلْبُ الغريبِ كَقَلْبِ أَخِيكَ؟!
أَعَيْنَاهُ عَيْنَا أَخِيكَ؟!
...
لا تُصَالِحْ،
فَمَا الصلحُ إلاَّ مُعَاهدةٌ بَيْنَ نِدِّينِ..
(فِي شَرَفِ القَلْبِ)
لا تَــنتقَصْ
وَالَّذِي اغْتَالنِي مَحْضُ لِصْ
سَرَقَ الأَرْضَ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيَّ
وَالصَّمْتُ يُطلِقُ ضِحْكَتَهُ السَّاخِرَه!

---

[1] أمل دنقل، الأعمال الشعرية، ص٣٢٤.

" لقد نظم أمل دنقل هذه القصيدة في نوفمبر – تشرين الثاني ١٩٧٦م بعد توقيع اتفاقية فصل القوات الثانية بين إسرائيل ومصر سنة ١٩٧٥م، وبدأت تظهر في الأفق الإرهاصات الأولية لاتفاقيتيه كامب ديفيد، ومعاهدة الصلح مع الكيان الصهيوني. ومِنْ ثُمَّ جاءت هذه القصيدة ردًا، بَلْ نقضًا سياسيًا وعقلانيًا على منطق الصلح مع الكيان الصهيوني، بحيث جاء كُلُّ نهي (لا تصالح) في الوصايا العشر مصحوبًا ومدعمًا بدليله وحيثيته". انظر: جابر قميحة، لا تصالح على الدم حتى بدم، رابطة أدباء الشام، لندن، ٢٠٠٥/١٠/٨م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

حاول الشاعر في هذه الأبيات أنْ يبرهن للعرب أنَّه لا جدوى من الصلح مع اليهود. ففي هذه القصيدة إيحاء بأبعاد المفارقة الفاجعة بين ظروف الحياة في ظل (كليب)[1] وظروفها بعد غيابه. فكليب المقتول يرمز للأرض العربية، أما القاتل (جساس)[2] فيمثل رمزاً للعدو الغاصب حقوق الأمة العربية وأرضها.[3]

وفي حديث لأمل دنقل يقول فيه: "نعم أنا لست ضد استعادة الأرض بالسياسة أو ما يطلق عليه اسم المفاوضات والطرق السلمية، ولا أحد من العرب الآن حتى أشد العرب تشدداً يرفض هذه الفكرة، ولكن (لا تصالح) الفكرة الأساسية فيها أنه لا يريد أنْ يُصالح أخاه على دمه هو. أنْ يرضى بالحياة ويرضى بالملك في سبيل أنْ يستمر هو، بمعنى أوضح ألا أقايض بأحلام شعب آخر"[4]. من هنا كان رفض الشاعر العربي للصلح مع اليهود مهما كانت المغريات؛ لأننا أمام صلح لا وجود للتكافؤ فيه بين طرفيه، فأحدهما قاتل والآخر مقتول.

ووصف الشاعر يوسف العظم في قصيدة "السَّلام الهزيل" ذلك السَّلام بأنَّه سلم هزيل، وأنَّه من واجب الشعب العربي الفلسطيني أنْ يستمر في الجهاد، حيث يقول:[5]

أيُّ سِلْمٍ هَذا الَّذِي تَنْشُدونَهْ وشِـــعارٍ هَذا الَّذِي تَرفَعُـــونَهْ
أنْ تُزيلوا العُدوانَ دُونَ جِهادٍ وتدكُّوا في كُلِّ أرضٍ حُصونَهْ

---

[1] كليب بن ربيعة: اسمه وائل وكليب لقبه، نشأ في حجر أبيه، ودُرِّب على الحرب ثُمَّ تولَّى قيادة الجيش لبكر وتغلب زمناً. أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٣٤٩.

[2] جساس بن مرّة: ابن عم لكليب وقاتله بعد أنْ نجحت البسوس (التي أقامت في ضيافته) في إثارة الفتن: بأنْ أمرت عبيدها أنْ يطلقوا ناقتها الجرباء (سراب) ترعى في البستان المعروف بحي كليب وتدمر الأشجار... حتَّى أمر كليب بذبح الناقة. ويُقال أنَّ جساساً هو آخر قتيل في حرب البسوس، التي استمرت مُنْذُ مقتل كليب وحتَّى مصرع جساس أربعين عاماً. انظر: المصدر نفسه، ص٣٥٢.

[3] فتحي "محمد رفيق" يوسف أبو مراد، شعر أمل دنقل: دراسة أسلوبية، ص١١٣.

[4] أحمد الدوسري، أمل دنقل شاعر على خطوط النار، ط٢، دار الفارس، عمان، ٢٠٠٤م، سلسلة دراسات أدب، ص٥٤.

[5] يوسف العظم، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University

وفي قصيدة "ذكرى وعد بلفور" للشاعر أحمد محرم يتحدث فيها عن هذا الصلح غير المتكافئ، بين العرب واليهود، حيث قال:[1]

عَقَدُوا لَنَا العَهْدَ البَغِيضَ، وَإِنَّهُـم ... لأَضرُّ مَنْ عَقَدَ العُهُودَ فَأَحْكَمَا
مَا العَهْدُ يُكْتَبُ للسَّلامِ عَلَى رِضَىً ... كَالعَهْدِ يُكْتَبُ بِالسِّـلاحِ مُسَمَّمَا
(بِلْفُـورُ) بِئْـسَ وَعْدُكَ للأُلَى ... جَعلوكَ للأَمَـلِ المُخيَّبِ سُلَّما
خَدَعُوكَ حِيْنَ أَطَعْتَهُم، وَخَدَعْتَهُم ... إِذْ طَاوَعُوكَ، وَتِلْكَ مَنْزِلَةُ العَمَى

كما أشار غازي القصيبي في قصيدة "نحن مع السَّلام" إلى سلام اليهود الزائف أيضاً، فهم في الإجرام تلاميذ هتلر، وهم الذين قتلوا الأطفال ومزقوا الأوصال، فكيف يكون معهم سلام؟:[2]

يَا طُغْمَةَ "الليكودْ"!
يَا مَنْ تَتَلْمَذتُم عَلَى هِتلرَ..
فِي صِنَاعَةِ الإِجْرَامْ
...
نَحْنُ مَعَ السَّلامْ!
وَذَبَّحُوا أَطْفَالَنا!
نَحْنُ مَعَ السَّلامْ!
وَمَزَّقُوا أَوْصَالَنا!
نَحْنُ مَعَ السَّلامْ!

يؤكِّد الشاعران (محرم والقصيبي) أنَّ السَّلام الذي طال انتظارنا لتحقيقه مستحيل مع اليهود، فكيف يتحقق السَّلام في ظل التدمير والقتل. فمنطق اليهودي وأخلاقه ونفسيته المعقدة تتنافى مع السَّلام الحقيقي. وفي هذا يقول غازي القصيبي: "إنَّ السَّلام الحقيقي لا يأتي إلاَّ مع تعامل القوى وفقدان التمايز، وحين يحسب كل طرف للطرف الآخر ألف حساب، ويمثل له تهديداً حقيقياً. عندئذ تندفع كلُّ الأطراف

---

[1] أحمد محرم، الأقصى الحزين، ص٥٠.

[2] غازي القصيبي، للشهداء، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١م، ص٤٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

باحثةً عن السَّلام. ولكن هذا السَّلام لا يتحقق طالما شعر أحد الطرفين بالتفوق والغلبة. ولهذا طال انتظارنا للسَّلام والعدو يعطينا سلاماً هو في مفهومنا الضياع والهوان"[١].

فكيف يتحقق السَّلام والأرض منهوبة والحقوق مسلوبة، ومقدساتنا تضيع أمام ناظرينا، وأعراضنا تنتهك على مرأى ومسمع كل البشر، يقول عبد الرحمن العشماوي في قصيدة "رامي":[٢]

أَسَلامٌ أَنْ تُسْرَقَ أَرْضِي ... أَنْ يُقْتَلَ في حِضْنِي رَامِي
مَا بَالِي، يَتَلاشَى صَوْتِي ... لَمْ أُبْصِـــــر جَبْهةَ مِقْدَامِ
طَلَقَاتُ رَصَاصٍ.. أَشْلاءٌ ... نَارٌ كَالحَـــــةُ الإِضْرَامِ
طَلَقَاتُ رَصَاصٍ .. صُبُّوها ... إِنْ شِئْتُمْ في قَلْبِـــي الدَّامِي

ويصف الشاعر القروي في قصيدة "وعد بلفور" حقيقة هذا الوعد وصفاً دقيقاً، كاشفاً اللثام عن أهداف المستعمر الذي مضى في تنفيذ "وعد من لا يملك إلى من لا يستحق"، وفي المقابل سعى ذلك المستعمر إلى القضاء على الثورة والثوار، فيقول:[٣]

الحقُّ مِنْكَ وَمِنْ وعُودِكَ أَكبرُ ... فَاحْسِبْ حِسَابَ الحَقِّ يَا مُتَجَبِّرُ
تَعِدُ الوعُودَ وَتَقْضِي إِنْجَازَهَا ... مُهْجَ العِبَادِ ، خَسِئْتَ يَا مُسْتَعْمِرُ
لَو كُنْتَ مِنْ أَهْلِ المَكَارِمِ لَمْ تَكُنْ ... مِنْ جيبِ غَيْرِكَ مُحْسِناً يَا بَلْفَرُ
عِدْ مَنْ تَشَاءُ بِمَا تَشَاءُ فَإِنَّمَا ... دَعْوَاهُ خَاسِرَةٌ وَوَعْدُكَ أَخْسَرُ

وقال محمود حسن إسماعيل في قصيدة "زفرة على فلسطين الدامية":[٤]

يَا يَوْمَ "بِلْفُور" وَشُؤْمُكَ خَالِدٌ
مَا ضَرَّ لَوْ أَخْلَفْتَ هَذَا المَوْعِدَا؟!
عَاهَدْتَ أَعْزَلَ الجُسُومِ، سِلاحَهُم
مَا كَانَ إِلاَّ الحقّ صَاحَ مُقَيَّدَاً
وَتَرَكْتَهُم رَهْنَ المَطَامِعِ تَبْتَغِي

---

[١] محمود إسماعيل عمار، صورة الحجر الفلسطيني في الشعر السعودي، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٣م، ص٣٩.
[٢] عبد الرحمن بن صالح العشماوي، ديوان القُدْس أنت، ص١٨٩.
[٣] القروي: رشيد سليم الخوري، الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الأول، ص٤٣٦.
[٤] انظر: محمود حسن إسماعيل، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٦٠- ٦١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مِنْهُم عَلَى حُرِّ المَواطِنِ أَعْبُدَا

لقد عرف اليهود منذ أقدم العصور بنقضهم للعهود والمواثيق وبعدهم عن السَّلام والتصالح الاجتماعي بل حتى النفسي الداخلي، وفي القرآن شواهد عدة على ذلك، فكم من المرات نقض اليهود عهودهم مع النبي محمد ﷺ وكم من المرات خرق اليهود وعودهم واتفاقياتهم مع العرب في زماننا الحاضر؟! حتى غدا بينهم وبين نقض تلك العهود صلة وارتباط، يقول عبد الرحمن العشماوي في قصيدة "يا فارس الحجر الأشم":[1]

رَأَت السَّلامَ العَالمِيَّ حِكَايَةً مَقْلُوبةً بِيَـــدِ اليهودِ تُسطَّرُ
وَتَأمَّلَتْ وَجْهَ اليهودِ فَمَا رَأَتْ إلاَّ مَلامِـــحَ بِالخِيانَةِ تَقْطُرُ
ضِدَّانِ فِي الدُّنيَا: وَفَاءٌ صَادِقٌ وَالعَهْدُ مِمَّنْ بِالمُعَاهدِ يُغْدَرُ
ضِدَّانِ فِي الدُّنيَا، سَلامٌ عَادِلٌ وَطَبِيعَةُ البَّاغِي الَّذِي يَتَهَوَّرُ
بَيْنَ اليهودِ وَبَيْنَ نَقْضِ عُهُودِهِمْ نَسَبٌ، خِيانَتُهُمْ بِهِ تَتَجَذَّرُ[2]

...

أُكذُوبَةُ السِّلم التِي خَدَعُوا بِهَا قَوْمِي، بِأَلْسِنةِ المَدَافِعِ تَهدِرُ
عَجَبَاً، أَيُرجى السِّلمُ مِنْ أَعدائِهِ وتُصافح الكفُّ التِي لا تَطْهُرُ ؟!

وما (وعد بلفور)[3] إلا وعد زائف، قام على الكذب والتزييف، قام على اتفاق والتقاء بين مصالح الاستعمار البريطاني، ومصالح الحركة الصهيونية؛ حيث أعطت بريطانيا للمعتدين أرض فلسطين، وأحلوا لهم إقامة وطن على تلك الأرض، حتى لو كان ذلك على حساب أصحاب تلك الأرض. وكأنَّ الأرض لها تهبها من تشاء ومتى تشاء.

---

[1] انظر: عبد الرحمن بن صالح العشماوي، ديوان القُدْس أنت، ص١١٩- ١٢٠.

[2] أي أنَّ الخيانة متأصلة في نفوسهم.

[3] وعد بلفور:" هو التصريح الشهير الذي أصدرته الحكومة البريطانية عام ١٩١٧م تعلن فيه عن تعاطفها مع الأماني اليهودية في إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين". انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الثاني، ص ٢١٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

كما صوَّر علي محمود طه وعد بلفور بأنَّه وعد خطه الظلم، وأنَّه حلم من عالم الخيال والوهم، حمته القوة، وأخرجته إلى عالم الحقيقة، فكان مثار خطوب ومبعث أهوال، فيقول:[١]

وَعْدُ (بِلْفُور) كَانَ للغَرْبِ شُؤْمَاً وَضَيَاعَاً وَشَرَّ مَا فِي الوُعُودِ!
وَامْتِحَاناً لأُمَّـــةٍ لَمْ يَزِدْهَا خُلْفُهَا المُسْتَدِيمُ غَيْرَ الشُّرُودِ!
دَقَّ فِي قَلْبِ أُمَّةِ العُرْبِ إِسْفِيـــ ـنَاً وَأَلْقَى بِالقُدْسِ فِي أُخْدُودِ!
وَبَنَى مِنْ صَهْيُونَ فِي الشَّرْقِ عِمْلا قَاً بِنَابٍ وَمَخْلَبٍ مَمْدُودِ!
وَعَلَيْهَا مِنْ صَانِعِيهَا دُرُوعٌ وَاقِيَاتٌ مِنْ كُلِّ خَصْمٍ عَتِيدِ!

وفي قصيدة "جاء طفلي" للشاعرة دلال الخالدي ذكر لزيف هذا الوعد، حيث تقول:[٢]

لَيْسَ بِلْفُورَ أَيُّ وَعْدٍ إِنَّه بِالشُّؤْمِ جَاء
إِنَّ إسرائيل ظلمٌ بَلْ دمارٌ بَلْ فَنَاء
إِنَّني يَا قُدْسُ أَكْتَوي نَارَ البَلاء

وأشار علي أحمد باكثير في قصيدة "إما نكون أبداً أو لا نكون أبداً" إلى استحالة الصلح مع اليهود بقوله:[٣]

لا صُلْحَ يا قَوْمِي وإِنْ طَالَ المدى
وإِنْ أغارَ خصمُنا وأَنْجدا
وإِنْ بغى وإِنْ طغى وإِنْ عدا
وروَّعَ القدسَ وهدَّ المسجدا
وشادَ مكانَه هيكلَه الممرَّدا
وشرَّدَ الألوف مِنْ ديارِهم وطردا
وذبح الأطفال والنساء والشيوخ ركعاً وسجدا
يلتمسُ العدوُّ صلحَنا سدى
لا لَنْ يكون سيدا

---

[١] محمد الحلوي، الأعمال الشعرية، الجزء الأول، ص١٢٩.
[٢] دلال العالمي الخالدي، ديوان الأقصى الجريح، ص٨٣.
[٣] انظر: علي أحمد باكثير، قصائد علي أحمد باكثير عن فلسطين، ص٢٣- ٢٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولَنْ نكون أعبدا
إمَّا نكون أبداً
أو لا نكون أبداً
غداً وما أدنى غداً لو تعلمون
إمَّا نكون أبداً أو لا نكون

إنَّ من السخف أنْ يصدِّق الشعب العربي أنَّ العدو الذي يتقنع بقناع المسالم المحب للسَّلام أمام العالم يمكن أنْ يسالمنا ويعيش معنا بسلام وآمان. فما حصل للفلسطينيين من غدر اليهود، وما ذكر عن صورة اليهودي الغادر، يشهد أنَّ العيش مع اليهود كالعيش مع الأفاعي الغادرة والذئاب المفترسة والثعالب الماكرة، فقد عرفوا بالغدر ونقض العهد، كما يقول عدنان النحوي في قصيدة "ربى الأقصى":[1]

ومَا تَرَكُوا على الأيامِ شرَّاً وما حفِظُـــوا لعَهْدِهـــم يَمِينَا
أيزعـــمُ هؤلاءِ إليكِ قربى رُبى الأقصى..! بَرِئْتِ وطبتِ دينا

وقال في موضع آخر من قصيدة "من فجر الصمت العميق":[2]

يا أُمَّةَ الإسلام! كم مِنْ خِدعةٍ حَمَلَتْ بفتْنَتِهَا ليالِيَ سُودَا
كَمْ أبْرَمُوا[3] عهداً إليكَ فأخْلَفُوا ورَمُوا إليكَ عَداوةً وجُحُودا[4]
هل تأمنينَ؟! وكيفَ يُلدَغُ مؤمنٌ والجُحرُ ينفُضُ أسوداً عربيدا

وفي أقوال الصهاينة ما يدل على تحايلهم على العرب برغبتهم بمسالمة الشعب العربي الفلسطيني، وهذا ما أشار إليه مناحيم بيجن في مذكراته بقوله: "لقد أعلمنا العرب أنَّه ليس لدينا أي رغبة في قتالهم، أو إيذائهم، وإننا متلهفون لأنَّ نراهم مواطنين آمنين للدولة اليهودية المقبلة. وأشرنا إلى الحقيقة التي لا يمكن نكرانها أننا في عملياتنا في المناطق العربية لا نحمل أيَّ أدنى تعريض لسلام العرب وأمنهم، وحذرناهم بأنَّ هدف الرسميين الإنكليز إثارتهم ضدنا ولحضنا لأنَّ نتقاتل مع بعض. ولقد تأملنا بإخلاص

---

[1] عدنان علي رضا النحوي، ديوان ملحمة فلسطين، ص٩٨.
[2] المصدر نفسه، ص١٦٣.
[3] أبرم: أحكم. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الأول، مادة (بَرَمَ).
[4] الجحود: الإنكار مع العلم. انظر: المصدر نفسه، الجزء الثاني، مادة (جَحَدَ).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أنْ لا يُعيروا أيَّ اهتمام لمثل هذا النوع من الدعايةِ. وعلى أيةِ حال إذاً هم فعلوا ذلك، رفعوا يداً ضد اليهود، فإننا لا نملك أيَّ خيار غير أن نتحرك ضدهم بكل قسوة وعنف"[١].

ومن خلال القول السابق، نلحظ مدى المكر والخداع الذي يتقنع به المحتلون، مخفين وراء هذا القناع القتل والتدمير، والرغبة في استئصال أصحاب الأرض من أرضهم، لينفردوا بها ويتملكوها، وهذا ما أكَّده الشاعر علي صدقي عبد القادر من زيف سلام إسرائيل:[٢]

أَتَعْرِفَهُم يَا أَخِي؟؟

عَلَى فَمِهِم كَلِمَاتُ عَواهِر

يَقُولُون زُوراً[٣]: نُحبُّ السَّلام

عَوَاهِرٌ سِريَّةٌ، وَبِدُونِ هُويَّة

وَلَيْسَ لَهَا أَيَّ مَعْنَى يَدُلُّ عَلَيْهَا

لِذَلِكَ قَدْ فَقَدُوا مَنْ يُصَدِّق

فَلا تَسْتَمِع

لِمَنْ يَدَّعُون الحِيَاد

وَمَنْ يَقْتُلُونَكَ بِاسمِ السَّلام

لقد أكَّد الشاعر أن حب اليهود للسلام هو كلام زائف لا صحة فيه، وهو يحذِّر العرب من الاستماع لمن يتفوهون بالكلام المزور، وللذين يدعون أنهم محبون للسَّلام، وهم يقتلون في نفس الوقت أبناء الشعب الفلسطيني، أيكون سلام معهم على حساب قتل الأبرياء؟!

---

[١] مناحيم بيجن، يوميات الإرهابي مناحيم بيجن، ترجمة معين أحمد محمود، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٨م، ص٨٠.

[٢] انظر: علي صدقي عبد القادر، ديوان اشتهاء مع وقف التنفيذ، ص٣٩-٤٠.

[٣] الزُّور: الكذب. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء السادس، مادة (زَوَرَ).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أمَّا سليم الزعنون فقد سعى إلى تنبيه العرب على هذا التحايل بما يسمى السَّلام مع المحتل، مذكِّراً إياهم بأنهم على علم بأنَّ السَّلام الذي يدَّعيه المحتل ليس إلا قناعاً يتقنع به من أجل إخفاء نواياه، يقول في قصيدة "يا ربّ":[1]

عَرَضُوا السَّلامَ وأنتَ تَعْرِفُ مَكْرَهم ... مَهْمَا طَوَتْهُ غَياهبِ النجَّواءِ[2]
إنّا فـداكِ وأنتْ موئـل حُبِّنا ... نفدي " فلسطينا " بكلِّ فدائي

وهذا عدنان النحوي في قصيدة "زغردة الخيام" يكرِّر من دعاوي السلام المزيف، فكيف يكون السَّلام مع أنهار الدم، يقول:[3]

أهُنَا مِنْ دَمِ المَجَازِرِ أنْـهَا ... رٌ وَهذِي دَعَاوةٌ مِنْ سَلامِ؟!
أيُّ سِلْمٍ يُرادُ يا قَوْمُ أمْ هـ ... ـذا خِدَاعُ الألبابِ والأفهامِ؟!
مَنْ تُرى جَمَّعَ " الضحايا " عَلَى ... السَّاحِ وَأَعْطَى السِّكينَ للَّحامِ؟!
انْزَعُـوا عَنْكُـمُ القِناعَ لِنَلْقَـى ... مَا وَرَاءَ الأَسْتَارِ وَالأَوْهَامِ

وليس ثمة إمكانية لتحقيق السَّلام بين العرب واليهود، فليس هناك جدية في السَّلام لدى إسرائيل، فكيف يكون السَّلام والعدو يحتل الأرض وينهب الخيرات ويدمر المقدسات، وليس للعدو من هدف إلا إذلال الأمة العربية، يقول الشاعر رجا سمرين في قصيدة "قالوا: فقلت":[4]

لا سِلْمَ إنْ لَمْ أجنِ مِنْ ثَمَرَاتِهِ ... غَيـرَ الضَّياعِ بمهمهِ الإزراءِ[5]
إنِّي سأبقَى للسَّـلامِ مُحَارِبـاً ... مَا عَاثَ لصٌّ في رُبَا الإسْراءِ

...

لا للتَّفاوضِ والعَـدوُّ يَمُدُّ فِي ... أَرْضِـي المَوتَ للبُسَـطاءِ
لا للتَّفاوضِ والعَـدوُّ مُعَرْبِدٌ ... فِي القُدْسِ فِي الجُولانِ فِي سِينَاءِ
فِي اللدِّ فِي بيسانَ فِي صَفَدٍ وفِي ... يافا وَأَرْضِ الرَّمْلةِ الزَّهـرَاءِ

---

[1] سليم الزعنون، ديوان يا أُمَّة القُدْس، ص١٦٥.

[2] الغَيهب: الظُّلمة، والجمع (الغَيَاهب). انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء العاشر، مادة (غَهَبَ).
النَّجْواء: (النَّجْو: المكان المرتفع). انظر: المصدر نفسه، الجزء الرابع عشر، مادة (نَجَا).

[3] انظر: عدنان علي رضا النحوي، ديوان ملحمة فلسطين، ص١٣٥-١٣٦.

[4] انظر: رجا سمرين، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٧٤-٢٧٧.

[5] الإزْرَاء: التَّهاون بالشيء والتقصير. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء السادس، مادة (زَرَا).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لا للتَّفَاوضِ إِنْ تكُنْ أَهْـــدَافُهُ إِذْلالَ أُمَّةِ يَعْـــرُبٍ وَشَقَائِي

لقد أبدى الشاعر لنا اهتمامه بتلك القضية، قضية السَّلام مع اليهود، وكان له الرد الصحيح على ذلك الوعد بالسَّلام، فمن وجهة نظره السليمة، التي يجب أَنْ يلتزم بها كل العرب، يجب أَنْ لا نفاوضهم ونتفق معهم ما دام هذا الاتفاق لا يعود بالخير والسَّلام على العرب، فطالما بقي المعتدي على أرضنا، يعيث فيها الفساد والضياع والتشريد، فلن يكون صلح بين العرب وبينهم، لأنَّ العربي الغيور على شعبه العربي وأرضه العربية، لا يمكن أَنْ يقبل بالتفاوض والسلام مع اليهود، وأبناء الشعب الفلسطيني خاصة والعربي عامة يتعرضون للقتل والاضطهاد.

وأخيراً، نرى أنَّ وعد بلفور وغيره من الوعود، ما هو إلاَّ ميثاق للصهاينة، كما أنَّه السبيل إلى تحقيق أماني اليهود، الذين أخذوا يطالبون بهذا الحق المزعوم القائل: إنَّ أرض فلسطين لهم، لذا أخذوها قسراً عن أهل البلاد، وكان ذلك السبب في حدوث فاجعة فلسطين. ولكن حق العرب حق طبيعي منذ الآف السنين، وهو أقوى من أَنْ يستند إلى وثيقة أو نص أو وعد[1].

[1] محي الدين السفرجلاني، منْ وحي الأيام، المطبعة العمومية، دمشق، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، ص٢٦٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

المبحث الخامس

صورة اليهودي المزيف للتاريخ

استفرد المحتلون بالقدس، فقاموا بالحفر والتنبيش، والبناء والهدم، والإضافة والحذف، من أجل الوصول إلى ما يشفي غليلهم، ويروي ظمأهم المتعطش للامتلاك والسيطرة على فلسطين، من بعد أَنْ يُهجِّروا أهلها، ومن ثم قاموا بزرع جسم آخر بدلاً من الجسم الذي يفترض أَنْ يكون متواجداً على تلك الأرض. وكانت تلك الحفريات التي قام بها الإسرائيليون تحت المسجد الأقصى، ضمن سلسلة من المخططات الصهيونية لاحتلال الأرض المقدسة.

وكان جلُّ ما فعلوه مستنداً على الادعاء الصهيوني الكاذب، الذي يتمثَّل بالحق التاريخي لليهود في استعادة القدس عاصمةً لهم. إلا أنَّ هذا الادعاء الزائف يخلو من أيِّ مضمون شرعي، مع تناقضه مع مقاييس الحق المعاصرة، ومغالطته للحقائق التاريخية[١].

لقد سعى اليهود إلى إيجاد الأدلة التاريخية، التي تثبت أحقيتهم في امتلاك فلسطين واستيطانها، فعمدوا – في بداية الأمر– إلى وضع قطع أثرية، من أجل أَنْ تكون ركيزةً من ركائز تدعيم أكذوبتهم التاريخية، وطمس الآثار العربية والإسلامية وإزالتها[٢].

"على الثقافة العربية المُواجِهة أَنْ تقف مع الحياديين الموضوعيين من اليهود في دراساتهم واستنتاجاتهم، حيث يطالعنا في مقالة كتبها عالم الآثار الإسرائيلي (زئيف هرتسوغ)[٣]، التي نشرها في جريدة هآرتس الإسرائيلية بتاريخ ٢٨ أكتوبر ١٩٩٩م، تصريحاً يعلن فيه أنَّه بعد سبعين عاماً من الحفريات الأثرية المكثفة في أرض فلسطين توصل علماء الآثار إلى استنتاج مخيف، الأمر مختلف من الأساس، فأفعال الآباء هي مجرد أساطير شعبية، ونحن لم نهاجر لمصر، ولم نرحل من هناك، ولم نحتل

---

[١] سمير جريس، القدس: المخططات الصهيونية الاحتلال، التهويد، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨١م، ص٦.

[٢] عبد الرازق متاني، علم الآثار وصناعة التاريخ، مركز الدراسات المعاصرة، أم الفحم، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٩.

[٣] أستاذ قسم الآثار وحضارة الشرق القديم في جامعة تل أبيب.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

هذه البلاد وليس هنا أي ذكر لإمبراطورية داوود أو سليمان، والباحثون المختصون يعرفون هذه الوقائع منذ زمن طويل ولكن المجتمع لا يعرف"[1].

ورغم أنَّ فترة البحث عن الآثار التي تثبت ملكية فلسطين لليهود قد طالت، إلا أنَّهم ما يزالون يتمسكون بفكرة البحث والتنقيب، وهم بهذا مثل الغريق الذي يتعلق بقشة، كما يقول المثل. ومنذ أنْ بدأ اليهود بالبحث في حارة المغاربة، التي لم يتبق منها شيء، فغدت كالأطلال، التي أخفت الرياح معالمها وآثارها، وكل ذلك كان لصالح الحي اليهودي والحائط الغربي الذي يدعونه حائط المبكى. وبالنسبة للحفريات التي تمت تحت المسجد الأقصى، حتى بات في خطر، يزعم اليهود أن تحت هذا المسجد يوجد هيكل سليمان المزعوم.

وفي بيان للأمين العام للملتقى العالمي للعلماء والمفكرين المسلمين الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي، أوضح من خلاله الخطورة التي تهدد المسجد الأقصى، إنْ استمرت عمليات الحفر تحته، يقول فيه: "أن وقف الحفر تحت المسجد الأقصى ينبغي أنْ يكون من المهام العاجلة لهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي الذين أصدروا عدداً من القرارات بشأن حماية المسجد الأقصى ومدينة القدس من الاعتداءات الإسرائيلية ومنع إحداث أي تغيير في وضعهما"[2].

كما تحدث التقرير الذي عمد مراقب الدولة الإسرائيلي على إعداده منذ العام ٢٠٠٧م عن وجود تجاوزات خطيرة تقوم بها سلطات الاحتلال من الحفر تحت الأقصى، حيث يقول التقرير: "إنَّ الحفريات

---

[1] فوزي معروف، في المواجهة الثقافية، مجلة الفكر السياسي، العدد الثالث عشر والرابع عشر، ربيع وصيف ٢٠٠١م، ص١٥٣.

[2] الحفريات الإسرائيلية تنذر بانهيار المسجد، جريدة الرؤية، العدد (١٠٣)، السنة الأولى، ١٨ جمادي الأول ١٤٢٩هـ/٢٣ مايو ٢٠٠٨م، ص٣٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المذكورة أدَّت إلى طمس وتخريب الآثار في منطقة المسجد الأقصى إلى جانب تخريب الطبقات الأثرية للمسجد"[1].

لقد أكَّدت الأبحاث والتنقيبات الأثرية، التي قام بها الأثريون الإسرائيلون المتخصصون، أنَّهم لم يعثروا على أية أدلة أوشواهد تثبت صحة مزاعمهم، ومن بين هؤلاء العلماء: الباحث زئيف هيرتسوغ، الذي رأى أنَّ "هناك صعوبة تواجه الإسرائيليين في هضم الحقائق التي دلَّت عليها المكتشفات الأثرية التي تثبت أنَّ كتاب التَّوراة بكلِّ حكاياته وأساطيره، لكونها تتناقض تناقضاً علمياً مع الحقائق التي اكتشفها علماء الآثار الإسرائيليون، وأنَّه من المعتقد أنَّ سكان العالم كلِّه، والإسرائيليين خاصة سيذهلون بسماع الحقائق التي باتت معروفةً لعلماء الآثار في الحفريات داخل إسرائيل منذ عقدين من الزمان وسوف تحدث انقلاباً حقيقياً في نظرة هؤلاء إلى التوراة باعتبارها مصدراً تاريخياً موثوقاً به..."[2].

واعترف عالم الآثار الإسرائيلي (مئير بن دوف) الذي قاد في الماضي الحفريات قرب الحرم القدسي الشريف بأنَّ: "أعمال الترميم الجارية حالياً في طريق باب المغاربة ومناطق أخرى حول المسجد الأقصى غير شرعية. وقد أدانت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "إيسيسكو" استمرار السلطات الإسرائيلية في حفرياتها الخطرة تحت المسجد الأقصى المبارك وفي محيطه، في إشارة إلى الانهيارات التي حدثت داخل ساحة الحرم القدسي قبالة المدرسة الأشرفية في المنطقة الغربية الواقعة بين باب القطانين وباب السلسلة"[3].

---

(1) علاء المشهراوي، الاحتلال يُخفي تقريراً عن كوارث الحفر تحت المسجد الأقصى، جريدة الشبيبة، العدد٥٤١٥، ٣ أغسطس ٢٠١٠م، ص١٣.

(2) صالح حسين الرقب، نقض المزاعم الصهيونية في هيكل سليمان، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، المجلد١٠، العدد١، ٢٠٠٢م، ص٥٥.

(3) نجلاء عبد ربه، إسرائيل تخطط للقيام بزلزال إصطناعي لهدم المسجد الأقصى، نبض القدس، إصدار مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية، العدد٢، ٢٧ صفر ١٤٢٩هـ/ ٥ آذار ٢٠٠٨م، ص١٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ومن صور ذلك التزييف ما قاله محمود درويش في قصيدة "يوميات جرح فلسطيني"، متعرِّضاً للحديث عن علماء الآثار الإسرائيليين في فلسطين، الذين حاولوا جاهدين أنْ يضعوا أمام الشعب العربي والفلسطيني ما يمكن أنْ يوهموهم به من فكرة أحقيتهم بامتلاك الأرض المقدسة، يقول:[١]

عالمُ الآثارِ مشغولٌ بتحليلِ الحجارهْ
إنَّهُ يبحثُ عَنْ عينيه في رَدْمِ[٢] الأساطير
لِكَي يُثبتَ أنِّي:
عَابرٌ في الدرب لا عينين لي!
لا حرف في سِفْرِ الحضارهْ!
وأنا أزرعُ أشجاري، على مهلي،
وعَنْ حبي أغني!

لقد أثبت الشاعر تشبثه بالأرض وتمسكه بها رغم كل الظلم والقهر الذي تعرض له هو وشعبه. فمن خلال المقطع الشعري السابق يوضح لنا حقيقة زيف الادعاءات التي يستند إليها المحتلون بامتلاكهم الأرض عنوةً، معتمدين على الأكاذيب والبراهين الباطلة التي يحاولون من خلالها أنْ يُثبتوا صحة ما يدعون[٣].

ويعجب الشاعر محمد العلمي من الحال الذي آلت إليه أمتنا العربية والإسلامية، حيث أصبحت مطمعاً للصهاينة تمارس فيها كلّ صفات الخسة والمكر والغدر؛ من أجل تحقيق حلمها الأكبر وهو بناء هيكلها المزعوم وهدم المسجد الأقصى[٤]، فيقول في قصيدة "أين صلاح الدين":[٥]

أَيَهْدِمُ هَذا الأَخْطَبُوطُ كَيَانَنَا ... فَيَسْتَنْزِفَ الخَيراتِ مِنَّا وَيَمْتَصَّ
فَصُهْيُونُ فِي كُلِّ المَجَامِعِ سُبَّةٌ ... وَإِيغَالُهَا فِي البغي مَا كَانَ يُسْتَقْصَى
لَقَدْ جَمَعَتْ مِنْ كُلِّ لَـوْمٍ أَخِسَّةً ... وَلَمْ تَحْتَرِمَ فِي الكونِ شَرْعَاً وَلا نَصَّا

---

[١] محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص١٧٠.
[٢] الرَدم: السَّد. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الخامس، مادة (رَدَمَ).
[٣] نادي ساري الديك، جراحات حيفا عذابات الكرمل، ص٥٩.
[٤] محمد أحمد محمد المجالي، المدن العربية المقاتلة في الشعر الحديث (القدس، بيروت، البصرة)، ص١٦١.
[٥] محمد العلمي، أينَ صلاح الدين، دعوة الحق، عدد٨، سنة ١٤، ١٩٧١م- ١٩٧٢م، ص٩٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

طَبِيعَتُهَا فِي الغدرِ وَالمَكْرِ أَصْبَحَتْ سُمُوماً بِهَا قَلْبُ العُرُوبَةِ قَدْ عَصَا
فَتَبَّاً لِصُهيونَ اللعينةِ أَنَّهَا عَلَى جُثَثِ الأَحْرَارِ قَدْ رَقَصَتْ رَقْصَا
تُبَيِّتُ تَخْرِيباتٍ لِتَبْنِي (هَيْكَلاً) وَتَمْتَازُ بِالحلمِ القَدِيـــمِ وَتَخْتَصَّا

وقد نظم رجا سمرين قصيدةً بعنوان "يا حجر الطفل" يعرض فيها أوهام اليهود وافتراءاتهم، داحضاً إياها ومكذِّباً لها، يقول:[1]

يا حجرَ الطفلِ القادمَ من أعماقِ الحُلُمِ المطلق
لا تحفلْ بجدارِ الحقدْ
افتح عينيكَ وشُقَّ طريقَكَ
نحو رؤوسٍ عشَّشَ فيها الكُرْهُ
وشيَّدَ حولَ عقولِ جنودِ
حثالات[2] التاريخ المهترئِ
المسطورِ بأقلامِ التزويرِ
على أوراقِ الوهمِ الكاذبِ
سوراً ضدَّ رياحِ الحُبِّ
حَطِّمْ أرتالَ جيوشِ الوعد الربانيِّ الزائفِ
فالرحمنُ العادلُ لا يرضى
بإبادةِ سكان أريحا
وبِبَقْرِ بطون حواملِ كنعانِ

ولكن التساؤل الذي يدحض جلَّ ما يدَّعيه اليهود من حقوق قديمة في تلك الأرض هو: هل وجد علماء الآثار الذين كلفتهم الحركة الصهيونية بعمليات البحث والتنقيب في الأرض المقدسة أثراً يدلُّ على وجود الهيكل المزعوم (هيكل سليمان)، الذي يزعمون أنَّ المسجد الأقصى وقبة الصخرة قد بنيا على أنقاضه؟[3]. والجواب على هذا التساؤل هو: لا، ولن يجد المحتل ما يسعى إلى إثباته عن طريق التحايل والخداع، فمنذ سنوات مضت وحتى وقتنا الحاضر لم يستطيعوا أن يحصلوا على أي دليل أو أثر على ما يزعمون، بل هم يعيشون في حالة من الكذب والتوهم، لعلهم يجعلون من أنفسهم شعباً ككل الشعوب على

---

[1] رجا سمرين، الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٧٩.
[2] الحُثَالة: الرَّديء من كُلِّ شيء. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثالث، مادة (حَثَلَ).
[3] صالح حسين الرقب، نقض المزاعم الصهيونية في هيكل سليمان، ص٦٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

هذه الأرض. وقد عبَّر الشاعر رجا سمرين عن كذبهم وافترائهم أيضاً في قصيدة "أرفض العودة"، حيث يقول:[1]

لَمْ أكن أدرك أنِّي
حين ناصبتك ألوان العداء
مُنْذُ أيامِ رسولِ اللهِ خير الأنبياء
وإلى الآن بأني
عِشْتُ في أكذبِ وَهْمٍ
عِنْدَمَا أَنْكرت أَنَّ اللهَ أعطاك
مفاتيحَ فلسطين السليبة
فهنيئاً يا ابن عمي
وليباركَ لكَ ربُّ الجند بالقدس
وأرض الناصرة
وبيافا ثم حيفا
وبعكا والخليل
ولَتُقِمْ هيكلَكَ المَأْمُولَ في أوروشلايم
وعلى الرُّحبِ بكم خلف الحدود
فهي تدعوكم بكلِّ الحبِّ من غير قيود
كي تمدوا ظلكم فوق ثراها
وتنالوا حظكم في غير خوف من جناها
فبنو العرب حمامات سلام
ليس فيهم جارح ينقض ذوداً عن حماها

لقد سلب اليهود أرض فلسطين، عن طريق التزييف والتحايل، وجاءت قصيدة "حسن الفلسطيني وثورة الحجارة" للشاعرة عائشة الخواجا الرازم تأكيداً على ذلك، تقول:[2]

كُوشانُ أَرْضِي زيَّفُوهْ..
وكَأَنَّمَا وَطَنِي مُباحْ..
مِلكٌ لقُرصانٍ سَلَبْ

---

[1] انظر: رجا سمرين، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٦٣-٦٤.

[2] عائشة الخواجا الرازم، الأعمال الشعرية الكاملة، دار الخواجا للدراسات والنشر، عمان، ١٩٩٨م، ص٣٢٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واستَوطَنُوا بَيْتِي
وكَأَنَّما أَهْلُوهُ هُمْ..
عَاثُوا بهِ.. داءُ الجَرَبْ..
لتصيرَ فيهِ وجوهُهُمْ..
أورامَ جُرْحٍ كالنُّدَبْ..

لقد فنَّدت نتائج الحفريات التي قام بها علماء الآثار الإسرائيلين وغيرهم ما جاء في قصص اليهود المزيفة عن الهيكل ومملكة إسرائيل القديمة الخرافية، ووجود هذا الهيكل تحت المسجد الأقصى، الذي أصبح مهدداً بالانهيار نتيجة لتلك الحفريات[1].

ففي كلِّ الحفريات لم يعثر علماء الآثار على أثر واحد يُشير إلى هيكل سليمان المزعوم. وعلى الرغم من ذلك ما تزال سلطة الاحتلال تصرُّ على متابعة تلك الحفريات، وما ذلك إلاَّ من أجل هَدْمِ المسجد الأقصى وإزالته.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

[1] رائف يوسف نجم، الحفريات الأثرية في القدس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، العبدلي، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص١٦٨.

المبحث السادس

صورة اليهودي السجَّان

تُعدُّ قضية الأسرى والمعتقلين في السجون الإسرائيلية من القضايا المهمة الأساسية، التي مسَّت جسد الإنسان العربي الفلسطيني، فهناك الكثيرون منا ما علموا ولم يعلموا هول مأساة الأسير الفلسطيني في سجون الاحتلال الإسرائيلي، والتاريخ يشهد على ما عاناه ذلك الأسير من تشويه لصورته[١]. لذا رأيت أنَّ من واجبي أنْ أعرض تلك القضية، لنقف جميعاً (نحن العرب) وقفة احترام وإجلال أمام تلك النفوس العظيمة، التي قبعت خلف قضبان سجن الاحتلال المظلم البارد.

فطوال العصور الماضية وحتى وقتنا الحاضر ما يزال السجن يفعل في الجسد الإنساني ما لا يطيقه أيُّ حر. فقد اعتبرت إسرائيل أنَّ هؤلاء الأسرى القابعين في سجونها مجرمون مرتزقة، كما ترى في نفسها البريء المدافع ذا الحق المسلوب والمغلوب على أمره، وأنَّ حربها تلك شريفة كل الشرف، تخلو من قطرة دنس واحدة ضد الأسرى وضد الأطفال وضد العزل في الشوارع...[٢]

إنَّ المتتبع لتجربة الأسرى في تلك السجون، سيجد أنَّها لا تخلو من الألم والمعاناة، كما أنَّها تعبِّر عن صورة من صور الاحتلال الإسرائيلي، الذي سقطت أمام ممارساته العنصرية والتعصبية كل ما تحمله كلمة الإنسانية من معان[٣].

" ويشكِّل استمرار احتجاز الآلاف من الأسرى والمعتقلين في السجون والمعتقلات في إسرائيل، وبما يُخالف أحكام القانون الدولي وحقوق الإنسان الأساسية، هاجساً فلسطينياً وأولويةً وطنيةً قصوى

---

[١] غادة فريد بدر، أسرانا في سجون الاحتلال الإسرائيلي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦م، ص٧.

[٢] المرجع نفسه، ص١٥.

[٣] فراس أبو هلال، معاناة الأسير الفلسطيني في سجون الاحتلال الإسرائيلي، تحرير محسن صالح ومريم عيتاني، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، سلسلة أولست إنساناً، عدد٤، ص٤٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالنسبة له. فقضية الأسرى هي قضية سياسية وكفاحية من الطراز الأول، وقد قدَّم جميع هؤلاء وعائلاتهم تضحيات عظيمةً في مسيرة تحررنا الوطني"[١].

وللشعر دور كبير في مقاومة السجن والسجان، فها هو توفيق زيَّاد في قصيدته "من وراء القُضبان" يؤكِّد أهمية مقاومة الإسرائيليين، حيث يقول:[٢]

أَلْقُوا القُيودَ عَلَى القُيودِ
فَالقَيدُ أَوهَى[٣] .. مِنْ زُنُودِي
لِيَ مِنْ هَوى شَعْبِي،
وَمِنْ حُبِّ الكِفَاحِ وَمِنْ صُمُودِي
عَزْمٌ تَسَعَّرَ[٤] فِي دَمي
نَاراً عَلَى الخطْبِ الشَّدِيدِ
يَا طُغْمَةً اسقيتُها..
كأسَ المَذَلَّةِ، مِنْ قَصِيدِي
..
لا تَحْسَبِي زَرَدَ الحَدِيدِ،
يَنَالُ مِنْ هِمَمِ الأُسُودِ

إنَّ التقييد يلازم عملية الأسر، حيث تتعطَّل فيه حركة المأسور ويؤمن جانبه ويسلسل قياده. والتقييد له عدة أشكال تدلُّ عليها الصفات التي أطلقها العرب على الأسرى، فقد يكون قاصراً على غلِّ اليدين والساعدين من جهة الصدر فتجمعان وتجعلان من أمامه، وقد تجعل اليدان من وراء الظهر مشدودتين بالحبال فيسمى التقييد تكتيفاً[٥].

---

[١] السلطة الوطنية الفلسطينية، فلسطين: إنهاء احتلال وإقامة دولة، برنامج الحكومة الثالثة عشر، آب٢٠٠٩م، ص١٢.

[٢] انظر: توفيق زيَّاد، ديوان توفيق زيَّاد، المجلد الأول، ص١٠٢- ١٠٤.

[٣] أوهى يده: أي أصابه كَسر أو ما شابهه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الخامس عشر، مادة (وَهَي).

[٤] تَسَعَّرت: توقدت، ومنها السعير: النار. انظر: المصدر نفسه، الجزء السادس، مادة (سَعَرَ).

[٥] انظر: أحمد مختار البزرة، الأسر والسجن في شعر العرب: تاريخ ودراسة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص١٩- ٢٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لقد أدرك الشعراء معاني الحرية التي يبحثون عنها، وأدركوا كم للكلمة من تأثير في خلق الحرية وبعثها في نفوس الشعب قبل أنْ تصبح مطلباً جوهرياً وفعلاً ثورياً، من هنا كان السجن الإسرائيلي عقاباً على الكلمة المقاتلة صانعة المقاتلين[١]، يقول محمود درويش في قصيدة "برقيةٌ من السجنِ" وهو داخل أحد السجون الإسرائيلية:[٢]

مِن آخرِ السجنِ، طَارتْ كَفُّ أَشْعَارِي
تَشُدُّ أَيديكُمْ رِيحاً.. عَلَى نَارِ
أَنَا هُنَا، وَوَرَاءَ السُّورِ، أَشْجَارِي
تُطوِّعُ الجبلَ المغرور.. أشجاري
مُذْ جِئْتُ أَدْفَعُ مَهْرَ الخَوفِ، مَا ارْتَفَعتْ
غَيرُ النجومِ عَلَى أَسْلاكِ أَسْوارِي
أَقُولُ للمُحْكِمِ الأصفادَ حَولَ يَدي:
هَذي أَساوِرُ أَشْعَاري وإِصْرَارِي

لقد أدرك الشاعر العربي أنَّ هدف إسرائيل من زج الفلسطينيين في سجونها ومعتقلاتها هو إضعاف الروح وتركها شظايا متناثرةً على شعاب الحزن والدمع والاغتراب. ومن وجهة نظر إسرائيل، فإنها لا ترى السجناء أكثر من حيوانات على هيئة بشر، وأنَّهم أعداء بني إسرائيل لذا يجب القضاء عليهم[٣].

ولإسرائيل طرق مختلفة لزج الفلسطينيين في السجون والمعتقلات، بعد أنْ فشلوا في تهجيرهم وطردهم من أرضهم، أو حتى قتلهم، حيث عمدت إلى استخدام أسلوب جديد لتصفيتهم، ليضعوا أيديهم على أرضهم، وكان هذا الأسلوب هو السجن، والذي قصدوا من وراء استخدامه غرس الخوف والهلع في نفوس الفلسطينيين، فمتى سنحت لهم الفرصة لاعتقال الفلسطيني، فإنهم يقومون بتجهيز أنفسهم ومعداتهم،

---

[١] فايز أبو شمالة، السجن في الشعر الفسطيني (١٩٦٧-٢٠٠١م)، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله، ٢٠٠٣م، ص٢٤.

[٢] انظر: محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص٥٣- ٥٤.

[٣] انظر: فايز أبو شمالة، السجن في الشعر الفسطيني، ص٣٧- ٣٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والذي يتطلب إجراءات غير عادية من السيارات والجنود، للذهاب ليلاً إلى منزل من تريد اعتقاله، زاعمةً أنَّه مطلوب لقيامه بأعمال خطيرة ضد الدولة الإسرائيلية[١].

وقام الشاعر العربي بمحاولة لرسم الديكور المناسب لمشهد الاعتقال، مبرزاً وحشية المحتل وهو يقوم باعتقال الفلسطينيين، حيث يداهم منازلهم، كما لو كانوا مجرمين، ولا يتورع المحتلون عن ممارسة وحشيتهم ضد الذين يريدون اعتقالهم وضد أفراد أسرهم، الصغير منهم والكبير[٢]. ومن تلك المحاولات التي عُنيت برسم هذه المشاهد ما قامت به الشاعرة أمينة العدوان في قصيدة "أطلقوا الرصاص" عندما عمدت إلى رسم لوحة شعرية، عبرت من خلالها عن مشاهد الاعتقال، حيث قالت:[٣]

اشْتَبَكْنَا مَعَ العَدُوِّ
فَرَغتِ الذَخِيرةُ
جُرِحَ كَثِيرونَ
أَغْمَضُوا أَعُيننَا
وَأَخَذُونَا إِلَى سِجْنِ الرَمْلَةِ
إِلَى أَينَ ستذهبُ؟ ... مَاذَا سَتَفْعَلُ؟
يُرِيدُونَ اعْتِرَافَات
كِلابٌ تَنْهَشُ
ضَرْبٌ بِالعَصَا
تَسْلِيطُ كَهْرُبَاءِ

كما أشار سميح القاسم في قصيدة "إلقاء القبض" إلى مشهد الاعتقال، فيقول:[٤]

دَاهَمُوا المَنْزِل،
فِي مُنْتَصَفِ الليل

---

[١] صراع في الظلام: كيفية المواجهة في أقبية التحقيق، مركز ابن اليمان الإعلامي للتوعية الأمنية حركة المقاومة الإسلامية حماس: سجون الاحتلال، سلسلة الدراسات الأمنية، ص١٣.

[٢] محمد توفيق الصواف، الانتفاضة في أدب الوطن المحتل: قراءة في القصة القصيرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٧م، ص٤٢.

[٣] أمينة العدوان، الأعمال الشعرية ١٩٨٨م- ١٩٩٣م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤م، ص٢٠٩.

[٤] سميح القاسم، الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الثاني، ص١٣٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وَمَاتُوا
بَعْدَ وَضْعِ القيدِ فِي زنديّ
مَاتُوا..
للأَبَد.

وقبل الشروع في الحديث عن صورة السجان الإسرائيلي وسماته، لا بدَّ من الإشارة إلى طبيعة السجن وظروفه، التي كانت وسيلةً لإضعاف إيمان الأسرى وقوتهم ومقاومتهم. وسأتناول صفات ذلك السجن مثلما نطقت به أشعار الشعراء، الذين ذاقوا مرارة السجن والاعتقال، أو غيرهم من الشعراء. فقد عمد المتوكل طه في قصيدة "تفصيلُ حالةٍ من جهنم" إلى تحذير العرب من ظلام السجن، معبِّراً عن مخاطر المعتقل: معتقل النقب، الذي كان متواجداً فيه، بقوله:[1]

السجنُ يَصقُلُ زَندَ الفُتُوَّة
يَزْرَعُ مَعْنَى التجَلُّدِ فِي الرُّوح
يَخْلُقُ رُوحَ الجَمَاعَةِ فِي الفَرْدِ
يَسْكُبُ فُولاذَ صَبْرِ الرِّجَالِ بِقَلْبِ الجَزُوعِ
وَيَصْهَرُ صلصال آدمَ فِينَا
لِنَغْدُو شَلاَّلَ نُورٍ وَنَار
وَالقيدُ فِي السجنِ لا يَغْلِبُ السُّجَنَاءَ
إِذَا لَمْ يَصل للجِنَان
وَأَخْطَرُ مَا فِي السُّجُونِ
انْتِقَالُ ظَلامِ الزَّمَانِ المُملِّ لِعَقْلِ السَّجينِ
وَيَوْمُ السَّجِينِ انْتَظَارٌ ثَقِيلٌ لأَيٍّ انْبِلاج[2]
وكُلُّ سجينٍ يُقولبُ سَاعاتهِ لانتظارِ الخَلاصِ،
وَيَرْغَبُ في أَنْ يَلُوكَ[3] الجرائدَ بَحثاً عَنِ الضوءِ

---

[1] المتوكل طه، الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٤٧٦.

[2] الانبلاج: الإشراق والإضاءة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الأول، مادة (بَلَجَ).

[3] لاك: مَضَغَ. انظر: المصدر نفسه، الجزء الثاني عشر، مادة (لَوكَ).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يُشير الشاعر إلى أنَّ السَّجين يعيش في المعتقلات الإسرائيلية محروماً من نور الصباح. فالسَّجين يعيش في ظلام، وكان هذا الظلام من وجهة نظر الشاعر ظلامين: ظلام الواقع، وظلام السجن، فيحاول السَّجين أن يلجأ إلى البحث والتفتيش عن الضوء لمواجهة هذا الظلام[١].

لم تكن فكرة زج العرب والفلسطينيين في السجون والمعتقلات، من أجل أنْ يقدِّموا لهم الطعام والشراب والراحة، بل كانت غاية السجان معاقبتهم وإجبارهم على ترك أرضهم وبيوتهم. وفي هذا إشارة إلى أنَّ الدافع وراء تلك السجون والاعتقالات لم يكن دافعاً إنسانياً، بل كان دافعاً معبراً عن لؤم السجَّان وأنانيته[٢]. فقد عبر محمود درويش في قصيدة "ردُّ فعلٍ" عن تحديه لقيد السجن وظلامه، فيقول:[٣]

وطني! يُعلِّمني حديدُ سلاســـلي
عُنْفُ النُّسُورِ، ورَقَّـــةُ المُتَفَائِلِ
مَا كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ تَحْتَ جُلُودِنَا
مِيلادَ عَاصِفَةٍ.. وعُـــرس جَداولِ
سَدُّوا عليَّ النـــورَ في زنزانةٍ
فتوهَّجَتْ في القلب.. شمسُ مشاعلِ

لم يكن أمام السجين إلاَّ فرصة الصمود أمام سجانه، ورفضه لما يمارسه بحقه من أعمال مهينة ومذلة، فهو لم يفقد الأمل، لأنَّ فقدانه يفتح لليأس والقنوط طريقاً إلى نفسه.

ولا تكتمل صورة السجن في ذهن القارئ لو اقتصرتها على المكان فقط، بل كان علي أَنْ أُبرز صورة للسجان، الذي تدرب على ممارسة الأدوات التي فرضها السجن واستغلالها ضد الأسير. فالسجَّان أو المحقق يمارس كافة أساليب التعذيب والضرب والضغط على جسم الأسير وتعصيب عينيه، وكتم أنفاسه.

---

[١] فايز أبو شمالة، السجن في الشعر الفسطيني، ص٥١.

[٢] المرجع نفسه، ص٩٤.

[٣] محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص١١١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وللمحقق أساليبه الخاصة في ممارسة القهر والظلم ضد الأسير، ومن تلك الأساليب استخدام الكيس، فغالباً ما يكون من قماش الشادر، الذي لا يمكن للهواء أنْ يدخل في مساماته، ولا حتى أنْ ينفذ الضوء إليه. فمتى وضع المحقق رأس الأسير في ذلك الكيس، فإنَّه لا يعود يرى شيئاً، ولا يحس بواقعه ومكانه[١].

كما يستخدم المحقق أسلوب التجويع أو الحرمان من الماء والمنع من قضاء الحاجة، من أجل الضغط على الأسير وابتزازه، حتى يقوم بالاعتراف بما قام به أو نسب إليه. وفي الكثير من الأحيان تستخدم تلك الطريقة لقتل المعتقلين بشكل بطيء[٢]. ويؤكد المتوكل طه في قصيدة "تفصيلُ حالةٍ من جهنم" أنَّه بالرغم من الجوع والعطش الذي يشعر به المعتقل، إلاَّ أنَّه أبى ألاَّ يظهر للسجان جوعه، حتى لا يشعر بالمذلة والإهانة، حيث صرخ في وجه ذلك السجان، معلناً رفضه للمذلة:[٣]

ويلعنُ نوعَ الطعامِ المُكررِ،
يَغضبُ مِنْ قِلّةِ الأكْلِ واللبسِ،
يَرْمِي بِجُثّتِهِ لِلرَصَاصِ
إِذْا مَسَّهُ الذُلُّ مَسَّاً طَفِيفَا،
ويجهرُ بالانتماءِ إذا ما أحسَّ بريحِ التعدّي..

إنَّ في تلك المقطوعة الشعرية ما يُشير إلى الفخر والاعتزاز بهؤلاء الأسرى الذين يرفضون المذلة والهوان، ولأنَّ ما قاموا به كان دافعاً للمحتلين لزجهم في السجون، من هنا كان عملاً يستحق الوقوف أمامه وقفة إجلال وإكبار.

ويلجأ السجان أيضاً إلى أسلوب التعذيب الجسدي بحق السجين، ليتسبب له بالألم الشديد، وليرهق جهازه العصبي ونفسيته إلى أقصى حد، حتى يجعله ينهار ويعترف. فيقوم بضربه على معدته ضربات

---

[١] صراع في الظلام: كيفية المواجهة في أقبية التحقيق، مركز ابن اليمان الإعلامي للتوعية الأمنية، ص٢٦.

[٢] غادة فريد بدر، أسرانا في سجون الاحتلال الإسرائيلي، ص١٢٩.

[٣] المتوكل طه، الأعمال الشعرية، ص٤٧٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سريعةٌ، وصفعه على وجهه، أو ضربه على مفاصله وعظامه، من أجل إحداث ألم شديد، أو ضربه على مؤخرة رأسه لينهك بعد ذلك جهازه العصبي ويفقده توازنه[١]. ويمكن أنْ نلخِّص تلك الأساليب على النحو الآتي:

- الشبح المتواصل وبأشكال مختلفة.
- التعرض لدوشات الماء البارد جداً أو الساخن جداً.
- زج الأسرى في غرف العملاء.
- الحرمان من النوم وقضاء الحاجة.
- منع المحامين من لقاء المعتقل، ولفترات طويلة.
- احتجاز أفراد الأسرة كأسلوب للضغط.
- الاعتداء عليهم بالضرب المبرح.
- الشتائم البذيئة، وسب أم الأسير أو أخته أو زوجته، وتهديده بالاعتداء عليهن.
- الاحتجاز في زنازين قذرة وضيقة وعديمة التهوية.
- محاولات التحرش الجنسي بالأسرى، وخصوصاً القصر منهم... إلخ[٢].

وقد صور سليمان العيسى في قصيدة "ادفن الشكوى" رفضه لذلك الجلاد، راداً على عنفه صارخاً في وجهه:[٣]

أخمدِ الشكوى.. وأطبقْ ساعديكَ الراعدينِ
ودعِ السوطَ يعصِّبُ بدماه.. كُلُّ عين
ويشد الأَمة الثكلى[٤].. خناقاً.. باليدين!
...

---

[١] صراع في الظلام: كيفية المواجهة في أقبية التحقيق، مركز ابن اليمان الإعلامي للتوعية الأمنية، ص٦٦.

[٢] غادة فريد بدر، أسرانا في سجون الاحتلال الإسرائيلي، ص٣١.

[٣] انظر: سليمان العيسى، أعاصير في السلاسل، ط٣، دار العِلم للملايين، بيروت، ١٩٦٣م، ص٤٢- ٤٤.

[٤] الثكلى: المرأة التي فقدت ولدها. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثاني، مادة (ثَكَلَ).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أيُّها العائدُ من قبرِ الوميضِ[1] الأزليِّ
من ظلام السجنِ.. من إغماءة السوط العتي
أيُّها الصارخ في جلادك العبد الغبي
أنا صوت القدر المحتوم... صوتُ العربيِّ
أنتَ.. لن تسحقَ شعباً كاملاً. لست بشيء!
...
قل له، والسوطُ في قبضته ما زال رعشا[2]
دامي الأطراف، لا يشبع تنكيلاً[3]، ونهشا
أنتمُ أضعف من أن تصنعوا بالسوط نعشا!

أكَّد الشاعر أن الجلاد -على الرغم من وجود السوط - جبان ضعيف، لا يقدر أنْ يجعل من ذلك السجن والسوط وسيلةً لإضعاف الأسير وقتل معنوياته ونفسيته، حتى وإنْ تمادى في زج الأسرى في معتقلاتهم، يقول بدوي الجبل في قصيدة "من وحي الهزيمة":[4]

ثُمَّ سِيقوا إلَى السُّجونِ وَلا تَسْأَلْ، فَسَجَّانُها عنيفٌ مَرِيرُ[5]
يُشبعُ السَوطَ من لُحومِ الضحايا وَتَأْبَى دُموعُهُمْ والزفيرُ

وفي موضع آخر في قصيدة "طمع الأقوياء" يقول معلناً صموده أمام هذا السجان:[6]

واملأُوا هذهِ السجــونَ إلى أنْ تَشْتَكي مِنْ ضُيوفِها الازْدِحَاما
ثُمَّ سُوموا[7] السُجــودَ كِبراً وتيهاً إذ تَمُــــرُّونَ: شَيْخَنَا والغُلامَا
واحكُمونا بالعســفِ حتَّى كأنَّا قــــد مَثَّلنا أمامَــــكُمْ أَنْعَامَا
لا إخالُ الأرواحَ تَكْسِرُ قيدَ الأسرِ إنْ لــمْ تُعَذِّبوا الأجســــــاما
يفتِكُ الظُلْمُ بالضعيفِ ويُردي بعدَ حينٍ بشــؤمِهِ الظُلَّامَا

---

(1) وَمَضَ: البَرْقُ لَمَعَ لَمْعاً خفيفاً. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الخامس عشر، مادة (وَمَضَ).
(2) الرَعْش: الرِّعْدَة. انظر: المصدر نفسه، الجزء الخامس، مادة (رَعَشَ).
(3) نَكَّلَ به تنكيلاً: يقال نكلت بفلان إذْ عاقبته في جُرْمٍ عقوبة تنكل غيره عن ارتكاب مثله. انظر: المصدر نفسه، الجزء الرابع عشر، مادة (نَكَلَ).
(4) انظر: بدوي الجبل، ديوان بدوي الجبل، ص٢٠٣- ٢٠٤.
(5) مرير: قوي ذو مرَّة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثالث عشر، مادة (مَرَرَ).
(6) بدوي الجبل، ديوان بدوي الجبل، ص٥١٩.
(7) السُّومَة: العلامة تُجعل على الشاة وفي الحرب أيضاً. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء السادس، مادة (سَوَمَ).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقال راشد حسين من داخل سجنه (سجنُ الرملة) في قصيدة "رسالةٌ من سجنِ الرملة":[1]

مِنْ سجني اسمعها تسأل – أيظل اللاجئُ في الخيمة؟
بالأمسِ استدعاني السجَّانُ– ليعطيني منكَ تحية
زَمْجَرَ[2]: هل ترك الحمقى. طفلاً كي يبعثَ برقية؟
تبسمتُ وقلتُ لسجَّاني.. بلِّغْ دافيدَ (برعديه)
حتى الأحجار تُحيِّينا.. ونحب اللغةَ العربية[3]
...
سبارتاكس يا ولدي– أَكتُبُ مِنْ سجن الرملة
حيث القيد يحيط يدي– ويحطُّ على قيدي ثقله

من هنا، نرى أنَّ للتعذيب الذي يتعرض له الأسير في سجون المحتل شكلين، فإما أَنْ يكون تعذيباً جسدياً– كما ذكرنا آنفاً– أو نفسياً يتعرض لشرف الأسير وكرامته، من مثل: إحضار زوجته أو أخته أو والدته وتعريتهم أمامه أو ضربهم، أو أَنْ يقوموا بتعرية الأسير نفسه وإجباره على السير وسط المعتقلين، أو وضع الفضلات في طعامه...إلخ.

وفي قصيدة "رسالةٌ من المُعْتَقَل" للشاعر سميح القاسم، نجده يعبِّر عما يعانيه السجين من عذاب وألم، فيقول:[4]

مِنْ شدّة الحرِّ، مِنَ البقِّ[5] مِنَ الألم
يَا أَصْدِقَائي.. لَمْ أنم
والحارسُ المسكينُ، مَازَالَ وَرَاءَ البابْ
مَازَالَ.. في رَتابةٍ ينقِّل القدم
مِثْلِيَ لَمْ ينمْ

---

[1] انظر: راشد حسين، ديوان راشد حسين، ص٣٧٠– ٣٧١.
[2] زَمْجَرَ: أكثرَ من الصياح والصخب. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء السادس، مادة (زَمَجَر).
[3] إشارة إلَى رفض بن غوريون استلام الهوية التي تحمل الأحرف العربية.
[4] سميح القاسم، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص٥٢.
[5] البَق: البعوضة وهي حيوان عدسي مفرطح خبيث الرائحة لذّاع، مفرده بقّة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الأول، مادة (بَقَقَ).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

كأنَّه مثليَ، محكومٌ بلا أسْبَابْ!

لقد أظهر الشاعر مشاعره الإنسانية تجاه ذلك الحارس، الذي ينقل قدمه برتابة وقد بدا عليه الكلل والملل، يمارس عمله، يعاني مثلما يعاني السجين. وفي محاولة من الشاعر سميح القاسم لبثِّ روح المقاومة والصمود في نفوس الفلسطينيين، نظم قصيدةً بعنوان "الشاعرُ السجين"، حيث عبَّر عن ذلك الصمود بقوله:[1]

سَجَنُوكَ، ولَكن هَلْ سَجَنوك ؟ أيُشــنق إشراقُ الفجرِ ؟
سَجَنُوكَ ولَكــن هَلْ تَقْوى الجدرانُ عَلَى خَنْقِ الشعر
...
فَاهْتِف بِالسجَّانِ العَاتي: جُرْ ! ألهبْ بِسِياطِكَ ظَهْرِي
خَضِّب بِدِمَائِي أَضْلاعِي وَجَبِينِي المَرْفُوعِ، ونَحْرِي
وَانْهَشْ مَا شِئْتَ وَلا تَتْرُكْ شِلواً مِنْ زنديَّ وَصَدْرِي
يَا كَلْبُ! ونتِّف أَجْلادِي واجْعَل مِنْ أَوْدَاجِكَ[2] قَبْرِي
يَا كَلْبُ ! فَرُوحِــي صَاعِدةٌ فِي المَوْكِبِ ، مَوْكِبُنَا الحُرِّ
وَدِمَاءُ الحــريةِ فَارَتْ كَي تُحْرِقَ نِيرانَ الغَدْرِ
وَسُيــــولُ الثورةِ زَاحِفَةٌ لتهدِّمَ أَسْــوارَ الجَوْرِ[3]
والســـجنُ سيُضحـــي بُركاناً يجتاح ســراديب الكفرِ
وسَأَمْضِي كَــي أُطلِعَ فَجْــــرِي جُدرانُكَ لَنْ تُثْنِيَ سَيْرِي!

وقال هارون هاشم رشيد في قصيدة "صمود" معلناً مقاومته للسجن والسجان مهما حاول أن يؤذيه:[4]

احْكِمْ إغــلاقَ الزنزانهْ واجعَلْ منْ سجني تِرْسَانهْ
حوِّطهُ بكـــلِّ أفاعي الغدرِ الغاشِـــمِ وارفعْ جدرانَهْ
واسكُبْ من قارك فوقَ دمي واضرب فعيوني سهرانهْ

---

[1] سميح القاسم، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص١٢.

[2] أوداج: هي ما أحاط بالعنق من العروق التي يقطعها الذابح. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الخامس عشر، مادة (وَدَجَ).

[3] الجَوْر: الميل عن القَصْد. انظر: المصدر نفسه، الجزء الثاني، مادة (جَوَرَ).

[4] هارون هاشم رشيد، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٤٤٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جِلدي لسياطـــكِ مقبرةٌ ولكلِّ ذنـــــوبك جَنَّانَهْ
فالقيدُ اهتــرأ على قَدَمي وتحدَّى كفِّــي قُضبَانَهْ

إنَّ السجن ماهو إلاَّ حرب نفسية شنَّها العدو ضد ذلك الأسير العربي، تحمل في طياتها خطر تبخيس الذات والترويض والشعور بالدونية[1]، وتلك الحرب أكثر قسوةً وأشد فتكاً بالإنسان من القتل. وقد رأينا ممارسات المحققين والسجانين طوال فترات التحقيق، حيث تتراوح بين المنع من النوم والأكل واللباس، والتهديد باغتصاب زوجات الأسرى أو أخواتهم، وغيرها من الوسائل الهمجية العدوانية. وفي ذلك يقول علي صدقي عبد القادر في قصيدة "ليلة عيد المولد":[2]

فِي (فِلَسْطِينَ) الَّتِي تَخْبِزُ بِالدمعِ الرَّغِيف
وَأَرَانِي كَيْفَ يَغْتَالُ اليهوديُّ، الفدائيَّ الأسير
فِي ظَلَامِ السِّجنِ يَغْتَالُ الأَسير
كَيْفَ تَقْتَاد بنَاته
لسؤالٍ وجَوابٍ ولأشياءَ وأشياءَ مُهينة

لقد أصبح القتل والتعذيب والإهانة ضرباً من التفنن والتلوين، وفي المقابل تكون مشاعر الإنسان وكرامته هدفاً ووسيلة تسلية وملء فراغ لدى المحققين[3].

ويُطالعنا في قصيدة "حسنُ الفلسطيني وثورةُ الحجارة" للشاعرة عائشة الخواجا روح الصمود في وجه السجان والمحتل، فتقول:[4]

غنُّوا لأحلامِ المساجينِ
التي مدّتْ دماها للكَرامَة..
لِتفي بعهدِ الشَّعْبِ.. من مُهَجٍ
وتَصولَ في الأرضِ.. الخيولُ بها عَلامَة..

---

[1] حسن عبدالله، النتاجات الأدبية الاعتقالية، مركز الزهراء، القدس، ١٩٩٣م، ص١٥٤.
[2] علي صدقي عبد القادر، الكلمة لها عينان (مِنَ الشعر الثوري الليبي)، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٧٠م، ص٤٣.
[3] فراس أبو هلال، معاناة الأسير الفسطيني في السجون الإسرائيلية، ص١١١.
[4] عائشة الخواجا الرازم، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٣١٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تُجري بطوْعِ المُزْنِ[1].. تُصْرُخُ لَنْ تموتَ
بنا رجالُ الاستقامة..

إنَّ وجود الأسرى خلف القضبان هناك لن يكسر البعد الروحي ولا الرمزي ولا الثقافي للانتفاضة، ولن يحولها إلى ركام أو رماد... وسيأتي يوم يعجز فيه الجلادون عن انتزاع أيِّ كلمة من أيِّ أسير، مهما كانت جهود الآخر كبيرة من خلال العنف والقوة، أو الإذلال[2]. و "لا بدَّ أَنْ تشرق الشمس، ولا بدَّ لليل أَنْ ينجلي، ولا بدَّ أَنْ ينكسر القيد مهما طال ظلم السجان وظلام السجن، ومهما استمرت المعاناة والظلم والقهر، فلا بدَّ أَنْ تفتح أبواب السجون، وتنكسر إرادة الجلاد آجلاً أم عاجلاً"[3]. لقد وجدت في تلك العبارات أداةً وسلاحاً لمقاومة السجان وسوط الجلاد، الذي مارس أبشع صور القهر والذل ضد الأسرى والمعتقلين من أبناء الأمة العربية والإسلامية.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

[1] المُزن: الغيم والسحاب. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثالث عشر، مادة (مَزَنَ).

[2] انظر: غادة فريد بدر، أسرانا في سجون الاحتلال الإسرائيلي، ص٣٧- ٣٨.

[3] رامي نوفل سليمية، لا بُدَّ أن تشرق الشمس، مركز أحرار لدراسات الأسرى وحقوق الإنسان، ٢٠٠٨/٣/١٢م.

المبحث السابع

صورة اليهودي الإيجابية

عمد الشاعر العربي إلى أنسنة بعض النماذج اليهودية؛ حيث بادر إلى إبراز الحب والعطف لتلك النماذج، متوهماً طيبتها وأنَّه يمكننا التعايش معها. فمن خلال تعرض الشاعر الفلسطيني الذي كان قريباً من الحزب الشيوعي بصورة خاصة، لمراحل الصراع العربي مع إسرائيل، تناسى حقيقة ذلك الصراع، ورأى أنَّه من الضروري أَنْ يبحث عن الشخصية الطيبة، وأَنْ يتفادى كلَّ ما كان يمارسه العدو من قسوة، وأَنْ يبتعد عن العنصرية والحقد في مواجهته للمحتل[١]. ومن خلال نظم الشاعر لتلك النماذج الشعرية التي لجأ فيها إلى عرض الجانب الإنساني لليهود، نجد أنَّها قد تخطَّت الصورة النمطية الجاهزة لليهودي، وتعرَّضت بشكل واسع للحديث عن ممارسات اليهود العدوانية تجاه العرب والمسلمين، وشغفهم بالمال وغدرهم واحتيالهم على البشر، تخطتها إلى صور أخرى، فيها نوع من التوهم والخداع بمثل تلك الشخصية الطيبة، التي يريد الشاعر أن يظهرها للقارئ العربي.

ومن تلك النماذج الشعرية التي تطرقت إلى الجانب الإنساني في رسمها لشخصية اليهودي، قصيدة محمود درويش: "جندي يحلمُ بالزنابق البيضاء"، حيث استبعد فيها كلَّ مشاعر العداء الذي بينه وبين ذلك اليهودي؛ ليبحث بعد ذلك في الجانب الإنساني فيه، فيقول محاولاً أن يقنع اليهودية شلوميت بأنَّ كلَّ قومياتنا قشرة موز، هذا يعني أنَّ القومية تمرغ صاحبها المتعصب لها بالوحل[٢]، يقول محمود درويش:[٣]

يَحْلُمُ بِالزَّنَابِق[٤] البيضاءْ
بِغُصنِ زَيْتُون..
بِصَدْرِهَا المُورَق فِي المَسَاء

---

[١] المتوكل طه، صورة الآخر في الشعر الفلسطيني، ص٢٢٧.

[٢] عادل الأسطة، اليهود في الأدب الفلسطيني، ص١٠١.

[٣] انظر: محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص٩٣-٩٤.

[٤] الزنبق: دُهن الياسمين. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء السادس، مادة (زَبَقَ).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يَحْلُمُ – قَالَ لِي– بِطَائِر

بِزَهْرِ لَيْمُون

...

سَأَلْتُهُ: والأَرْض؟

قَالَ: لا أَعْرِفُهَا

وَلا أُحِسُّ أَنَّها جِلْدِي وَنَبْضِي

مِثْلَمَا يُقَالُ فِي القَصَائِدْ

...

– مِنْ أَجْلِهَا تَمُوت؟

– كَلاَّ !

وَكُلُّ مَا يَرْبِطُنِي بِالأَرْضِ مِنْ أَواصِر

مَقَالَةٌ نَارِيَّة.. مُحَاضَرَه!

قَدْ عَلَّمُونِي أَنْ أُحِبَّ حُبَّهَا

وَلَمْ أُحِسّ أَنَّ قَلْبَهَا قَلْبِي،

...

أَجَابَنِي مُوَاجِهاً:

– وَسِيلَتِي لِلحُبِّ بُنْدُقِيهْ

وَعَودَةُ الأَعْيَادِ مِنْ خَرَائِبَ قَدِيمه

وَصَمْتُ تِمْثَالٍ قَدِيم

ضَائِعِ الزَّمَانِ وَالهُوِيَّهْ!

إنَّ الشاعر لا يقف موقفاً سلبياً من اليهود عامةً، بل يقف ضد الحركة الصهيونية، التي عمدت إلى العنصرية والتعصب الأعمى، ومنعت إقامة دولة ديمقراطية، يعيش فيها العربي واليهودي دون أي خلاف أو نزاع[1]. لقد ابتعد الشاعر عن التعصب القومي ضد اليهود، وسعى إلى دعوة الآخرين إلى الابتعاد عن

---

[1] عبد الكريم حسن، قضية الأرض في شعر محمود درويش، رسالة ماجستير بإشراف البروفسور Andre Miguel، جامعة السوربون، دمشق، (د.ن)، ١٩٧٥م، ص٨٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فكرة الانتقام والثأر، حتى نستطيع استعادة حقوقنا بعيداً عن العنصرية[1]. فالشاعر يرى أنَّ الجندي اليهودي إنسان له أحلام كغيره من البشر، وأنَّه كان ضحيةً من ضحايا الحركة الصهيونية العنصرية[2].

وفي روايته لقصة هذا الجندي، يقول: "حدث ذلك في مطلع العام ١٩٦٧م، عندما كنت أسكن في حيفا، محكوماً علي بالإقامة الجبرية، أي أنني لم أكن أستطيع مغادرة مكاني من مغرب الشمس إلى مطلعها، ثم إنَّ عليَّ الحضور إلى مركز الشرطة الأقرب إلى وادي النسناس في الرابعة يومياً وإثبات أنني ما أزال حاضراً هناك، كان النهار لهم والليل لي، وكنت سعيداً بذلك. في البناية ذاتها القريبة إلى مبنى جريدة الاتحاد التي أعمل فيها، كان يسكن جندي إسرائيلي، ويوماً ما طرق بابي، قال إنَّه يعلم بأنَّي الشاعر محمود درويش، كما يعلم بأمر الإقامة الجبرية المفروضة علي من قبل السلطات العسكرية الإسرائيلية، ونحن ما نزال واقفين بالباب. آنذاك، كانت السماء ملبدةً بغيوم حرب وشيكة، لكن لا أحد يستطيع التكهن بموعدها، وكان جيش الاحتلال مستنفراً باستمرار. لقد سألني سؤالاً غريباً جعلني أدعوه للدخول: إنْ انتصرت العرب في الحرب، فهل تأويني؟ هل تُجيرني؟ بلا سابق معرفة. هكذا استضفته وقدمت له ثلاث أو أربع كؤوس... ولم يكن بأي خجل أو إحساس بالذنب عندما تحدث عن ممارسته القتل في العرب... من هذا اللقاء العابر خلقت قصيدة "جندي يحلم بالزنابق البيضاء" بعد حرب أعادت قتلي مراراً... ولكنني أتباهى بإنسانيتي، فلقد كنت أول شاعر عربي يتعرض للجوهر الإنساني لجندي إسرائيلي حتى بعد الحرب وليس قبلها... أنا لا أريد تضليل الرأي العام العربي أو العالمي عما يمارسه ويفعله

---

[1] عبد الرحمن الكيالي، الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٥م، ص٢٢٥.

[2] رجاء النقاش، محمود درويش: شاعر الأرض المحتلة، ط٢، دار الهلال، ١٩٧١م، ص٢٢٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الجندي الإسرائيلي... لكنني كنت بذلك أدافع عن تلك المساحة الخضراء التي تبقت من إنسانيتي، وكنت أحاول رغم عذاباتي وآلامي أن أنجو من الكراهية ومن التعصب القومي"[١].

لقد أظهر لنا الشاعر محمود درويش أنَّ اليهودي الذي يعيش على أرض فلسطين كالغريب، لم يشعر يوماً بقيمة الأرض ولا المعنى الذي تحمله، بل عاش طوال فترة مكوثه فيها مجبراً دون رغبة منه[٢].

وبرأي الشاعر أنَّه لولا تلك الحركة الصهيونية لأمكننا العيش مع بعضنا البعض دون أي عداء أو كراهية. ومن خلال الحوار الذي جرى بين الشاعر والجندي الإسرائيلي، الذي أوضح أنَّ الأرض لا تعني له شيئاً أبداً، وأنه يتمنى لو يرجع إلى أمه وموطنه الأصلي، وذلك من خلال ردِّه على الشاعر عندما سأله عن الأرض[٣]، حيث قال: "لا أعرفها، ولا أحس أنها جلدي ونبضي... وكل ما يربطني بالأرض من أواصر، مقالة نارية.. محاضره!".

وهناك من الشعراء اليهود من حاول أنْ يحمل كامل المسؤولية للسلطة الإسرائيلية المحتلة، وأنْ يقدِّم الاعتذار نيابةً عنها عما يعانيه الشعب الفلسطيني من جراء هذا الاحتلال، فها هو الشاعر ب. ميخائيل يقول في قصيدة "إلى الشعبِ الفلسطيني":[٤]

أَيُّها الشعبُ الفلسطينيُّ
مُنْذُ الآن عَليكَ أَنْ تَرَانِي أيضاً
شَعْبَاً وَاقِعَاً تَحْتَ الاحتلالِ
كِلانَا مَعَاً

---

(١) جهاد هديب، محمود درويش يروي قصة جندي يحلم بالزنابق البيضاء، جريدة الاتحاد، الخميس ١٥ ذي القعدة ١٤٣٠هـ/ ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٩م، ص٢٣.

(٢) نادي ساري الديك، جراحات حيفا عذابات الكرمل، ص٧٩.

(٣) رجاء النقاش، محمود درويش: شاعر الأرض المحتلة، ص٢٢٩.

(٤) خليل السواحري، اليهودي البشع في نماذج مِنَ الأدب الإسرائيلي الحديث، مجلة المواقف، السنة الأولى، العدد الثاني، ربيع الثاني ١٤٠٨هـ/ كانون الأول ١٩٨٧م، ص٨٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تَحْتَ احْتِلالٍ وَاحِدٍ
أَحْيَاناً يُخيَّل إِليَّ
أَنَّنِي الأَكْثَرُ تَعَرُّضاً للاحتلال
لأَنَّهُ مَفْرُوضٌ عَلَيَّ
أَنْ أُموِّلَ احْتِلالِي بِنَفْسِي
وَأَنْ أُعْلِنَ وَلائِي لِمَنْ يَحْتَلُّنِي
ومِنَّا كِلَيْنَا يَخْطِفُ الاحتلالُ
أَبْنَاءَنَا وَأَعزَّاءَنا
للقيامِ بالأَعْمَالِ العَسْكَرِيَّةِ السوداء

وفي قصيدة توفيق زيَّاد "المناشير المحترقة" يتحدث الشاعر عن اليسار الإسرائيلي وأفراد منه قاموا بتوزيع المناشير في تل أبيب[1]، حيث وقفوا إلى جانب الشعب الفلسطيني، وعملوا على نشر تلك المناشير التي تعرضت للحديث عن الشهداء الخمسة الذين اعتدى عليهم الجنود الصهاينة في ساحة (ديزنكوف)، فما كان مصير هؤلاء الأفراد إلاَّ أنَّ واجههم الجنود الصهاينة، وقاموا بالاعتداء عليهم وتمزيق ثيابهم وحرق ما كانوا يحملونه من مناشير[2]، يقول توفيق زيَّاد:[3]

الوردةُ أَحْمِلُ.. والسَّلامُ الحَقُّ.. والحُبُّ العَمِيق
هَذي يَدِي،
يَا أَصْدِقَاء كِفَاحِنَا فِي كُلِّ ضيِق
فِي كُلِّ عِرْقٍ نَابِضٍ
عَهْدُ الصَّدِيقِ إِلَى الصَّدِيق

وبذلك فإننا إذا كنا قد وجدنا من العرب من يقتل اليهود العرب، فإننا بالمقابل نجد من يحمل المناشير منددّاً بهذا العمل الإجرامي، وفي ذلك ما فيه من الروح الإنسانية التي قد بدت أحياناً تطبع صورة

---

[1] يحيى عبابنة، الالتزام ودلالات الضمائر في شعر توفيق زيَّاد، وقائع ندوة إحياء ذكرى رحيل الشاعر توفيق زيَّاد، مجلة أوراق مجلة فصلية ثقافية تصدر عن رابطة الكتّاب الأردنيين، حزيران ٢٠٠٥م، ص١٢٣.

[2] توفيق زيَّاد، ديوان توفيق زيَّاد، المجلد الأول، ص٣٥.

[3] المصدر نفسه، ص٣٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

اليهودي، الذي يرغب في التعايش مع العرب، معلناً رفضه للأفكار الصهيونية المضللة، التي وقع ضحيتها. كما نجد الشاعر راشد حسين في قصيدة "خداع" يعبر عن تلك الصورة أيضاً بقوله:[1]

قَالُوا لَكَ: اسْتَبْسِلْ فَأَنْتَ مُخَلَّدٌ ... واقْتُلْ فَتُورَاتُ " العَبِيدِ " مُحَرَّمَه
وَالقَائِدُ الجَزَّارُ زَيَّنَ صَدْرَهُ ... بِشَرَائِطِ دَمَوِيَّةٍ وَبِأَوْسِمَه
أَثْمَانُهَا زَفَرَاتُ زَوْجَتِكَ الَّتِي ... خَلَّفْتَهَا مَحْزُونَةً مُتَأَلمة
فَاحْطِمْ سِلاحَكَ يَا غَبِيُّ وَعُدْ لَهَا ... وَاتْرُكْهُ وَحْدَهُ يَدْفَعُ ثَمَنَ الوسام
احْطِمْ سِلاحَكَ إِنَّ أُمَّكَ وَحْدَهَا ... إِنْ مُتَّ تَقْضِي اللَيلَ تَبْكِي لا تَنَام
اتْرُكْهُ وارْجَعْ إِنَّ دَارَكَ جَنَّةٌ ... فَعَلامَ تَبْقَى سَاكِناً بَيْنَ العِظَامِ؟

حاول الشاعر أَنْ يُغري الجندي الصهيوني بالثورة على قائده، وأَنْ يردِه عن موقفه الذي أقنع به خديعة ومكراً[2].

وفي موضع آخر، نجد الشاعر نفسه في قصيدة "إلى أطفالِ بلادي" يبثُّ مشاعره تجاه الأطفال اليهود، حيث ينظر إليهم بعين الحب، التي يرى بها الأطفال العرب، لذلك غنَّى للسلام من أجل الجميع، فهو يؤمن بإنسانية الإنسان وبمبادرة الخير والصلاح فيه، إلى حدٍّ يمكن تغيير موقف الجندي الإسرائيلي ورده عن موقفه المتعصب[3]، يقول:[4]

مَا زَالَ فِي بَصَرِي سَمَاءٌ مِنْ عُيونٍ حَالِمَه
زَرْقَاء أَوْ سَوْدَاء تَلْمَعُ فِي الوُجوهِ الباسمه
وَخَواتِم الكعكِ الكبيرةِ وَالشِّفَاه النَّاعِمه
مَا زَالَ فِي عينيَّ طِفْلٌ فِي شَوَارِعِ تَلْ أَبِيب
وَصغيرةٌ فِي قَرْيَةٍ سَمراءَ تَحْلُمُ بِالحَلِيب
...
وَلأَجْلِهِم وَلأَجْلِ كَعْكِهُم أُغني للسَّلام
...

---

[1] راشد حسين، ديوان راشد حسين، دار العودة، بيروت، ١٩٩٩م، ص٤٧٠.

[2] انظر: حسني محمود، راشد حسين الشاعر من الرومانسية إلى الواقعية، الوكالة العربية للتوزيع والنشر، الزرقاء، سلسلة الإعلام (مكتبة الآداب والثقافة الفلسطينية)، عدد١، ص٢٧٤- ٢٧٥.

[3] المرجع نفسه، ص٢٧٤.

[4] انظر: راشد حسين، ديوان راشد حسين، ص٤٢٧- ٤٢٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لم يكن العداء الذي بين العرب واليهود على أساس ديني، فجميعنا يؤمن بالأديان السماوية وبالأنبياء والرسل، ولكن العداء كان بين العرب وكل من يعتنق الحركة الصهيونية، ويؤمن بأفكارها ويطبقها. ولكن هذا لا يعني أنْ نتجاهل ما قام به اليهود من ممارسات عدوانية همجية منذ القدم حتى وقتنا الحاضر، بل يجب علينا أن نبقى حذرين منهم، وأن نبقي أعيننا مفتوحةً، حتى لا ننخدع بهم، مثلما انخدع بهم الشعب الفلسطيني منذ أن استضافهم على أرضه.

وهناك من النماذج الشعرية ما رصدت علاقات حب غير طبيعية، بين الشاب الفلسطيني والفتاة اليهودية. وفيها يتجاوز الشاعر العربي مشاعر العداء التي نتجت عن الصراع العربي الإسرائيلي الذي طال أمده. ففي قصيدة محمود درويش "ريتا والبندقية" يعرض لنا تلك العلاقة غير الطبيعية التي حصلت بين الشاعر وفتاة يهودية تدعى ريتا، من أجل أنْ يبرهن للعالم أن الفلسطيني لا يحمل أي كره تجاه اليهود، كما ينظر إليها أعداء فلسطين[1]، فيقول واصفاً تلك العلاقة:[2]

بين ريتا وعيوني.. بندقيَّهْ
والَّذي يَعْرِفُ ريتا، يَنْحني
ويُصَلي
لإله في العيونِ العسليَّهْ !
.. وأنا قَبَّلتُ ريتا
عِنْدَمَا كَانَتْ صَغِيرة
وَأَنَا أَذْكُرُ كَيْفَ التَصقَتْ
بِي، وَغَطَّتْ سَاعِدَيَّ أَحْلَى ضَفِيره

نجد أنَّ الشاعر لا يتوانى عن إبراز الصور الإيجابية للشخصية اليهودية، فهو لا يرى أنَّ هناك مانعاً من التعبير عن الحب كعلاقة إنسانية تربط بين شاب عربي وفتاة يهودية. ويرى أيضاً أنَّ الحب قد يكون ممكناً من الناحية الإنسانية، ولكن هناك من يقف حائلاً دون أنْ تكتمل تلك العلاقة. وبرأي الشاعر

---

[1] نادي ساري الديك، جراحات حيفا عذابات الكرمل، ص٨٦.

[2] انظر: محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص٩٢- ٩٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أنَّ البندقية – رمز الاغتصاب والاضطهاد– هي التي حالت بينه وبين حبه لتلك الفتاة اليهودية[١]. ومن الملاحظ أنَّ القارئ يجد نفسه في هذه القصيدة "أمام ثنائية ضدية هي الحب، ممثّلاً بعلاقة المتكلم بريتا ذات العينين العسليتين، والحرب التي تمثلها البندقية. فالمتكلم يصف العلاقة بين الحبيبين وصفاً يفصح عما كان بينهما من وئام، ومن وصل، حتى ليكاد يعبد ما في عينيها من السحر، والألق، ويتذكر ما كان بينهما من لقاءات حلوة، ومن قبلات تبادلاها، ومن التصاق الجسد، ومن ضفائر تدلت على ساعده، فهو حب لا يتصور مدى ما طبع عليه من صدق، وقوة، وعمق"[٢].

ونخلص من تلك العلاقة، التي عبر عنها الشاعر، إلى أنَّ هناك فرقاً بين اليهودية والصهيونية. وهذا ما لاحظناه في قصيدة محمود درويش "ريتا والبندقية"، وإلى أنَّ الشاعر قد أبدى تعاطفاً مع اليهود، الذين كانوا ضحايا الحركة الصهيونية، حيث قال: "إنني أتمزق مرتين، مرة على شعبي، ومرة على المواطنين اليهود، الذين يقودهم حكامهم إلى كارثة"[٣].

وفي قصيدة "بني التمايز" للشاعر محمد العيد آل خليفة يشير إلى أنَّ الحركة الصهيونية بمساعدة القوى الاستعمارية هي التي حالت دون وجود علاقة أخوة وصداقة بين العرب واليهود، فيقول:[٤]

تَشَاجرتِ العُمُومَةُ فِي ذَرَاهَا ... وَلَولاكُمْ لَمَا وَقَعَ الشِّجَارُ
غَدَا العِبْرِيُّ للعَرَبِيِّ خَصْمَاً ... بِهَا وكِلاهُمَا لأَخيهِ جَارُ
تَرونَ لَهَا سِوى العَرَبيُّ أَهْلاً ... وتَأْبَى التّربُ فِيهَا والحِجَارُ

فالشاعر في الأبيات السابقة يعبّر عن العداء الذي دب بين العرب واليهود، من زاوية خاصة، ويعزو هذا العداء إلى بريطانيا، التي سعت إلى التفريق بينهما من أجل سيادتها على تلك الأرض[٥].

---

[١] حسني محمود، راشد حسين الشاعر مِنَ الرومانسية إلَى الواقعية، ص١٢٢.

[٢] إبراهيم خليل، تناسُل النصوص، جريدة الرأي (الملحق الثقافي)، عمّان، العدد (١٤٤٠٤)، السنة التاسعة والثلاثون، الجمعة ٣ ربيع الثاني ١٤٣١هـ/ ١٩ آذار ٢٠١٠م، ص٢.

[٣] تهاني شاكر، محمود درويش ناثراً، ص١٦٩.

[٤] محمد العيد بن محمد علي بن خليفة، ديوان محمد العيد آل خليفة، ص٣٧٤.

[٥] عبدالله ركيبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، معهد البحوث والدراسات العربية، الجزائر، ١٩٧٠م، ص٥٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولربما كان في الصورة شيء من الصحة، ولكن من وجهة نظري، لم أجد أصدق تعبيراً لتلك الشخصية غير ما جاء في قصة صياد العصافير، التي تقول: "يُحكى أنَّ صياداً خرج ذات يوم للصيد، والثلج قد غطَّى السهول والجبال، وبينما هو سائر رأى العصافير تقع على شجرة، فأطلق عليها النار، فأصاب كثيراً من العصافير وأسقطها، بعضها مات حالاً، وبعضها كان جريحاً لا يقوى على الطيران. فانطلق الصياد يجمع العصافير، ويذبح الذي لا يزال حياً. وكان البرد شديداً، فنزلت دموع الصياد، فرآه عصفور جريح، فظن أنَّ الصياد أخذته الرحمة والشفقة، فقال لعصفور جريح آخر: انظر الصياد يبكي من حزنه علينا، فقال العصفور الجريح الثاني: لا تنظر إلى دموع عينيه، بل انظر إلى فعل يديه"[1]، فاليهودي الذي يتقنع بقناع الطيبة والحب للعرب، لم يكن إلا ذلك الصياد، الذي انعدمت فيه الإنسانية والشفقة، ولم يؤثر فيه مشهد سقوط العصافير من فوق الشجرة، أو تتحرك مشاعره تجاهها. وكذلك الأمر عند اليهودي؛ لذا يجب علينا أنْ ننظر إلى ما فعلت يداه، وما جنت عدوانيته وتعصبه، كما قال العصفور الجريح، ولا ننظر إلى دموعه، التي قد يذرفها لسبب آخر غير سبب الحب والشفقة، إن دموعه كدموع الصياد، ذرفها بسبب البرودة التي شعر بها في ذلك اليوم المثلج.

والتساؤل الذي قد يحتار بعضنا في الإجابة عليه هو: هل يمكن أنْ تكون الصورة الإيجابية لليهودي التي مرت بعض ملامحها حقيقية؟!. وهل يمكن أنْ تكون هناك صورة إيجابية ونظرة مختلفة عن النظرة التي رأيناها في المباحث السابقة، التي عبَّرت عن شخصية اليهودي السلبية، لو لم تكن هناك حركة صهيونية واحتلال للأرض وتشريد لأصحابها؟. لقد نجح الشاعر العربي في توصيل فكرته الإنسانية إلى عقل القارئ، الذي لم يُرد أنْ يكون جلاداً لليهود، بحكم كونه ضحية، بل حاول أنْ يميِّز بين اليهود والصهيونية كحركة سياسية عنصرية متعصبة[2].

---

(1) حموده زلوم، الشخصية اليهودية في الأدب الفلسطيني الحديث، (د.ن)، (د.م)، ١٩٨٢م، ص١٠٦.

(2) عادل الأسطة، اليهود في الأدب الفلسطيني، ص١٦٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل الثاني

صورة اليهودي في الشعر العربي في القرن العشرين: دراسة فنية

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صورة اليهودي في الشعر العربي في القرن العشرين

دراسة فنية

ولكي تكون الدراسة عميقة الرؤية واضحة الأبعاد، لا بدَّ لنا أنْ نلقي الضوء على الجانب الفني والجمالي وربطه بالأبعاد الموضوعية، مع مراعاة الجوانب البيئية المحيطة، وكل ما يتعلق بالذات الشاعرة، وما ذلك إلاَّ إدراك لأهمية هذا الشعر من الناحية الفنية. من أجل ذلك فقد عمدت إلى دراسة صورة اليهودي من الناحية الفنية؛ بغية الكشف عن تلك الوسائل التي استخدمها الشاعر العربي في القرن العشرين، للتعبير عن تلك الصورة، من خلال استخدامه اللغة ومن خلال (المعجم الشعري) الذي بدا في قصائدهم، ومن خلال الصورة الشعرية والموسيقا.

من هنا جاء هذا الفصل الذي يتناول الجوانب الفنية في الشعر، مقسَّماً إلى ثلاثة مباحث:

١- المبحث الأول: اللغة الشعرية.

٢- المبحث الثاني: الصورة الشعرية.

٣- المبحث الثالث: الموسيقا الشعرية.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المبحث الأول

اللغة الشعرية

تُعدُّ اللغة عنصراً هاماً من عناصر الأسلوب، بل هي أهم لبناته، فالشاعر حينما يتعامل مع اللغة في قصيدته، لا يستخدم الحروف الهجائية وحدها، بل يتعامل مع عدد من المؤثرات؛ حيث تتكون علاقة وطيدة بين الدلالة في لغة الشعر وبين شخصية الشاعر والظروف النفسية التي تحيط به. وهذا ما يميز لغة الشعر عن اللغة العادية، والتي يجعلها أكثر عرضةً للتأثر بالتطور الحضاري[1]. فاللغة كـ "لون من ألوان الاستعمال اللغوي، ليست فقط مجموع تعابيره، إنها أيضاً تلك العلاقة الخفية الحية، الناشئة من تفاعل هذه التراكيب في سياق القصيدة الواحدة لتخلق "إيقاعاً" إنسانياً... واستجابةً ما... ولتقدم صورةً مكثفةً لتجربة إنسانية جديدة، في الزمان والمكان"[2]، بل هي – كما تقول نازك الملائكة- : "كنز الشاعر وثروته، وهي جنيته الملهمة، في يدها مصدر شاعريته ووحيه، فكلما ازدادت صلته بها وتحسسه لها، كشفت له عن أسرارها المذهلة"[3].

إنَّ سر نجاح الشاعر في قصائده، ووصولها إلى المتلقي يكمن في مدى قدرته على انتقاء ألفاظه واستعمالها استعمالاً موفقاً، حتى تؤثر تجربته الإنفعالية في المتلقي. وقد أشار أدونيس إلى أنَّ اللغة " كائن حي متجدد، وإذا كان الشعور الجديد يعبر عن نفسه تعبيراً جديداً فإن هذا يعني أنّها لغة متميزة، خاصة... ويعود جمال اللغة في الشعر إلى نظام المفردات وعلاقاتها، وهو نظام لا يتحكم فيه النحو، بل الإنفعال أو التجربة. ومن هنا كانت لغة الشعر لغة إيحاءات، على النقيض من لغة العلم التي هي لغة

---

(1) عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٨م، ص٣٩٦.

(2) أحمد يوسف داود، لغة الشعر: بحث في المنهج والتطبيق بغرض الكشف عن مدى تأثير الصيرورة التاريخية للمجتمع على العلاقات الداخلية للقصيدة العربية وعلى تجليات القيم الجمالية المنبثقة عن "الحاجة" فيها، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠، ص١٠٧.

(3) نازك الملائكة، الشاعر واللغة، مجلة الآداب، العدد الأول، تشرين الأول ١٩٧١م، ص١١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تحديدات"[1]. وقال أيضاً عن اللغة أنَّها " ليست ملك الشاعر، ليست لغته إلاَّ بقدر ما يغسلها من آثار غيره، ويفرغها من ملك الذين امتلكوها في الماضي. وبما أنَّ المبدع يتحدد بالرؤيا والاستباق، فإنَّ اللغة الشعرية التي يستخدمها لا تكون لغته إلاَّ بقدر ما يُفرغها من ماضيها، ويشحنها بالمستقبل. اللغة دائماً تخص زماناً ما، بيئةً اجتماعية ما، إنها دائماً تجيء من الماضي، حين يأخذها الشاعر كما هي، كما تجيئه، لا يكتب بل ينسخ. اللغة نفسها في هذه الحالة لا تتكلم بل تتلعثم. اللغة الشعرية لا تتكلم إلا حين تنفصل عما تكلمته: تتخلص من تعبها، تقتلع نفسها من نفسها. فاللغة الشعرية هي دائماً ابتداء، الكتابة هي دائماً ابتداء"[2].

ومن يتأمل لغة الشعر ولغة النثر، يرَ ما بينهما من فرق جوهري، فقد أشار جان كوهين إلى ذلك الفرق بقوله: "الفرق بين الشعر والنثر فرق ذو طبيعة لغوية، أي شكلية. وهو فرق لا يوجد في جوهر الرنين الصوتي، ولا في الجوهر الفكري، ولكنه في نمط العلاقات الخاص التي توجده القصيدة بين الدال والمدلول، وبين المدلولات بعضها البعض من جهة أخرى"[3].

وقد أكَّد رولان بارت ما جاء به جان كوهين، حيث أشار إلى أنَّ: "الشعر هو دائماً مغاير للنثر. لكن هذا الفرق بينهما ليس في الجوهر وإنَّما في الكمِّ. فهو فرق لا يمسُّ وحدة اللغة التي هي عقيدة كلاسيكية. ومن ثم يشحن الكلاسيكيون طرائق الكلام بمقادير مختلفة حسب المناسبات الاجتماعية، فيأتي هنا نثراً أو فصاحةً، ويكون هناك شعراً أو تحذلقاً..."[4].

---

[1] أدونيس، زمن الشعر، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨م، ص٤٠.

[2] المرجع نفسه، ص٧٨.

[3] جان كوهين، بناء لغة الشعر، ترجمة أحمد درويش، الهيئة المصرية لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٩٧.

[4] رولان بارت (١٩١٥م-١٩٨٠م)، الدرجة الصفر للكتابة، ترجمة محمد برادة، ط٢، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٢م، ص٥٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المعجم الشعري:

وما دامت اللغة هي المادة الأولية التي يقوم عليها النص الأدبي، فإنَّ أي دراسة نقدية تحليلية لهذا النص يجب أنْ تأخذ في الحسبان بنيات المعجم وحقوله الدلالية. فمهمة لغة العمل الأدبي، من حيث كونها شكلاً للتعبير عن المضمون الصوري- كما يقول فينوغرادوف- " تحدد طبيعة عمل الكاتب في مجال اللغة. فالكاتب يخلق الموضوع في خياله، ويرسم الأشخاص، ويفكر بالصور التفصيلية، وتتركز مهمته عندئذ في "إلباس" هذه الصور رداءً لغوياً، مختاراً من أجل هذه الغاية الكلمات الضرورية، ومقيماً لها من حيث مدى استيعابها لدى القارئ. من هنا يبدأ عمل الكاتب في اختيار اللغة"[1]. فاللغة في العمل الفني تقوم بدور وسيلة تفسير ونقل الصورة إلى القارئ (وهذا هو دورها الرئيسي). إنَّ الكلمة هنا لا تعبِّر في حدِّ ذاتها عن تقييم الكاتب حول الظاهرة التي تعينها (تسميها). إنَّ الكلمة هنا تبدو كعلامة محايدة ليس لها وزن ذاتي[2].

لكلِّ شاعر من الشعراء معجمه الشعري الخاص، يستمد من خلاله ألفاظه التي تعينه على الإبداع. فالمعجم الشعري يتصل بما "تراكم من ألفاظ الأمة على مر العصور، غير أنَّ الشاعر ينمي مفرداته الخاصة تبعاً لتجربته، فضلاً عن تأثره بالتطورات الحضارية وتحصيله المكتسب..."[3].

ومن هذا المنطلق، نستطيع القول: إنَّ المعجم الشعري هو القاموس اللغوي الذي يستخدمه الشاعر لحظة إبداعه – كما أشرنا آنفاً- ويتكون ذلك القاموس من خلال ثقافته وبيئته ومناخه الذي يحيط به. ولكل شاعر معجم شعري خاص، له صيغة خاصة. لذا يُعدُّ القاموس اللغوي "المعجم الشعري" معياراً أساسياً من

---

(1) إي. إي. فينوغرادوف، مشكلات المضمون والشكل في العمل الأدبي، ترجمة هشام الدجاني، (د.ن)، (د.م)، ١٩٠٠م، ص١٣٥.

(2) انظر: المرجع نفسه، ص١٣٤- ١٣٥.

(3) ناصر فهد علي، بنية القصيدة في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١م، ص٩٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

معايير تميز الشاعر عن غيره من الشعراء، بالإضافة إلى أنَّه يعد من أهم الخواص الأسلوبية، التي يمكن الحكم على شاعر ما من خلالها، وبيان ملامحه الخاصة[1].

ويعنى المعجم الشعري بتردد لغوي لمفردة بعينها، وفي هذا يكمن الاختلاف بين ذلك المعجم وما يمكننا تسميته بـــ "العائلة اللغوية"، من حيث إن اللغة العائلية تعنى بالحقل الدلالي، وليس اللغوي – كما هو في المعجم الشعري– حيث ورود كل الكلمات التي تدل على معنى واحد لمفردة ما، كالموت مثلاً، التي تدل عليها المفردات الآتية: (قبر، كفن– نهاية...إلخ). أمَّا المعجم الشعري اللغوي، فهو على نحو تكرار كلمة ما، وليس المعنى، كالموت على سبيل المثال، نكرر اللفظة ذاتها فنقول: (موت... موت)[2].

لقد حفلت قصائد الشعراء الوطنية والقومية بقاموس لغوي، عبَّر من خلاله عن مشاعره تجاه الاحتلال الصهيوني واليهود بصفة عامة، حيث تكون ذلك القاموس الشعري من مجموعة من الكلمات، ترجع في أصولها إلى الحقول الدلالية الآتية: (القتل، الدمار، الاغتصاب، الكذب، العدو، الاحتلال... إلخ). وبدورها قدمت للمتلقي الدليل الواضح، والإشارة الموحية، لشتى الممارسات التي يقوم بها اليهود على أرض فلسطين، وما يكتنف العرب من شعراء وأدباء ومفكرين وأناس آخرين عاديين من مشاعر وأحاسيس، ملأت صدورهم ودواخلهم، بكل ما في تلك المشاعر من آلام وأحزان.

وكان المعجم الشعري، بكل ما يحويه من ألفاظ وكلمات، تُشير إلى المحتل والاحتلال، نابعاً في أساسه من التراث، الذي استمد منه الشعراء مفرداتهم، وجعلوها في خدمة مواقفهم وأفكارهم. فمثلاً استمد الشاعر محمود درويش معجمه الشعري من تراثه (الأدبي، التاريخي، والديني)، حيث انتقى من الكتب السماوية الثلاثة، وهي على التوالي: (التَّوراة، الإنجيل، القرآن الكريم)، بالإضافة إلى الحديث النبوي

---

[1] بروين حبيب، تقنيات التعبير في شعر نزار قبَّاني: دراسة أدبية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩م، ص٥٢.

[2] المرجع نفسه، ص٥٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الشريف، مفرداته وكلماته. وكان من بين تلك المفردات: "حبقوق، يوسف، المسيح وموضوع صلبه، سدوم... وغيرها من الأسماء والشخصيات الدينية"، وجميع تلك المفردات كان لها ارتباط وثيق الصلة بالوطن المغتصب (فلسطين).

لقد لجأ بعض الشعراء العرب إلى بعض نصوص التراث لاشتراكها في المعنى مع معاني قصيدته، أو لإفادته في هذا النص منها، ولإحساسه أنَّ هذه النصوص قد تغني نصه من الناحية الفنية أو المعنوية، وتشحنه بإيحاء يدعو متلقي النص إلى التأثر بها والاستجابة لها[1]. من هنا، ظهر في شعر الشعراء العرب العديد من التجليات التراثية، ومنها التجليات الدينية والشعرية، والأمثال العربية، بالإضافة إلى الموروث التاريخي بتجلياته الرمزية والأسطورية.

ومن الأمثلة على أسلوب التناص الذي لجأ إليه الشعراء العرب، ما جاء في قصيدة "نشيد" للشاعر محمود درويش، حيث انتقى شخصية النبي حبقوق؛ لعرض حوار دار بينه وبين ذلك النبي، معبِّراً عن العذاب الذي مرَّ فيه – وما زال– أبناء الشعب الفلسطيني، جاعلاً من ذلك الرمز نوراً؛ يضيء الانحراف في نهج السلطة السياسية، التي تتمثل في الاحتلال، الذي نهج منهجاً مختلفاً عن منهج النبي حبقوق، يقول:[2]

آلو.. هَالُو!
أَمَوْجُود هُنَا حَبَقُوق؟
– نَعَمْ مَنْ أَنْتَ؟
– أَنَا يَا سَيِّدي عَرَبِيّ
وَكَانَ لِي يَدٌ تَزْرَع
...
– كَفَى يَا ابْنِي!

---

(1) حامد كساب عياط، رسالة قاضي سرقسطة إلى أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين: تحقيق ودراسة فنية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد٢، العدد٤، رمضان ١٤٢٧هـ/ تشرين أول ٢٠٠٦م، ص١٧١.

(2) انظر: محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص٧٦– ٧٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عَلَى قَلْبِي حِكَايتُكُم
عَلَى قَلْبِي سَكَاكِينُ

استحضر الشاعر رمز (حبقوق)، الذي ناجى ربه قائلاً: "حَتَّى مَتى يَا ربُّ ادْعُو وَأَنْتَ لا تَسْمَعُ. اصْرخُ إِلِيكَ مِنَ الظُّلْمِ وأَنْتَ لا تُخَلِّصُ، لِمَ تُرِيني الإِثْمَ وتُبْصِرُ جَوْراً قدامي واغتصاب وظلم ويحدثُ خِصَامٌ وتَرْفَعُ المُخاصمةَ نفسها"[١]، مستعيناً به ضد بشاعة فكرة الاحتلال، التي يمارسها اليهود ضد أبناء الشعب العربي الفلسطيني. ومقولته في عقاب اليهود معروفة، لذا لجأ إليه الشاعر ليشكو له ما حلَّ به وبشعبه من ظلم اليهود اليوم، وقسوتهم على شعبه[٢].

لقد حاول الشاعر أنْ يُعيد صياغة التاريخ في العصور الماضية، صياغةً تتلاءم والواقع المعيش، فالاضطهاد والاغتصاب – كما أشار إليه النبي حبقوق- موجودان منذ القدم، منذ عهد الأنبياء والرسل. وهذا ما يلاقيه الشعب الفلسطيني في الوقت الراهن، فالشاعر يريد من تلك الحوارية أن يدلل على مدى الظلم والاضطهاد، الذي لاقاه شعبه على يد اليهود[٣].

أمَّا الشاعر سميح القاسم، فقد استمد من القرآن الكريم ألفاظه، ليجعل من تلك المفردات القرآنية إشارات يترجم من خلالها مشاعره وأحاسيسه، بكلِّ ما فيها من حزن وقهر؛ لما آل إليه شعبه، حيث يقول في قصيدة "غزة":[٤]

وأَعُوذُ بِاللهِ الرَّحيم
مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَتْ يَدَاه
وأَعُوذُ بِالشرِّ الرَّجيم
مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَتْ يَدَاه
الغُولُ، والعَنْقَاءُ- والدم والشِّباك

---

[١] الكتاب المقدس، العهد القديم، سِفْرُ حَبَقُوق، فصل١، آية٢- ٣، المجلد الثاني، ص١٣٢٩.
[٢] نادي ساري الديك، جراحات حيفا عذابات الكرمل، ص١٩٦.
[٣] عمر أحمد الربيحات، الأثر التَّوراتي في شعر محمود درويش، دار اليازوري، عمان، ٢٠٠٦م، ص٦٥.
[٤] انظر: سميح القاسم، الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الثاني، ص٦٨- ٦٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والنسل- والخِلُّ الوفيّ
مِنْ أوّلِ الدُّنيا- هُنَاك
لآخرِ الدُّنيا- هُنَاك

من يتأمل تلك القصيدة، يجدْ أن الشاعر قد انتقى مفرداته من إحدى السور القرآنية، ألا وهي سورة "الفلق"، وفيها يقول الله عزّوجلّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ *﴾[1]. والمقصود في الآية الكريمة: من شرّ جميع المخلوقات "جهنم" إبليس وذريته. أمَّا ما جاء به الشاعر سميح القاسم، فقد انحرف عن المعنى السابق إلى معنى آخر: فبدلاً من الاستعاذة بالله من شر إبليس وذريته، استعاذ الشاعر من شرّ الغزاة والمحتلين[2].

إنَّ الموروث الديني هو من "المصادر التراثية التي تجلت في تجربة الشعر العربي المعاصر، لكونه يعتبر "مصدراً ثراً من مصادر الإلهام الشعري الذي يفيء إليها الشعراء، يستلهمونه، ويقتبسون منه، إن على مستوى الدلالة والرؤية أو على مستوى التشكيل والصياغة"[3].

ففي قصيدة "منشورات فدائية على جدران إسرائيل" للشاعر نزار قبَّاني، انتقى الشاعر شخصية موسى عليه السلام للدلالة على الشعب اليهودي المعتدي، حيث يقول:[4]

لأَنَّ مُوسَىٰ قُطِعَتْ يَدَاهْ
ولَمْ يَعُدْ يُتْقِنُ فَنَّ السِّحرْ
لأَنَّ مُوسَىٰ كُسِرَتْ عَصَاهْ
ولَمْ يَعُدْ بوسعِهِ

---

[1] سورة الفلق، الآية١- ٥.
[2] رقية زيدان، التغير الدلالي في شعر سميح القاسم، مؤسسة الأسوار، عكا، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص١٨.
[3] عبد الرحيم حمدان حمدان، التناص في مختارات مِنْ شعر الانتفاضة المباركة، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد الأول، العدد الثالث، رمضان ١٤٢٧هـ/ أكتوبر ٢٠٠٦م، ص٨٥.
[4] نزار قبَّاني، الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الثالث، ص١٧٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شقَّ مياه البَحْرْ
لأنَّكُمْ لَسْتُمْ كأمريكَا
ولسنا كالهُنُودِ الحُمْرْ
فسوفَ تهلكونَ عن آخركُمْ
فوق صحارىٰ مِصرْ ..

للوهلة الأولى يبدو – عند قرائتنا لتلك القصيدة– أنَّ الشاعر قد حمل شخصية موسىٰ عليه السلام سمةً سلبيةً، حيث رمز بتلك الشخصية إلى اليهود، وهذا تأويل خاطئ، فالنبي موسىٰ عليه السلام لم يكن إلاَّ واحداً من الرسل الذين تحملوا، في سبيل نشر دعوتهم، الكثير من المعاناة والتضحية، وقد وقع عليه ظلم اليهود، ولاقى من عنتهم الكثير؛ من هنا، نرى أنَّ حصر دلالة تلك الشخصية في الإشارة إلى الشعب اليهودي والرمز إليه أمر خاطئ لا يقبله العقل[1].

لقد صوَّر الشاعر ما يقوم به الفدائيون العرب من مقاومة ضد المحتل، لاقتلاعهم من الأرض المقدسة، حيث قاموا بتقليم أظافر القوة الصهيونية الغاصبة، وبشل الكثير من طاقاتها وقدراتها، وذلك من خلال استخدامه شخصية موسىٰ عليه السلام رمزاً لهذه القوى[2]. مستحضراً موقف موسىٰ عليه السلام من السحرة وتأييد الله له للإنتصار عليهم. فيخيل للشاعر أنَّ تلك المعجزة الإلهية "معجزة عصا موسىٰ" خدعة ومكيدة، فقدها موسىٰ في التجربة المعاصرة، حيث عجز عن تضليل الآخرين بسحره، كما فَقَدَ قدرته على فلق البحر بعصاه والإتيان بمعجزة خارقة[3].

---

[1] علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس/ ليبيا، ١٩٨٧م، ص١١١.

[2] المرجع نفسه، ص١١١.

[3] سامح رواشدة، أثر التراث في شعر نزار قبَّاني، مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد١٤، عدد٥، ١٩٩٩م، ص٢٣٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وبالرجوع إلى أعمال الشاعر مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية، نجد أنَّ ظاهرة التناص قد برزت في قصائده، ومنها على سبيل المثال: قصيدة "فلسطينُ على الصليبِ"[1]، حيث يقول:[2]

" إِذَا جَاءَ مُوسَىٰ، وأَلْقَى العَصَا" تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُ الطَّاغِيه
"مُحمد" أَبْقَى لَنَا ، عبْرَة مِنَ (الذئبِ، والغنمِ القَاصِيه)
وَفِي نَكْبَةِ العَرَبِ ، مَوعِظَةٌ – مَدَى الدهرِ – للمُهَجِ الوَاعِيه
فَمدُّوا يَدَاً ، نَحْمِ أَوْطَانَنَا وننْقِذ حِمَانَا، مِنَ الهَاويه
" فإِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكم" ويُنْجِزْ، أَمَانِيكُمُ الغَالِيه
"وَلَنْ يَخْلِفَ اللهُ ، مِيعادَهُ" وَلا رَيْبُ سَاعتنا آتيه

لقد استمدَّ الشاعر من الحديث النبوي الشريف النص الآتي: "عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا مِنْ ثَلاثةٍ فِي قَرْيَةٍ ولا بَدْوٍ لا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاةُ إِلاَّ قَدِ اسْتَحْوذَ عَلَيهِمُ الشَّيْطَانَ، فَعَلَيك بِالجَمَاعةِ فإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ القَاصيةَ"[3].

يُشير النص السابق إلى أن صلاة الفرد في الجماعة أفضل من الصلاة منفرداً، وذلك حتى لا يستولي عليه الشيطان، فينسيه ذكر الله تعالى، فالشيطان بعيد عن الجماعة، ويستولي على من فارقها. وقد أراد الشاعر من هذا الاقتباس استثارة العرب، حتى يكونوا يداً واحدة ضد العدو المحتل، ولا يكونوا كالذئب القاصية: أي الشاة البعيدة عن الأغنام لبعدها عن راعيها[4].

---

[1] محمد أحمد محمد المجالي، قضية فلسطين في الشعر المغربي (تونس، الجزائر، مراكش)، ص١٣٤.

[2] مفدي زكريا، ديوان اللهب المقدس، دار الشعب، الجزائر، ١٩٧٣م، ص٣٤١.

[3] أبو داود: سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢هـ – ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود المسمَّى السنن، قيَّم كتبه وأبوابه هيثم بن كزار تميم، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، رقم الحديث (٥٤٧)، ص١٣٥.

[4] خليل أحمد السهارنفوري (ت١٣٤٦هـ)، بذل المجهود في حل أبي داود، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٢م، ص١٢٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وانتقى الشاعر في الأبيات الشعرية السابقة نصوصاً من القرآن الكريم، كما هو واضح في البيت الخامس والسادس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾[2]، وقوله أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾[3]. ومن الشخصيات الدينية التي استحضرها الشاعر في تلك القصيدة: شخصية موسىٰ عليه السلام ومعجزة العصا، وشخصية خاتم الأنبياء محمد ﷺ .

وتحفل قصيدة "كفر قاسم" للشاعر توفيق زيَّاد بالمفردات القرآنية، فقد حملت الآية القرآنية ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴾[4] لدى الشاعر تداعيات دلاليةً متعددةً بالاعتماد على أسلوب المفارقة، حيث لجأ الشاعر إلى استبدال دال "الغاشية[5]" بدلالته القرآنية على يوم القيامة إلى دال "الملاحم" بدلالته الاستشهادية، التي تشير إلى ما سجله الإنسان الفلسطيني، على الرغم من موته غدراً بأيدي الصهاينة الغزاة في مذبحة كفر قاسم سنة ١٩٤٨م، من الملاحم الدالة على الحب الوطني والفناء من أجله وفي سبيله، يقول توفيق زياد:[6]

أَلا هَلْ أَتاك حَدِيثُ المَلاحِمْ
وَذَبْحُ الأَنَاسِي ذَبْحُ البَهَائِم
وَقِصَّةُ شَعْبٍ تُسَمَّى:
حَصَادَ الجَمَاجِم
وَمَسْرَحُهَا..
قَرْيَةٌ..

---

[1] سورة محمد، آية٧.

[2] سورة آل عمران، منَ الآية٩.

[3] سورة طه، منَ الآية١٥.

[4] سورة الغاشية، آية١.

[5] الغاشية: اسم منْ أسماء يوم القيامة. انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد السادس، ص٣٤٦٥.

[6] انظر: توفيق زيَّاد، ديوان توفيق زيَّاد، ص٣٠٦- ٣٠٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

اسْمُهَا:

كَفْرُ قَاسم..؟؟

وإلى جانب هذا التصوير، لجأ عبد الوهاب البيَّاتي في قصيدته "قصائد إلى يافا" للإنتقاء من الشخصيات التراثية اليهودية شخصية عرفت بقسوتها وظلمها وتعطشها للقتل وحبها للسلطة والقيادة، وهي شخصية يهوذا، مصوِّراً من خلال تلك الشخصية سطوة الصهاينة على أرض فلسطين، وتحكمهم بها وبأهلها[1]، حيث يقول:[2]

فَالبَابُ أَوْصَدَهُ "يَهُوذَا" والطريقُ
خَالٍ، وَمَوْتَاكَ الصِّغَارُ
بِلا قُبُور، يَأْكُلُونَ
أَكْبَادَهُمْ، وَعَلَى رَصِيفِكَ يَهْجَعُون

ولعن علي أحمد باكثير اليهود الذين اتخذوا من الذهب إلهاً ومعبوداً، مستمداً ألفاظه من القرآن الكريم، حيث يقول:[3]

تَبَّتْ يَدُ الملعونِ صَهيونٍ وَتَبْ ولا بَنُــوهُ العابدون للذهبْ
غداً سَيَصلَونَ ناراً ذاتَ لَهَبْ نحنُ وقودُها وهُمْ لها حَطَبْ

اعتمد الشاعر في تصويره لحب اليهود للمال والذهب وعبادتهم له على القرآن الكريم، مستمداً ألفاظه وكلماته من سورة المسد، وفيها قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ *﴾[4].

والمقصود هنا: أنَّ أبا لهب ما أغنى عنه ماله الذي كان يملكه، وما أغنى عنه ما كسب من الجاه والرئاسة

---

[1] أحمد ياسين السليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، إشراف جابر أحمد عصفور، رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراة في النقد الأدبي، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٩م، ص٤٥٨.

[2] عبد الوهاب البيَّاتي، ديوان عبد الوهاب البيَّاتي، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢م، ص٢٨٤.

[3] علي أحمد باكثير، قصائد على أحمد باكثير عن فلسطين، ص٤٧.

[4] انظر: سورة المسد، الآية١- ٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وغيرهم من متاع الدنيا، لأنه لا يغني من عذاب الله شيئ، لذا سيصله الله ناراً تضطرم وتتأجج عليهم تأججاً[1].

وهذا الأمر ذاته الذي أراده الشاعر من اقتباسه ألفاظ تلك السورة القرآنية، حيث سعى إلى وضع اليهود أمام مصيرهم، الذي سيؤولون إليه بسبب عبادتهم لهذا الذهب وشركهم بالله الواحد القهار، وأنَّه لن يغنيهم من الله وعذابه شيء لا الذهب ولا السلطة. فمصيرهم سيكون على يد الشعب الفلسطيني والعربي، حيث سيضرمون النار فيهم، وسيكونون هم الوقود الذي سيشعل بها النار. فتداخل المفردة القرآنية (تبَّت) في نسيج النص الشعري ليس مجرد تداع ذهني منفصم عن سياق النص، بل توظيف موفق رحب الدلالة، يهدف إلى إبراز عدم إيمان العدو الصهيوني بالسلام وعدم احترامه المواثيق[2].

وفي قصيدة "سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس" يقول الشاعر أمل دنقل:[3]

تَشُمُّ القَمِيصَ. فَتَبْيَضُّ أَعْيُنَهَا بِالبكاءِ[4]،
وَلا تَخْلَعِ الثوبَ حَتَّى يَجِئَ لَهَا نَبَأٌ عَنْ فَتَاهَا البعيد
أَرْضُ كَنْعَان – إِنْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ فِيهَا – مَرَاعٌ مِنَ الشوكِ
يُورِثُهَا اللهُ مَنْ شَاءَ مِنْ أُمَمٍ،
فالذي يَحْرُسُ الأَرْضَ لَيْسَ الصَيَارِف،
إِنَّ الذي يَحْرُسُ الأَرْضَ رَبُّ الجنود

يستدعي الشاعر شخصية النبي يعقوب عليه السلام، مدلِّلاً به على القدس؛ حيث يصوِّر حزنها على فقدها أبناءها. وهذا الحزن شبيه بحزن يعقوب عليه السلام عند فقده ولده يوسف عليه السلام، ولكن بدلاً من أنْ يصور الشاعر حزن يعقوب النبي – كما أشارت إليها الآيات القرآنية– يفاجئنا باستبداله القدس بدلاً من يعقوب عليه السلام، ويحول الخطاب إلى صيغة المؤنث؛ للدلالة على القدس، وكأن الشاعر يضعنا أمام بناء فني

---

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد السادس، ص٣٥٤٨.

[2] انظر: عبد الرحيم حمدان حمدان، التناص في مختارات مِنْ شعر الانتفاضة المباركة، ص٩٣– ٩٤.

[3] أمل دنقل، ديوان أمل دنقل، ص٢٨١.

[4] تشير العبارة إلى قوله تعالى: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾. سوة يوسف، مِنَ الآية٨٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

مركب، يجبره على إعادة النظر مرةً أخرى في تصوره المبدئي لدلالة السطور الأولى من النص. "فالعبارة لا تعطى أبداً للرؤية المباشرة، ولا تتجلى بذات الكيفية التي تتجلى بها البنية النحوية أوالمنطقية، كما يقول فوكو[١].

ومثلما وظَّف الشعراء التراث الديني في قصائدهم، فإنهم أيضاً حاولوا أَنْ ينتقوا من التراث التاريخي شخصياتٍ وأحداثاً يوحون من خلالها بالبعد الرئيسي لرؤيتهم الشعرية، ومواقفهم الوطنية والقومية، ومن بين تلك النماذج الشعرية، التي انتقى أصحابها من التاريخ شخصياتٍ وأحداثاً، قول الشاعرة فدوى طوقان في قصيدة "كوابيس الليل والنهار":[٢]

عَنْتَرة العَبْسيُّ يُنَادِي مِنْ خَلْفِ السُّور:
– يَا عَبْلُ تَزَوَّجكِ الغُرَبَاءُ، وإِنِّي العَاشِق!
– لا تَرْفَعْ صَوْتَكَ عَنْتَر وَيْلِي وَيْلِي!
– أَنَا ابن العَمِّ وعِرْقُ العين
(يَا وَيْلِي عَنْتَرُ مُخْتَبِئٌ في أَجْفَانِي)
– يَسْمَعُكَ الجُنْدُ، يَرَاكَ الجُنْد
– يَا عَبْلُ دَعِينِي أُطْعِمُ مِنْ
زَيْتُونِ العَيْنَين دَعِينِي
لا تُقْصِينِي عَنْ زَيْتُونِكِ لا تُقْصِينِي
– طَرْقَاتُ الجُنْدِ عَلَى بَابِي وَيْلِي وَيْلِي!
– يَا عَبْلَةُ يَا سَيِّدَةُ الحُزْنِ خُذِي زَهْرَةَ قَلْبِي
الحَمَّرَاء
صُونِيهَا أَيَّتُهَا العَذْرَاء

لقد استوحت الشاعرة من التراث التاريخي قصة حبِّ "عنترة العبسي وابنة عمه عبلة"، متخذةً من هاتين الشخصيتين رموزاً للإشارة إلى فلسطين وصراعها مع إسرائيل. فعنترة هو رمز لأرض فلسطين،

---

[١] جيل دلوز، المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٢.

[٢] انظر: فدوى طوقان، ديوان فدوى طوقان، ص٥٨٣- ٥٨٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن خلال ذلك الانتقاء التاريخي أرادت الشاعرة أَنْ تعبِّر عن حقها الثابت المسلوب في أرض فلسطين، وقد تجلى ذلك من خلال قولها: "وإني العاشق"، وجعلت الغرباء الذين سلبوها ذلك الحق رمزاً لليهود[١].

وقد أفاد الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدة "ردٌّ على رئوبين شاعر اليهود" من الاطلاع على التوراة، فجاء رده على شاعر اليهود رئوبين قوياً ومقنعاً متكئاً في كل ردوده على التوراة نفسها[٢]، يقول:[٣]

نَسَبٌ لَمْ يَضِعْ ولا فَرَّقَتْهُ ... بَابِـــلٌ أَيُّهَا اللقيطُ اللئيمُ
وَدَمٌ فِي عُـــرُوقِنَا لَمْ يُرِقْهُ ... سَوْطُ فِرْعَونَ والعَذَابُ الأَلِيمُ
يَعْلَمُ الدَّهْـــرُ أَيَّ أَهْرَامِ مِصْرَ ... ذُلُّكُم فِي صُخُـــورِهِ مَرْقُومُ

...

يَشْهَدُ (التيهُ) أَنَّكُمْ شَعْبُ إِسْرَا ... ئيل شَعْبٌ مُنْذُ الخُروجِ أَثِيمُ
يَشْهَدُ (العجلُ) أَنَّ أَلْواحَ مُوسَى ... يَومَ زِغْتُمْ أَصَابَهَا التَحَطِّيمُ

...

أي رُئوبين هَلْ قَرَأْتَ شِكسبيرَ؟ ... بَلَى، أَنْتَ شَاعِرٌ مَشْـــــؤومُ
وَشِكسبيرُ خَالِدُ القَـــــولِ فِيكُمْ ... أَمْرُ (شيلوخ) فِي الوَرَى مَعْلُومُ
غَيْرَ أَنَّ الَّذينَ مِنْـــهُم شكسبير ... تَنَاسُـــــــوا مَا قَالَ ذَاكَ العَظِيمُ

انتقى الشاعر من التاريخ "بابل" و"فرعون" و"التيه اليهودي" و"أهرامات مصر"، إلى جانب انتقائه من التراث الأدبي شخصية "شكسبير" ومسرحيته المشهورة "تاجر البندقية"، متخذاً منها ألفاظه ودلالاته، التي عبرت عن موقفه منهم، فكان رداً واعياً من الشاعر على شاعر اليهود "رئوبين"[٤].

لقد كانت الأحداث والصراعات، التي دارت بين العرب واليهود، وما تمخَّض عنها من هزائم، الدافع للشعراء والملهم لهم، حيث لجأوا إلى التراثيات ووظَّفوها لهدف اجتماعي وسياسي نبيل، أضف إلى

---

[١] محمد عبد عبدالله عطوات، الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص٦٢٥.

[٢] محمد أحمد المجالي، أثر القرآن الكريم في شعر إبراهيم طوقان، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد١١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص٣٤٠.

[٣] انظر: إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص١١٣- ١١٥.

[٤] المتوكل طه، إبراهيم طوقان دراسة في شعره، دار اللوتس للنشر، عمان، ١٩٩٢م، ص٢٧٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ذلك، تخوف الشعراء داخل الوطن المحتل من التصريح والمباشرة في ذكر اليهود. وفي هذا الحال، كان التراث هو الحل الأمثل لتفادي الأذى والاضطهاد، الذي سيقع عليهم نتيجة الرقابة الإسرائيلية الشديدة على كتابات الشعراء والأدباء والمثقفين. ومن هنا كان سبب لجوء الشعراء العرب في القرن العشرين إلى استخدام التراث، متخفيين وراء الأقنعة التراثية راجعاً إلى عاملين: الأول نفسي، والثاني سياسي. وقد ظهر ذلك بصفة جلية في الشعر السياسي خاصة[1].

ولكن ليس كلُّ الشعر الذي أدرسه من شعر الأرض المحتلة، فمعظم هذا الشعر قيل خارج فلسطين، وقاله شعراء ليسوا فلسطينيين، حيث عمد الكثير منهم – كما عمد شعراء الوطن المحتل– إلى التراث ووظفوه لهدف نبيل، وليس للتخفي وراءه، فهناك من الشعراء من جاهر في قصائده ضد اليهود، ولم يخش النتائج، وهذا واضح من خلال ما أوردته في هذه الدراسة.

ولا تكاد تخلو القصائد الوطنية والقومية، التي ذكرت اليهود وعبرت عن شخصيتهم، من ورود بعض المفردات المنتمية إلى مجموعة من الحقول الدلالية، وأشهرها:

١– حقل الظلم والموت والعذاب.

٢– حقل التحدي والمقاومة والرفض.

٣– حقل الحزن والألم.

فلقد عانى الشعب العربي عامةً والفلسطيني بصورة خاصة، من شتى أنواع الظلم والاضطهاد والدمار، التي قام بها الاستعمار الأوروبي والاحتلال الصهيوني، واستخدمها ضد هذا الشعب زاعمين أن الله قد أعطاهما الحق في قتل كل من يقف في طريقهما، يقول توفيق زيَّاد في قصيدة "المناشير المحترقة":[2]

---

[1] جابر قميحة، التراث الإنساني في شعر أمل دنقل، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٣٥.

[2] انظر: توفيق زيَّاد، ديوان توفيق زيَّاد، ص٣٧– ٤٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

-١-

...

لا يَا يَدُ الكِبْرِيتِ.. يَا شَوْهَاء..

يَا بِنْت الرَّقِيق

لا تَجْمَحِي!

فَالمَوْتُ يَزْحَفُ فِي خُطُوطِكِ والعُرُوق

لليلُ.. والظلمُ الصفيق

-٢-

يَا أَصْدِقَاء كِفَاحِنَا!

شَعْبِي يَعِيشُ عَلَى الدموع

الجرحُ فَوقَ الجرح..

فَي القلبِ المُمزَّق والضلوع

وَطَنِي.. وكُلُّ تُرَابة سمراء،

يَفْدِيهَا الجميع

سَفَكُوا دَمِي حَتَّى أَخونَ أَمَانَتِي

حَتَّى أَبِيع

يَرْمُوني بالجوعِ، والإرهاب،

والقتلِ الوضيع

...

مِنْ أجلِ هذا رُحْتُ أَحْمِل

كُلَّ ظُلْمٍ.. لا أُبَالي

وبِكُلِّ مُنْعَطَفٍ نَصَبْت

لِكُلِّ ظُلاّمِي حِبالي

وبِكُلِّ شِبْرٍ دُسْته،

نَبَتَتْ جَهَنَم مِنْ نضال

نَحْنُ الخلود!

وكلُّ عبدٍ مستبدٍّ..

للزَّوال.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

استمدَّ الشاعر ألفاظ معجمه الشعري من حقول دلالية عدة، من بينها: حقل الظلم والقتل والعذاب، حقل التحدي والمقاومة والرفض، حقل الحزن والألم. ويمكننا أنْ ندلِّل على ذلك من خلال الإحصائية الآتية:

حقلُ القتل والعذاب	حقلُ التحدي والمقاومة	حقلُ الحزن والألم
الكبريت – حَرَقُوا	يفدي-لا أخون – لا أبيع	الدموع- الجرح
الموت- الليل	نصبت لكلِّ ظلاَّمي حبالي	القلب الممزق
الظلم- سَفَكُوا دمي	نَبَتَتْ جهنم مِنْ نضال	الضلوع
الجوع- الإرهاب، القتل	نحن الخلود- لا أُبالي	
	كلُّ عبدٍ مستبدٍ للزوال	

يتبيَّن لنا من خلال الإحصائية السابقة، مقاومة الشاعر وشعبه لهذا الاحتلال، ومكافحته تلك الآفة التي زرعت في أرضنا المقدسة، ودنست ترابها الطاهر. وقد مثلت القصيدة خطاباً توجيهياً للجمهور، ليس الهدف منه بناء نص شعري فقط، وإنَّما كان تقديم رسالة لبثِّ روح الثورة والمقاومة، وإيقاظ كل من غفلت أعينهم عن مطامع اليهود في أرض فلسطين.

وهناك نموذج آخر، للشاعرة أمينة العدوان تعرض فيه ما يجري في فلسطين في ظل الاحتلال الإسرائيلي لها، حيث تقول:[1]

ستُقْتَل بَعْدَ قَلِيل، فَلا تَدْعُونَا للرَّحِيل
عَلَى المِنَصَّةِ.. تُشِيرُ بِقَبْضَتِكَ الَّتِي تَفَقَأُ
العُيونَ..
"اخْرِجوا مِنَ المدن والقرى" واطْرُدُوا كُلَّ
العَرَبِ.. وإنْ لَمْ يَرْحَلُوا اقْتُلُوهُمْ"!!
وَبِالقُوَةِ..
تَقْتَلِعُ عَيْنَ الساكِنِ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ
وَهُوَ يُمْسِكُ بِشَجَرَتِهِ.. يَرْفُضُ أَنْ

[1] انظر: أمينة العدوان، الأعمال الشعرية الكاملة ١٩٨٨م- ١٩٩٣م، ص٩١- ٩٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يَرْحَلَ..

وَكَيْفَ تُقِيمُ المذابحَ؟! هَذِهِ المذابحُ الَّتِي لا تَتَوقف!

وَجَدْتُكَ فِي دَيْرِ يَاسِينَ ، قِبْيَةَ ، وكَفْر قَاسِم..

وَكَيْفَ تَعْتَدِي عَلَى الكَنَائِسِ.. وَتَضَعُ المُتَفَجِّرَاتِ

فِي المَسْجِدِ الأَقْصَى؟!!

وَتَعْتَرِضُ المُصلِّينَ.. وَتَقْتُلُهُمْ!!

وَكَيْفَ تَهْدِمُ البُيوتَ.. وَتُصَادِرُ الأَرَاضِي..

وَتَقْتَلِعُ الأَشْجَار

سِرْتُ إِلِيكَ وَأَنْتَ تَقُول لا حُقُوق لَهُمْ!!

أَلْقُوا بِطَاقَاتِهِمْ.. ضَعُوا القُيودَ فِي أَيْدِيهِمْ..

عَلِّمُوهُمُ الانْحِنَاءَ والركوع..

سِرْتُ إِلِيكَ.. وَأَنْتَ تَقُول:

" اطْرُدُوهُمْ.. اقْتُلُوهُمْ"

اقْتُلْكَ أَنْتَ.. لا تَقْتَلِع عُيونَنَا كَقُطَّاعِ الطرق..

ارْحَلْ أَنْتَ يَا كَهَانَا

نَحْنُ لا نُرِيدُ أَنْ نَرْحَلْ

أعلن الفلسطيني تمسكه بأرضه، بكلِّ إصرار وعناد، رافضاً وجود المحتل عليها، رغم كلِّ ما لاقاه وأبناء شعبه من العذاب والطرد على أيديهم. ويمكن حصر ألفاظ الشاعرة الدلالية في قصيدتها بالآتي:

حقل القتل والعذاب	حقل التحدي والمقاومة	حقل السجن
ستُقْتَل، تَفْقَأُ العُيُون	يُمْسِك بِشَجَرَتِه	القُيود
تَقْتَلِع، المَذَابِح	يَرْفَضُ أَنْ يَرْحَل	
تَعْتَدِي، المُتَفَجِّرَات	ارْحَلْ أَنْتَ يَا كَهَانا	
تَهْدِم، تَعْتَرِض	لا نُرِيد أَنْ نَرْحَل	

نستنتج من خلال العرض المختصر لبعض ألفاظ المعجم الشعري الخاص ببعض الشعراء، المعبرة عن رؤيتهم وفكرهم لليهود وجرائمهم التي استهدفت أبناء الشعب الفلسطيني والعربي، ونضال هذا

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الشعب من أجل التخلص منهم والعودة إلى أرضه وديارهِ؛ التي هُجِّر منها رغماً عنه وبدون إرادته، نستنتج من خلال ذلك أن هناك حقولاً دلاليةً متعددةً كونت هذا المعجم الشعري، ويمكن حصرها بالآتي:

١- ألفاظ الكذب.

٢- ألفاظ العدو.

٣- ألفاظ السجن.

٤- ألفاظ التحدي والمقاومة.

٥- ألفاظ الحيوانات.

٦- ألفاظ القتل.

٧- ألفاظ الألم والحزن.

٨- ألفاظ الموت.

٩- ألفاظ الأرض (الوطن).

١٠- ألفاظ الأمراض.

١١- ألفاظ الظواهر الطبيعية.

لقد عادت ألفاظ تلك الحقول الدلالية إلى بعض الأصول الخاصة بكلِّ حقل. ولمعرفة تلك الأصول كان لزاماً عليَّ أنْ استشهد ببعض الأمثلة الدالة على تلك الألفاظ السابقة، والتي سأعرضها في الجداول

© Arabic Digital Library-Yarmouk University
© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الآتية. فقراءة المعجم الشعري لا تكون إلا بمتابعة الألفاظ التي استخدمها الشعراء في قصائدهم وترتيبها[١].

ألفاظُ الكذب
١- قالت عائشة الخواجا في قصيدة "حسَنُ الفلسطينيُّ وثورةُ الحجارةِ":[٢] كُوْشَانَ أَرْضِي زَيَّفُوهْ.. وَكَأَنَّمَا وَطَنِي مُبَاحْ.. مِلكٌ لقُرصَانٍ سَلَبْ
٢- قال رجا سمرين في قصيدة "أرفضُ العودة":[٣] عِشْتُ فِي أَكْذَبِ وَهْمٍ عِنْدَمَا أَنْكَرتُ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ مَفَاتِيحَ فِلَسْطِينَ السليبة
٣- قال وليد الأعظمي في قصيدة "إِلَى اليهودِ":[٤] لَوْلا سِياسةُ ذَاكَ العَهْدِ تُنْجِدُكُمْ بِالأَخْذِ والردِّ وَالتزويرِ والكَذِبِ لَكُنْتُمْ فِي عِدادِ الهَالكينَ كَمَا كَانَتْ (قُرَيْظَةُ) فِي المَاضِي مِنَ الحُقَبِ

(١) رايو يحياوي، شعر أدونيس البنية والدلالة: دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٨م، سلسلة الدراسات ١، ص٧٤.

(٢) عائشة الخواجا الرازم، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٣٢٥.

(٣) رجا سمرين، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٦٣.

(٤) وليد الأعظمي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٤٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ألفاظُ القتل

١- قال سميح القاسم في قصيدة "أَطْفَالُ رَفَح":[١]

لِلَّذي تَسْحَقُ دَبَابَاتُهُ وَرْدَ الحديقة

لِلَّذي يَكْسِرُ في الليلِ شَبَابِيكَ المَنَازِل

لِلَّذي يُشْعِلُ بُسْتَاناً وَمُسْتَشْفَى وَمَتْحَف

٢- قالت دلال العلمي الخالدي في قصيدة "نَادَتْ جِنينُ":[٢]

قتلُ العَذَارى في رُبُوعِ بِلادي أَضْنَى الفُؤاد وطَالَ لَيْلُ سُهادِي

فَالخِنْجَرُ الغَازي يُلاحِقُ أُمَّتِي يَفْنِي صَبَايَا الحيِّ بِالأَحْقَادِ

٣- قال محمود الأفغاني في قصيدة "أَرْضُ الفِدَا":[٣]

فَلْتَذْبَح .. وَلْتَقْتُل .. مَنْ تَشَا وَلْتُحَارِب فَوْقَ سَهْلٍ أَوْ جَبَلْ

عَنْ قَرِيبٍ.. سَوْفَ نَأْتِي، فِي غَدٍ إِنَّ يَوْمَ الثأْرِ .. آتٍ، لا جَدَلْ

٤- قالت شهلا الكيالي في قصيدة "فَلْتَزْرَع هَذِي الأَيْدِي":[٤]

يَغْتَالُ شُيوخاً وَأَطْفَالاً

وَيُمَزِّقُ أَجْسَادَ صَبَايَا

فَلْتَشْهَد صَبْرَا وَشَاتِيلا

مَنْ قَتَلَ الشيخَ النائم

مَاذَا فَعَلَ الشيخُ الصائم

وَالطفلُ الميتُ فَوْقَ ذِراع

والرأسُ بَعيدٌ مَقْطُوعة

---

[١] سميح القاسم، الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الثاني، ص١٠٠.

[٢] دلال العلمي الخالدي، ديوان الأقصى الجريح، ص٢٥.

[٣] محمود عبد الحميد الأفغاني، ديوان الأفغاني: شاعر شباب فلسطين، ص٨٢.

[٤] شهلا خليل الكيالي، ديوان كلمات في الجرح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥م، ص٤١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ألفاظُ العدو
١- قال محمود درويش في قصيدة "مَديحُ الظلِّ العَالي":[١] أَلْفُ قَذِيفَةٍ أُخْرَى وَلا يَتَقَدَّمُ الأَعْدَاءُ شِبْراً واحدا ٢- قال علي أحمد باكثير في قصيدة "إِمَّا نكون أبداً أو لا نكون أبداً ":[٢] لا صُلْحُ يَا قَوْمِي وَإِنْ طَالَ المَدَى وَإِنْ أَغَارَ خَصْمُنَا وَأَنْجَدَا ٣- قال بدوي الجبل في قصيدة "مِنْ وحي الهزيمةِ":[٣] لَنْ يَعيشَ الغَازِي وفِي الأَنْفُسِ الحقدُ عَليهِ، وفِي النفوسِ السَّعيرُ ٤- قال عبد الكريم الكرمي "أبو سلمى" في قصيدة "النَّازِحُونَ":[٤] يا " فِلسطينُ " أَيْنَ تُرْبَتُكِ العَذْرَاءُ؟! تَفْتَضُّها يدُ المُجْتَاحِ

ألفاظُ الألم والحزن
١- قال مريد البرغوثي في قصيدة "أَكَلَهُ الذئبُ":[٥] وَقَفْنَا عَلَى قَبْرِهِ خَاشِعِينَ وَمَا زَالَ يَنْزِفُ حُزْنَاً عَلَينَا وَيَنْزِفُ حُزْنَاً عَلَى شَكْلِ أَيَّامِنَا القَادِمَاتِ ٣- قال محمد مهدي الجواهري في قصيدة "فِلَسْطينُ الدَّامِيةُ":[٦] فَاضَتْ جُرُوحُ فِلَسْطِينَ مُذَكِّرَةً جُرْحَاً بِأَنْدَلُس للآنَ مَا الْتَأَمَا وَمَا يُقَصِّرُ عَنْ حُزْنٍ بِهِ جِدَّةٍ حُزْن تُجَدِّدُهُ الذكرَى إِذَا قَدُمَا ٤- قال عبد الكريم الكرمي "أبو سلمى" في قصيدة "النَّازِحُونَ":[٧] لُغَةُ الدمعِ أَمْ بَيَانُ الجِرَاحِ صَدَى اليتمِ أَوْ أَنِينُ الأَضَاحِي

---

[١] محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الثاني، ص٣٦٢.

[٢] علي أحمد باكثير، قصائد علي أحمد باكثير عن فلسطين، ص٢٣.

[٣] بدوي الجبل، ديوان بدوي الجبل، ص١٩٩.

[٤] عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، ديوان أبي سلمى (عبد الكريم الكرمي)، ص١٦٨.

[٥] مريد البرغوثي، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧م، ص٣١٠.

[٦] محمد مهدي الجواهري، الأعمال الشعرية الكاملة: المجموعة الكاملة (١- ٧)، ط٢، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٠١م، الجزء الأول، ص٢٠٨.

[٧] عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، ديوان أبي سلمى (عبد الكريم الكرمي)، ص١٦٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ألفاظُ السجن

١- قال سليمان العيسى في قصيدة "ادفن الشكوى": [١]

أَيُّهَا العَائِدُ مِنْ قَبْرِ الوَمِيضِ الأَزَلِيّ

مِنْ ظَلامِ السجنِ

مِنْ إِغْمَاءةِ السوطِ العتي

٢- قالت أمينة العدوان في قصيدة "بسام الشكعة":[٢]

لَنْ أَذْهَبَ بَعِيداً عَنْ وَطَنِي

سِجْنٌ، اعْتِقَالٌ، تَحْقِيقٌ، مُطالبةٌ بِالطردِ مِنْ نَابْلِس

٣- قال محمد القيسي في قصيدة "يُوسفُ فِي الجُبِّ":[٣]

قيَّدني إِخْوانِي وَرَمُونِي فِي الجُبِّ

قَتَلونِي بِجَوابِ الصمتْ

قَتَلوني يا حادي الركبِ لأَنِّي أَحْبَبتْ

٤- قال المتوكل طه في قصيدة "تَفْصِيلُ حَالَةٍ مِنْ جَهَنَّم":[٤]

انْتِقَالُ ظَلامِ الزمانِ المُملِّ لِعَقْلِ السجينِ

ويومُ السجينِ انتظارٌ ثقيلٌ لأَيِّ انْبِلاجٍ..

وكلُّ سجينٍ يُقَولِبُ سَاعَاتِهِ لانتظارِ الخلاص،

---

[١] سليمان العيسى، ديوان أعاصير في السلاسل، ص٤٣.

[٢] أمينة العدوان، الأعمال الشعرية ١٩٨٢م- ١٩٨٨م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٩م، ص٦٨.

[٣] محمد القيسي، الأعمال الشعرية، الجزء الأول، ص٥١.

[٤] المتوكل طه، الأعمال الشعرية، ص٤٧٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ألفاظُ الموت

١- قالت أمينة العدوان في قصيدة "لا يَمُوتُونَ":[١]

لَكِنْ مَنْ يَسْتَطِيع

يَجْعَل مِنْ كَلِمَاتِهِ

مَوتاً، قَبْراً، نَعْشَاً

٢- قال شهلا الكيالي قصيدة "فَلْتَزْرَع هَذِي الأَيدي":[٢]

والطفلُ الميتُ فَوقَ ذراع

والرأسُ بعيداً مقطوعة

سَقَطَتْ أشلاء ودماء

...

فالموتُ الأحمرُ قَدْ أَقْبَل

يملأُ صبرا وشاتيلا

٣- قال حسني فريز في قصيدة "أسكراتي":[٣]

نَحْنُ لا نَبْكِي عَلَى القَتلى بِغَيرِ الهَمْهَمَات

نَحْنُ لا نَحْزَنُ للغرقى ولا للثاكلات

نَحْنُ لا نَأْسَى عَلَى الأَشْلاءِ فِي عَرضِ الفَلاة

---

[١] أمينة العدوان، الأعمال الشعرية ١٩٨٢م- ١٩٨٨م، ص٨٣.

[٢] شهلا الكيالي، ديوان كلمات في الجرح، ص٤٢.

[٣] حسني فريز، الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٨٥.

أسكراتي: هو نائب الكونت برنادوت تزوّج مِنْ عضو الوكالة اليهوية شوشانا تموز ١٩٤٨م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٢- قال (موسى شعيب) في قصيدة "نِداء":[١]

قُمْ يَا أَخي للثَّأْرِ واخْلَع عَنْكَ أثوابَ الجُنُود
عارٌ عَلَيْنَا أَنْ نَنَامَ وفِي فِلَسْطِينَ اليهود

٣- قال إيليا أبو ماضي في قصيدة"فِلَسْطِينُ":[٢]

فإنْ تَطْلُبُوهَا بِسُمْرِ القَنَا نَرِدْكُـــــمْ بِطِوالِ القَنَا
فَفِي العربيِّ صِفاتُ الأَنَامِ سِوى أَنْ يَخَافَ وأَنْ يُجْبَنَا
نَصَحْنَاكُمْ فَارْعَووا وانْبَذُوا "بلفــور" ذَيَّالكَ الأَرْعَنَا

٤- قال توفيق زيَّاد في قصيدة "مِنْ وَرَاءِ القُضْبَان":[٣]

ليَ من هوى شعبي،
ومِنْ حُبِّ الكفاح، ومِنْ صمودي
عزم .. تسعَّر في دمي
ناراً على الخطب الشديد

٥- قال علي أحمد باكثير في قصيدة "نَشِيدُ حَرْبِ الفِدَاء":[٤]

تَطَايَرِي كالنَّارِ في الهَشِيمْ
لِتَقْذِفِي بالمُعْتَدِي الأَثِيمْ
وَدَوْلَةَ المُغْتَصِبِ الزَنِيمْ
إِلى الجَحِيمْ

---

[١] موسى شعيب، المجموعة الشعرية، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨١م، ص٣٤.

[٢] إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٧٩٢.

[٣] انظر: توفيق زيَّاد، ديوان توفيق زيَّاد، المجلد الأول، ص١٠٢- ١٠٣.

[٤] علي أحمد باكثير، قصائد علي أحمد باكثير عن فلسطين، ص٤٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ألفاظُ الأرض (الوطن)

١- قال فاروق مواسي في قصيدة "أسماكُ القرش":[١]

يطوفُ في باقَةَ في الشَّوارعْ
ويقذفُ القنابلَ الّتي تُهيِّجُ المَدامعْ
تُهاجمُ الأطفالَ في المَدارسْ
شِراسَةُ الأوغادِ، تَقْحَمُ الجَوامعْ

٢- قال عبد الفتاح عبد العال في قصيدة "حِرْمَانٌ وَفِدَاء":[٢]

لقد سلبُوا بيْتِي
وزيتُوني وزيْتِي
وحاكورة كنت ازرعها أنا وبنتي
وتركونا في العراء

٣- قالت فدوى طوقان في قصيدة "نِدَاءُ الأَرْضِ": [٣]

أتُغْصَبُ أَرْضِي؟ أَيُسْلَبُ حقي وأَبْقَى أَنَا
...
أَأَبْقَى؟ وَمَنْ قَالَها؟ سَأَعُودُ لأَرْضِي الحَبِيبة
بَلَى سَأَعُودُ، هُنَاكَ سَيُطْوَى كِتَابُ حَيَاتِي
سَيَحْنُو عَلَيَّ ثَرَاهَا الكريم ويُؤوي رُفَاتِي

٤- قال نزار قبّاني في قصيدة " قِصَّةُ رَاشِيل شوارزنبرغ": [٤]

مِنْ آخرِ الأَرْضِ، مِنَ السَّعيرْ
جَاؤوا إِلَى مَوْطِنِنَا المُسَالِمِ الصَّغِيرْ
فَلَطَّخُوا تُرَابَنَا

---

[١] فاروق مواسي، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص١٣٤.

[٢] عبد الفتاح رمضان عبد العال، ديوان نداء الأقصى، ص٤١.

[٣] فدوى طوقان، ديوان فدوى طوقان، ص٦.

[٤] انظر: نزار قبّاني، الأعمال السياسية الكاملة، المجلد الثالث، ص٣١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ألفاظُ الحيوانات

١- قال عبد الوهاب البياتي في قصيدة "العربُ اللاجئون":[١]

يَا مَنْ رَأَى أَحْفَادَ عَدْنَانِ عَلَى خَشَبِ الصليب

مُسَمَّرِين

النملُ يَأْكُلُ لَحْمَهُمْ

وَطُيورٌ جَارِحَةُ السنين

٢- قالت عائشة الخواجا في قصيدة "صائد الذُّباب":[٢]

فيا غرابَ البينِ أنتَ..

ماذا فَعلتَ بالأحبابْ..

٣- قال عبد الفتاح عبد العال في قصيدة "حرمان وفداء":[٣]

لقد باغتتنا وآذتْنا

كلابُ الإثمِ والكفرِ

لكنَّنا تصدّينا وتحدّينا

الذئابَ والثعالبَ والكلابَ

٤- قال موسى شعيب في قصيدة "نِداء":[٤]

إِنِّي لأَعجبُ كَيْفَ قُدِّرَ للثعالبِ أَنْ تسود

وهُناكَ رابضةٌ أرَى في الغابِ الآفَ الأُسود

٦- قال إدريس الجائي في قصيدة "حيُّوا الكنانة في أعزّ نبالها":[٥]

قُومُوا اطْرُدُوا صَهْيُونَ عَنْ أَوْطَانِنَا مِنْهُم كَرهْنَا أَعْوراً وَأَصلّعا

وَبَنُو الأَفَاعِي اسْتَعْمَرُوا جَنَّاتِنَا قُومُوا لِنُكْنِسِهَا الأَفَاعِي أَجْمَعَا

---

[١] عبد الوهاب البيَّاتي، ديوان عبد الوهاب البيَّاتي، ص٦١٤.

[٢] عائشة الخواجا الرازم، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢١٣.

[٣] انظر: عبد الفتاح رمضان عبد العال، ديوان نداء الأقصى، ص٤١-٤٢.

[٤] موسى شعيب، المجموعة الكاملة، ص٣٤.

[٥] إدريس الجائي، السوانح، المطبعة الملكية، الرباط، (د.ت)، ص٨٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ألفاظُ الأمراض والظواهر الطبيعية

١- قال نزار قبَّاني في قصيدة " قِصَّةُ رَاشيل شوارزنبرغ":[١]

تغصُّ بالجِرذانِ، والطاعونِ، واليهودْ

٢- قال سليم الزعنون في قصيدة "يا رَبُّ":[٢]

يَا رَبُّ هَلْ تَرْقَى وتَحْيَا أُمَّةٌ بِتَخَالُطِ الأَمْرَاضِ بِالأَدْوَاءِ

٣- قالت فدوى طوقان في قصيدة "مدينتي الحزينة":[٣]

يَوْمَ الإِعْصَارِ الشيطانيُّ طَغَى وامْتَدَّ

يَوْمَ الطوفانِ الأَسْوَدْ

لَفَظتهُ سَواحِلُ هَمَجيه

للأَرْضِ الطيبةِ الخضراء

٤- قال هارون هاشم رشيد في قصيدة "عائدٌ مِنَ الميدان":[٤]

أَنَا كَالبُرْكَانِ قَدْ فَجَرْتُهَا فَوْقَ رَأْسِ الظالِمِ المُغْتَصِـــبِ

٥- قال محمود حسن إسماعيل في قصيدة "وَجِئْتُ أُصلِّي":[٥]

وَجِئْتُ أُصلِّي

.. ورَغْمَ انْدِلاعِ الدُّجى، كالبراكينِ حَولي،

ورَغْمَ الأعاصيرِ تَرمي خُطاها سَفْحِي وجرحي،

وأَتَيْتُ أُصلِّي!

٦- قال عدنان النحوي في قصيدة "وردةٌ ودماء":[٦]

كالرَّعْدِ من "دبَّابَةٍ" جَمَحَتْ بِهَا سُنَنُ الهَلاكِ وغَضْبَةُ الأَقْدَارِ

هاجَتْ بَرَاكينُ الهَلاكِ وَوَلْوَلَتْ وَتَنَاثَرتْ حُمَاهُ في إِعْصَارِ

وتَشُقُّ أَجْوَاءَ الفَضَاءِ مَطِيَّةٌ كالبَرْقِ رَدَّ مُشَتَّتَ الأبصار

---

[١] نزار قبَّاني، الأعمال السياسية الكاملة، المجلد الثالث، ص٣١

[٢] سليم الزعنون، ديوان يا أُمَّة القدس، ص١٦٣.

[٣] انظر: فدوى طوقان، ديوان فدوى طوقان، ص١٧.

[٤] هارون هاشم رشيد، ديوان هارون هاشم رشيد، ص٦٧.

[٥] محمود حسن إسماعيل، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الثالث، ص١٦٢.

[٦] انظر: عدنان علي رضا النحوي، ديوان جراح على الدرب، ص٧٨- ٧٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لقد استخدم الشعراء العرب بعض الألفاظ (الكلمات)، التي تكرَّرت لمرات عديدة في القصيدة الواحدة، حاملةً الدلالات نفسها، وأحياناً قد تنحرف الدلالة المعجمية لهذه الكلمات إلى دلالات أخرى، تتناسب في مدلولها الجديد مع الحالة التي يريد الشاعر التعبير عنها أو الموقف الذي يتبناه، ففي الحقل الدلالي لألفاظ القتل والعدو والسجن نرى الشاعر قد حاول أن يوضح للمتلقي سياسة الاحتلال، وما يقوم به المحتل ضد الشعب الفلسطيني من ممارسات إجرامية، كل ذلك بغية السيطرة على الأرض وابتلاع خيراتها، على حساب قتل الآخرين وانتهاك حرماتهم. وهو – من وجهة نظر اليهود- السبيل الوحيد والأمثل الذي لا مفر منه للحصول على ما يريدون.

كما استخدم الشعراء الألفاظ المعبرة عن الحزن والألم، حيث جاءت في صيغ مختلفة، للتدليل على المعنى المراد من ورائها. وقد كانت الغاية من إيراد تلك الألفاظ في قصائد الشعراء المصورة لليهودي، البوح بمشاعره تجاهه وأحاسيسه وآلامه؛ نتيجة التوجع والألم والحزن لما لاقاه وشعبه – وما يزال- من ألوان العذاب والجراح على مر الحقب الماضية.

وفي سبيل استثارة الشعوب العربية ضد الاحتلال لجأ الشعراء العرب إلى استخدام مفردات توحي بالثورة والمقاومة، فأخذوا يطلقون عبارات الحماسة والتشجيع، التي يستطيعون من خلالها أن يظهروا للمتلقي موقفهم من اليهود، ورفضهم لوجودهم على أرضهم، سواء أكان الشاعر فلسطينياً أم غير ذلك. ومن وجهة نظري فإن الكلمة هي سلاح الشاعر الوحيد، الذي يشهره في وجه اليهود وكل من يحاول أنْ يعتدي على أرضه ومقدساته؛ فالكلمة هي أقوى أنواع الأسلحة، وأشدها فتكاً وتأثيراً في اليهود.

وكما نلاحظ في الأمثلة الشعرية السابقة، نرى هؤلاء الشعراء قد جنحوا لاستخدام الألفاظ المستمدة من الحقل اللأيديولوجي، أو الوطن، وتقتحمه رموز مشتركة أصبحت حقاً لدى كل شاعر كالرمز بالمرأة للأرض، والوطن... والفائدة المتوخاة من هذا التعامل مع الألفاظ: هي أن يبيح الشاعر حرية التشكيل؛ إذ

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إنَّ الألفاظ في هذا النوع من الشعر تستحيل إلى وسيط مادي، إلى ألوان، أو إلى رخام يصلح للنحت، وتبعاً لذلك يكون الشاعر مسؤولاً عن تطويع هاتيك المادة لإنتاج شيء جديد[1].

تركيب الجملة الشعرية:

من يتأمل الشعر العربي، يلحظ نوعين من التراكيب، التي يلجأ إليها الشعراء لصياغة جملهم الشعرية، فتارةً يختار الشاعر تركيباً كاملاً في الشطر الواحد، مع استخدامه بعض حروف الربط " كحروف العطف مثلاً"، ليعطف تركيباً على آخر. وتارةً أخرى يعلق الشاعر الشطر الأول بالشطر الثاني بمتعلق ما، ومثال ذلك، قول الشاعر علي محمود طه في قصيدة "يوم فلسطين":[2]

لَكِ الشَّرْقُ يَا مَهْدَ القَدَاسَةِ وَالهُدَى ... قُلُوباً تُلَبِّي فِي خُشُوعٍ وَإِجْلالِ
لَكِ الشَّرْقُ يَا أَرْضَ العُرُوبَةِ وَالعُلَى ... شُعُوباً تُفَدِّي فِيكِ مِيرَاثَ أَجْيَالِ

نرى أنَّ الشاعر قد عمد إلى التراكيب شبه المطابقة، حيث طابق بين تركيب الشطر الأول من البيت وتركيب الشطر الثاني، على النحو الآتي:

الشطر الأول من البيت الأول يطابق الشطر الأول من البيت الثاني، وذلك على النحو الآتي:

لَكِ الشَّرْقُ يَا مَهْدَ القَدَاسَةِ وَالهُدَى ⟵ لَكِ الشَّرْقُ يَا أَرْضَ العُرُوبَةِ وَالعُلَى

وطابق الشطر الثاني من البيت الأول الشطر الثاني من البيت الثاني، كالآتي:

قُلُوباً تُلَبِّي فِي خُشُوعٍ وَإِجْلالِ ⟵ شُعُوباً تُفَدِّي فِيكِ مِيرَاثَ أَجْيَالِ

---

[1] إبراهيم خليل، البعد اللغوي في الشعر الأردني الحديث (البعد الدلالي)، مجلة أفكار، وزارة الثقافة والإعلام، عمان، العدد (٨٩-٩٠)، ص٩٠.

[2] علي محمود طه، ديوان علي محمود طه، دراسة وتقديم وتحقيق سمير بسيوني، مكتبة جزيرة الورد، شارع محمد عبده أمام الباب الخلفي لجامعة الأزهر، ٢٠٠٩م، ص٤٠٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وفي قصيدة "يا أُمَّتي..!" للشاعر محمد الحلوي، عمد الشاعر إلى تعليق شطري البيت الواحد ببعضهما البعض، حيث يقول: [1]

مَأْسَاةُ يَعْرُبَ مِحْنَةٌ تُنْسَى بِهَا المِحَنُ السَّوابِق!
أَوْدَى بِوِحْدَتِهَا الخلا فُ وَعَشَّشَتْ فِيهَا الفَوارِق
وَهُمُومُهَا بَحْرٌ تجد فِي دُجَاهَا بِلا زَوَارِق!

...

وَجِرَاحُهَا فِينَا عَمِيقَا تٌ وَذِكْرَاهَا حَرَائِق
وَشَبَابُنَا فِي القُدْسِ صَرْ عَى بِالحِصَارِ وَالبَنَادِق
كَمْ جَرَّعُوا صَهيونَ صَا بَا لَمْ يَذُقْهُ أَيَّ ذَائِق!

ولقد لجأ الشعراء، في حديثهم عن اليهود وصراعهم المستمر معهم، إلى الأفعال الثلاثة: الماضي، المضارع، الأمر، التي وظفها الشاعر ضمن دلالات واضحة في قصيدته. فها هو الشاعر راشد حسين في قصيدته "أزهار من جهنم"، يعبِّر عن الزمن الماضي بصيغة الفعل الماضي، مشيراً إلى ما حصل في فلسطين من ظلم وقتل، فيقول:[2]

فِي الخِيامِ السُّودِ، فِي الأَغْلالِ، فِي ظِلِّ جَهَنَمْ
سَجَنُوا شَعْبِي، وَأَوْصُوهُ بِأَلاَّ يَتَكَلَّمْ
هَدَّدُوهُ بِسِياطِ الجُنْدِ، بِالموتِ المُحَتَّمْ
أو بِقَطْعِ اللقمةِ النتنةِ، إِنْ يوماً تألمْ

فمن الأفعال الماضية التي جاءت في الأبيات السابقة: سَجَنَ، هَدَّدَ، قَطَعَ، تَأَلَّمَ. وقد أشارت إلى واقع انقضى، ولكنَّه ترك أثراً في نفسية الشاعر.

---

[1] محمد الحلوي، الأعمال الشعرية، الجزء الأول، ص ١٤٧.

[2] راشد حسين، ديوان راشد حسن، ص٢٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي قصيدة "فلسطين الجريحة" للشاعر أحمد محرم، لجأ إلى تقسيم القصيدة إلى ثلاث صيغ من الأفعال: الفعل الماضي، المضارع والأمر، يقول:[1]

جَرَى الدَّمُ يَسْعَى فِي دِيَارِك وَاغِلاً ... مِنَ البغي، لا يَرْضَى سِوى الدَّمِ مَوْرِدا
تَجَرَّعَـهُ نَاراً ، وَكَانَ يَظُنُّـــهُ ... رَحِيقاً مُصَـــفًّى، أو زُلالاً مُبَـرَّدا
كَذَلِكَ يُشْقِي (وعدُ بِلفورَ) مَعْشَـراً ... مَناكيدَ، لاقوا مِنْهُ أَشْقَى، وأنْكَـدا
نفتْهُمْ فِجاجُ الأرضِ مِنْ سُوءِ ما جَنُوا ... فَجَاءُوا عَلَـى ذُعْـرٍ عَباديدَ شُـرَّدا

الأفعال الماضية هي: جَرَى، تَجَرَّعَ، لاقَى، نَفَى، جَنَى، جَاءَ.

أمَّا في القسم الثاني من القصيدة، فقد لجأ الشاعر إلى الفعل المضارع، للحديث عن أهداف اليهود، وما يطمحون إلى تحقيقه على أرض فلسطين، وذلك من خلال قوله:[2]

يُرِيـدُونَ مُلْكاً فِـي (فِلَسْطِـينَ) بَاقِياً ... عَلَى الدَّهرِ، يَحْمِي شَعْبَهُمْ إِنْ تَمَرَّدا
يُدِيـرُونَ فِـي تَهْـوِيدِها كُـلَّ حِيلةٍ ... وَيَأْبَـى لَـهَا إِيمَانُـهَا أَنْ تُهوَّدا
...
أَفِي (المسجدِ الأَقْصَى) يَعِيثُ الأُلي أبَوا ... سِوى المَال طُولَ الدَّهْرِ رَبَّاً وَمَسْجِدا؟
...
أَيُمْسِـي (عبيدُ العجـلِ) للنَّاس سـادةً ... وما عَـرَفوا مِنْهُمْ عَلَى الدَّهْـرِ سيّدا؟

الأفعالُ المضارعةُ هي: يُرِيدُ، يَحْمِي، يُدِيرُ، يَأْبَى، يَعِيثُ، يُمْسِي. وقد حاول الشاعر من خلال صيغة المضارع أن يكشف عن خبايا نفسيته؛ ليعبِّر عمَّا ينتابه من مشاعر وأحاسيس في خضم الصراع الداخلي الذي اكتنفه. واستخدام الشاعر لصيغتي الماضي والمضارع جاء هادفاً متكاملاً في صورة فنية جميلة، ففي الماضي عرض الشاعر للمتلقي شريطاً سينمائياً لما يدور على أرض فلسطين، وانتقاله لصيغة المضارع تأكيد على أنَّ هذا الواقع ما زال الشعب الفلسطيني يعيش فيه.

---

[1] انظر: أحمد محرم، ديوان الأقصى الحزين، ص٧٢- ٧٣.

[2] انظر: المصدر نفسه، ص٧٣- ٧٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وفي ختام القصيدة، عمد الشاعر إلى فعل الأمر، موجهاً خطابه لليهود، معلناً مقاومته ورفضه لذلك الاحتلال على أرض فلسطين، فيقول:[1]

فَقُلْ لِحُمَاةِ الظُّلمِ مِنْ حُلَفَائِهِمْ لَنَا العَهْدُ نَحْمِيهِ، وَنَمْضِي عَلَى هَدَى
نَرُدُّ عَلَى آبَائِنَا مَا تَوَارَثَتْ قَوَاضِبُهُمْ، لا نَتَّقِي غَارَةَ العِدَى

فالشاعر يؤكّد أنّه لا يهاب العدو الصهيوني مهما تمادى في غيه وجبروته ضد أبناء الشعب الفلسطيني. وما هذا التمادي إلاّ دافع للمقاومة ورد العدوان الذي استهدف الأرض والشعب. فالشاعر في هذه الصيغ يريد أنْ يذكر من خلال الفعل الماضي بالغضب واليأس الذي أصاب الأمة العربية، ومن تم يتبع الماضي بالحاضر؛ ليؤكّد استمرارها. ومع ذلك، فالشاعر لا يفقد الأمل، فلا بدَّ من الخروج من حالة الشعور باليأس والضياع، فهو في الأمر يدعو إلى الفعل لتغيير الواقع وتأكيد الذات والخلاص من هذا النفق المظلم.

وعن الممارسات الصهيونية، التي تحصل على أرض الواقع في فلسطين، يستخدم الشاعر فاروق مواسي في قصيدة "أسماكُ القرش" الفعل المضارع، ليعرض للمتلقي الأحداث اليومية التي يمرُّ بها الشعب الفلسطيني، فيقول:[2]

يَطوفُ في باقَةَ في الشَّوارِعْ
وَيَقْذِفُ القَنابِلَ الَّتي تُهَيِّجُ المَدامِعْ
تُهاجِمُ الأَطْفَالَ في المَدارِسْ
شَراسَةُ الأوغادِ، تَقْحَمُ الجَوامِعْ
عِصِيُّهُم سِلاحُهُمْ، وَنَقْمَةُ الغضبْ
تُلاحِقُ الكِبارَ والصِّغارْ

يمكن حصر الأفعال المضارعة في المقطع الشعري السابق بالآتي: يَطوفُ، يَقْذِفُ، تُهَيِّجُ، تُهَاجِمُ، تَقْحَمُ، تُلاحِقُ.

---

[1] أحمد محرم، ديوان الأقصى الحزين، ص٧٥.

[2] فاروق مواسي، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص١٣٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي مرحلة التطلع إلى الحرية والمقاومة، لجأ الشعراء إلى استخدام الفعل المضارع، الذي يقترن بالسين أو سوف. وكأنَّ هذا التطلع مرهون بزمن معين. وتتجلَّى تلك الأفعال الموحية بالمستقبل، والنتيجة التي سيؤول إليها الاحتلال في نهاية المطاف، يقول محمود درويش في قصيدة "الأرض":[1]

سَنَطْرُدُهُمْ مِنْ إِناءِ الزهورِ وَحَبْلِ الغَسيل
سَنَطْرُدُهُمْ عَنْ حجارةِ هَذَا الطريقِ الطويل
سَنَطْرُدُهُمْ مِنْ هَواءِ الجليل

يتحدَّى الشاعر اليهود الصهاينة بصوت الجماعة، مستخدماً الفعل المضارع المقترن بالسين، ليدل على المستقبل القريب، وما ينتظر اليهود من الهزيمة. ولكن حرف السين أعطى الفعل مدلولاً موحياً بأنَّ ذلك الحدث مقترن بظروف معينة، وبزمن محدد، حيث أوضح لنا الشاعر أن هذا الفعل لن يتحقق بسبب الظروف غير المواتية، التي يعيشها أبناء شعبه[2].

والجملة في القصيدة غالباً ما تكون إما إنشائية، "طلبية"، وهي التي تستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وتأتي بعدة أنواع، كالأمر أو النهي أو الاستفهام، أو التمني أو الدعاء، أو غير طلبية، التي لا تستدعي مطلوباً، ويأتي بعدة أساليب، كالقسم أوالمدح أوالتعجب...إلخ"[3]، وقد تأتي الجملة في القصيدة خبريةً، تؤكد بمثل الأدوات الآتية: إن، السين، قد، القسم، نونا التوكيد الخفيفة والثقيلة، أحرف التنبيه، إما الشرطية، لام الابتداء[4].

---

[1] انظر: محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص٣١٦- ٣١٧.

[2] ناصر فهد علي، بنية القصيدة في شعر محمود درويش، ص٩٦.

[3] انظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية: علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م، ص٧٥- ٧٦.

[4] المرجع نفسه، ص٥٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ومن النماذج الشعرية لهذه الجمل:

- **النموذج الأول:**

قال الشاعر عبد الرحمن العشماوي في قصيدة "لا تقولوا":[1]

لا تَقُولُوا: دَمُ أَقْصَانَا جَمَدْ
لا تَقُولُوا:
ذِهْنُهُ مِنْ شِدَّةِ الهَوْلِ شَرَدْ
لا تَقُولُوا:
نَهْرُنَا الجاري رَكَدْ
سَاخِنُ العَزْمِ بَرَدْ
...

- **النموذج الثاني:**

قالت الشاعرة زينب حبش في قصيدة "حوار عائلي":[2]

لِمَاذَا يُرِيدُونَ رَأْسِي
لِمَاذَا؟!
لأَنَّ بِرَأْسِكَ يَا نُورَ عَيْنِي
جَوَاهِرَ تُبْهِرُ أَبْصَارَهُمْ
لِمَاذَا يُرِيدُونَ أَنْ يَفْقَأُوا مُقْلَتَيَّ؟!
لأَنَّ العَصَافِيرَ يَا رُوحَ قَلْبِي
تُعَشِّشُ فِي مُقْلَتَيك

- **النموذج الثالث:**

قال الشاعر سميح القاسم في قصيدة "٣٠ آذار":[3]

أَيْنَ سخْنِين. عرَّابة. كَفر كَنَّه؟
أَيْنَ بَحْرُ البَقَرِ؟
أَيْنَ يَا إِخْوَتِي دَيْرُ يَاسِين أَوْ كَفْرُ قَاسِم؟

---

[1] عبد الرحمن بن صالح العشماوي، ديوان القُدْس أنت، ص٣٧.

[2] زينب حبش، الجرح الفلسطيني وبراعم الدم (شعر)، مطبعة دار الكتاب، (د.م)، ١٩٩٤م، ص٥٢.

[3] سميح القاسم، الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الثاني، ص٣٤٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أَيْنَ يَا إِخْوَتِي نُورُ الشمس؟
أَيْنَ يَا إِخْوَتِي عَيْنُ جَالُوت أَوْ مَيْسَلُون؟
أَيْنَ؟

- **النموذج الرابع:**

قالت الشاعرة فدوى طوقان في قصيدة "مدينتي الحزينة":[1]

صَدِيقِي الغَرِيب
لَوْ أَنَّ طَرِيقِي إِلَيكَ كَأَمْسِ
لَوْ أَنَّ الأَفَاعِي الهَوَالِكَ لَيْسَتْ
تُعَرْبِدُ فِي كُلِّ دَرْبِ
وَتَحْفُرُ قَبْرَاً لأَهْلِي وَشَعْبِي
وَتَزْرَعُ مَوْتَاً وَنَارْ
...
لَكُنْتُ إِلَى جَنْبِكَ الآن عِنْدَ
شَوَاطِيء حُبِّكَ أُرْسِي
سَفِينَةَ عُمْرِي
لَكُنَّا كَفَرْخَي حَمَامْ...

إذا تأملنا النماذج الشعرية السابقة، نجد الشعراء في صياغتهم لجملهم قد استخدموا الأسلوب الإنشائي بنوعيه: الطلبي وغير الطلبي، فتارةً يلجأ الشاعر إلى استخدام النهي، كما في النموذج الأول، حيث نصح الشاعر مخاطبيه ألاَّ يقولوا: إنَّ الأقصى قد أصبحت الدماء فيه جامدةً، وطلب منهم أَنْ يكفوا عن قول ذلك، فجاء النهي بصيغة واحدة وهي صيغة الفعل المضارع مع لا الناهية "لا تقولوا". وقد خرج النهي عن معناه الحقيقي إلى معنى التمني.

وقد استخدم الشعراء أسلوب الاستفهام بأداوته المختلفة، فلجأوا إلى أدة الاستفهام "لماذا"، بالإضافة إلى غيرها من أدوات الاستفهام، كـــ :"من، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأي"، يطلب بها

---

[1] انظر: فدوى طوقان، ديوان فدوى طوقان، ص٤٨٥– ٤٨٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

التصور والتخيل فقط، ولذلك يكون الجواب معها[١]، وهذا ما نلاحظه في النموذجين: الثاني والثالث. أمَّا النموذج الرابع، فقد لجأت الشاعرة إلى استخدام أسلوب التمني، وطلب حصول شيء محبب لديها. وباستخدامها أداة التمني "لو" فإن الشاعرة ترغب في إبراز الشيء الذي تتمنى حدوثه، واستحالته في الوقت نفسه. والغرض البلاغي من استعمال أداة "لو" في التمني، هو أنْ تُشعر المتلقي بعزة المتمنى وقدرته؛ لأنَّ المتكلم يظهره في صورة الممنوع، إذ إن "لو" تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط[٢].

أمَّا الجمل الخبرية، فهي كما يقول البلاغيون: "احتمال الخبر للصدق والكذب إنَّما يكون بالنظر إلى مفهوم الكلام الخبري ذاته، دون النظر إلى المخبر أو الواقع، ولكل جملة من الجمل الخبرية ركنان أساسيان: المسند إليه "محكوم عليه"، والمسند "محكوم به"[٣]. ومثال تلك الجمل، ما جاء في قول عبد الوهاب البياتي في قصيدة "المغول":[٤]

إِنَّهُ الطَّاعونُ
حَاصَرَ "قَنْدَهَارَ"
وَحَاصَرَ المُدنَ الَّتِي ذُكِرَتْ
بِأَسْفَارِ اليهودِ

لقد أكَّد الشاعر خبره بـــ "إنَّ" المكسورة الهمزة المشددة النون، وفائدتها في الجملة التأكيد على مضمونها[٥]. ومن الشعراء الآخرين الذين لجأوا إلى استخدام حرف السين للتأكيد على الخبر، الشاعرة فدوى طوقان، حيث تقول في قصيدة "نداءُ الأرضِ":[٦]

---

[١] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، ص١٠١.

[٢] المرجع نفسه، ص١٢٤.

[٣] المرجع نفسه، ص٤٩.

[٤] عبد الوهاب البيَّاتي، ديوان عبد الوهاب البيَّاتي، المجلد الثاني، ص٥١٨.

[٥] يوسف عطا الطريفي، معاني الحروف ومخارجها وأصواتها في اللغة العربية، ط٢، وزارة الثقافة، عمان، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ص٦٢.

[٦] فدوى طوقان، ديوان فدوى طوقان، ص٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سَأَرْجِعُ لا بُدَّ مِنْ عَوْدَتِي
سَأَرْجِعُ مَهْمَا بَدَتْ مِحْنَتِي
وَقِصَّةَ عَارِي بِغَيْرِ نِهَايَة
سَأُنْهِي بِنَفْسِيَ هَذِي الرِّوَايَة

فإذا نظرنا إلى المقطع السابق وجدنا أن الشاعرة لا تقصد من وراء الخبر الفائدة، بل خرجت به إلى غرض آخر، يفهم من سياق الكلام؛ حيث لجأت من خلال استخدامها حرف السين مع الفعل المضارع إلى التعبير عن مقاومتها وسعيها المتواصل في سبيل استرجاع ما سلب منها ومن شعبها. فالسين "إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنَّه واقع لا محالة، ووجه ذلك أنَّها تفيد الوعد أو الوعيد بحصول الفعل، فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتض لتوكيده وتثبيت لمعناه"[1].

نستنتج مما تقدم أنَّ الشعراء قد صنفوا جملهم الشعرية إلى إنشائية وخبرية، وكان البعض منهم يميل إلى تغليب أحد النوعين على الآخر، ولكنهم جمعوا في أشعارهم بين الصنفين بتفاوت بينهم، ويلاحظ في تغليب الشعراء للجمل الخبرية على الإنشائية ميل مطلق إلى إثبات تلك الجمل وتأكيدها، سواءً أكانت الجمل الخبرية فعلية أم اسمية، وفي هذا الميل رغبة لديهم لإثبات هويتهم وقوميتهم وحقهم الذي سلب منهم رغم إرادتهم. لذا نوَّع الشاعر العربي بين الجمل الخبرية والجمل الإنشائية في بعض قصائده؛ لما للجمل الخبرية من دور في التأكيد والتقرير على فكرة الشاعر، ولما للجمل الإنشائية من دور في إثارة ذهن المتلقي ومشاعره وأحاسيسه.

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، ص٦٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الرمز:

يُعدُّ الرمز وسيلةً من الوسائل الفنية، التي كان لها دور هام في الشعر؛ حيث يعمد من خلاله الشاعر إلى الإيحاء والتلميح والابتعاد عن المباشرة والتصريح. و "هو الدلالة على ما وراء المعنى الظاهر، مع اعتبار المعنى الظاهر مقصوداً"[١].

والرمز في الشعر العربي هو لجوء الشاعر عندما يريد أن يعبر عن مشاعره وتجاربه الخاصة إلى الرموز[٢]. وهو "يتيح لنا أن نتأمل شيئاً آخر وراء النص، فالرمز هو قبل كل شيء، معنى خفي وإيحاء. إنه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة أو هو القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة"[٣].

وفي سبيل تحديد ماهية الرمز، فقد قام بعض الباحثين بتعريفه وتوضيح أهميته في الشعر، فهو "لمحة من لمحات الوجود الحقيقي يدل عند الناس، ذوي الإحساس الواعي، على شيء من المستحيل أن يترجم عنه بلغة عقلية، دلالته تقوم على يقين باطني مباشر"[٤]، وهو يقوم على: "اكتشاف نوع من التشابه الجوهري بين شيئين اكتشافاً ذاتياً غير مقيد بعرف أو عادة. فقيمة الرمز الأدبي تنبثق من داخله ولا تضاف إليه من الخارج"[٥].

من خلال التعريفات السابقة، نستنتج أنَّ الرمز ظاهرة فنية ملفتة للأنظار، وكثُر استخدامها في الشعر العربي الحديث، ما يجعل من القصيدة التي يرد فيها مجالاً ملفتاً للغوص في أعماقها، واستخراج رموزها، وتفسير ما توحي به تلك الرموز، بعد بذل الكثير من الجهد والتركيز؛ لفهم كيان القصيدة

---

[١] إحسان عباس، فن الشعر، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ص٢٠٠.

[٢] هاشم صالح مناع، القضايا القومية في شعر المرأة الفلسطينية منْ سنة ١٩٤٨م إلى ١٩٧٤م: دراسة موضوعية وفنية، (د.ن)، (د.م)، ١٩٨٠م، ص٢٢١.

[٣] أدونيس، زمن الشعر، ص١٦٠.

[٤] مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، ط٢، دار الأندلس للطباعة والنشر، (د.م)، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٤م، ص١٥٣.

[٥] محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ط٣، دار المعارف بالقاهرة، ١٩٨٤م، ص٣٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإيحاءاتها الدلالية، فالرمز يهدف إلى تقديم وظيفة إشعاعية في النص؛ إذ إننا فور قراءتنا له نستدعي من ذاكرتنا ما يقترن به من ظلال وإيحاءات ودلالات، بالإضافة إلى استحضار مرحلة تاريخية مقترنة به في بعض الأحيان[١].

ويلاحظ أنَّ هناك علاقةً وثيقةً بين الشعر والرمز، منذ أقدم العصور. وحتى يكون استعمال الشاعر صحيحاً لتلك الرموز؛ عليه -كما يقول عز الدين إسماعيل- أنْ "يُجيد ربط الرمز بتجربته الذاتية، بحيث تكون قوتها التعبيرية نابعةً من كيفية استعمالها. فقيمة الرمز ترجع إلى موقع الرمز وعلاقته بالعناصر الأخرى في القصيدة، ولا ترجع إلى قيمته الذاتية ولا إلى قدمه"[٢].

إنَّ هناك فرقاً واضحاً بين الصورة الشعرية والرمز الشعري، وذلك "ليس في نوعية كل منهما بقدر ما هو في درجته من التركيب والتجريد. فالرمز وحدته الأولى صورة حسية تشير إلى معنوي لا يقع تحت الحواس، ولكن هذه الصورة بمفردها قاصرة عن الإيحاء سمة الرمز الجوهرية، والذي يعطيها معناها الرمزي إنما هو الأسلوب كله، أي طريقة التعبير التي استخدمت هذه الصورة وحملتها معناها الرمزي، ومن ثم فإن علاقة الصورة بالرمز، من هذه الناحية، أقرب إلى علاقة الجزء بالكامل، أو هي علاقة الصورة البسيطة بالبناء الصوري المركب الذي تنبع قيمته الإيحائية من الإيقاع والأسلوب معاً"[٣].

لقد وظَّف الشاعر أمل دنقل مثلاً الرمز في قصيدة "لا تُصالح"، وذلك من خلال ذكر الشخصيتين التراثيتين: شخصية "كليب" و شخصية "جساس"، يقول:[٤]

---

[١] سامح راوشدة، ظواهر في لغة الشعر العربي الحديث وإشكالية التأويل، مؤتة للبحوث والدراسات: سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد١٢، العدد٢، ١٩٩٧م، ص٤١٥.

[٢] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢م، ص١٩٥.

[٣] محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية، ص١٣٩.

[٤] أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٣٣٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لَمْ أكن غازياً،
لَمْ أكن أتسلَّلُ قربَ مضاربهِمْ
أو أحومُ وراءَ التخومْ
لَمْ أمدَّ يداً لثمار الكرومْ
أرضَ بستانهم لَمْ أطأ
لَمْ يصح قاتلي بي: "انتبه "!

يُعبِّر الشاعر في المقطع الشعري السابق عن شيمة "جساس" وطبيعة تصرفاته، وهو يرمز للعدو المغتصب لحقوق الأمة العربية والشعب الفلسطيني، بصورة خاصة، بينما يرمز "كليب" الذي قتل على يد "جساس" إلى الأرض العربية، محاولاً أنْ يضع أمام المتلقي لوحةً إيحائيةً رمزيةً، يشير من خلالها إلى ما يقوم به المحتل في أرض فلسطين من ممارسات، فذكر صفات "جسَّاس" أي المحتل، ومن بينها: الخداع والسرقة والاعتداء، وغيرها من الصفات السلبية، والتي تعتبر علامات دالةً على شيمة القاتل وطبيعة تصرفاته[1].

وقد سعت فدوى طوقان إلى توظيف الكثير من الرموز المستوحاة من عالم الحيوان، والظواهر الطبيعية، والأمراض الوبائية التي تفتك بالبشرية؛ وذلك بغية تصوير اليهود، ووضعنا أمام حقيقتهم وواقعهم، وكان من بين الرموز التي وظفتها الشاعرة في قصائدها، لفظة "الطوفان"، في قصيدة "مدينتي الحزينة"، التي قدَّمت من خلالها الشاعرة صورة شعرية لمَّا حلَّ بفلسطين من كارثة بعد حرب حزيران ١٩٦٧م، تقول فيها:[2]

يَوم الإعْصَارِ الشيطانيِّ طَغَى وامتدّ
يَوم الطوفان الأَسْوَدْ
لَفَظتهُ سواحلُ همجيّهْ
للأرضِ الطيِّبة الخضراءْ
هَتَفوا، ومَضَتْ عبر الأجواءِ الغربيهْ

---

[1] انظر: فتحي "محمد رفيق" يوسف أبو مراد، شعر أمل دنقل دراسة أسلوبية، ص١١٥- ١١٦.

[2] انظر: فدوى طوقان، ديوان فدوى طوقان، ص٤٨٧- ٤٨٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تتصادى بالبُشْرَى الأنباء:

هَوَت الشجرة!

والجذع الطّود تحطَّمْ، لَم تُبْقِ

الأنواءُ

باقيةً تحياها الشجره!

لقد رمزت الشاعرة بـــ "الطوفان" إلى الصهاينة، الذين جلبهم الاستعمار الأوروبي، وهو ما رمزت إليه بقولها: الإعصار الشيطاني. فالشاعرة تعاني من وطأة الاحتلال وظلم المحتل الواقع عليها وعلى أبناء شعبها؛ حيث كان نتيجة ذلك الطوفان الأسود تحطيم الشجرة، وهي رمز الشعب الفلسطيني[1]، المتمسك بالأرض، كتمسك جذور تلك الشجرة بالأرض.

كما رمزت الشاعرة فدوى طوقان في موضع آخر في قصيدة "مدينتي الحزينة" بلفظة "الطاعون"، وهو من الأمراض الوبائية الفتاكة، التي تفتك بالإنسان، تقول:[2]

يَوم فَشَا الطَّاعونُ فِي مَدِينَتِي

خَرَجْتُ للعراء

مَفْتُوحَةَ الصَّدرِ إِلَى السَّمَاء

أَهْتِفُ مِنْ قَرَارَةِ الأَحْزَانِ بِالرياحْ:

هبِّي وسُوقي نَحْوَنَا السَّحَابَ يَا رياحْ

وَأَنْزِلِي الأَمطارْ

تُطَهِّرُ الهواءَ فِي مَدِينَتْي

استعملت الشاعرة رمزاً من رموز الأمراض الوبائية، متخذةً "الطاعون" من بين تلك الأمراض، كإشارة إلى إفساد اليهود وفسادهم في أرض فلسطين. فمن يتأمل ذلك الرمز وحال اليهود (المرموز إليه)،

---

[1] انظر: عمر يوسف قادري، التجربة الشعرية عند فدوى طوقان بين الشكل والمضمون، دار هومة، الجزائر، ١٩٩٠م، ص١٢٩-١٣٠.

[2] فدوى طوقان، ديوان فدوى طوقان، ص٤٨٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يرى ما بينهما من تشابه واضح وجلي. فالطاعون مرض وبائي ينتشر بين الناس ويميتهم بسرعة كبيرة. أمَّا اليهود فحالهم كحال ذلك الطاعون، من حيث انتشارهم وسلبهم للأرض وقتلهم البشر، فكلاهما يحملان صفات مشتركةً تتمثل بالخراب والدمار وسرعة الانتشار. وقد أخذت هذه المفردات شحنات إيحائيةً في القصيدة من حيث إنها لم تكن مطلوبةً لذاتها، وإنَّما لما تحمله من معان ودلالات رمزية معبرة.[١]

ومن الحيوانات الأخرى التي وظفها الشعراء في قصائدهم للتعبير عن حال اليهود: الذئاب، والغربان، والأفاعي، والقرود، وغيرها الكثير. يقول الشاعر رجا سمرين في قصيدة "رسالةُ حبٍّ إلى سيدي الوالد في مثواه الأخير":[٢]

سيدي هَا إنَّ قطعانَ الذئابِ البشريةْ
قَدْ أَتَتْ مِنْ كُلِّ فجٍّ فِي أَمَانِيهَا المَنيةْ

رمز الشاعر بالذئاب البشرية لليهود، بكل ما يحمله ذلك الرمز من دلالات سلبية، للتدليل على العدوان والهمجية في تعذيب الشعب الفلسطيني صاحب الأرض، وكأني بتلك الذئاب تتقدم إلى أرضنا المقدسة حاملةً الغدر والقتل والتدمير كأمنية تريد أَنْ تحققها على أرض الواقع.

وفي قصيدة "صائد الذباب" توظِّف الشاعرة عائشة الخواجا رمز الغراب وتسميه "غراب البين" الذي أفزع العصافير عن "رؤوس الورد"، فتقول:[٣]

فيا غُرَابِ البينِ أَنْتَ..
مَا الَّذِي فَعَلتَ بالأَحْبَابْ ..؟؟..
هَذْي العَصَافِيرُ الَّتِي.. اذْعَرتَهَا..
وعَنْ رؤوسِ الوردِ.. قَدْ أَجْفَلْتَهَا..
تَتُوهُ فِي دُخَانِ الكَرْبِ.. والضَّيَاعْ...

---

[١] عمر يوسف قادري، التجربة الشعرية عند فدوى طوقان، ص١٢٨.

[٢] رجا سمرين، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٥٠.

[٣] انظر: عائشة الخواجا الرازم، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٣١- ٢٣٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد استثمرت الشاعرة هذا الرمز التراثي القديم، الذي يحمل كل دلالات الشؤم والخراب والقفر، فجعلته في خدمة وصفها لواقعها الذي تصفه وقد حل به الخراب والضياع. فالغراب أينما حلَّ يُشير إلى أنَّ ذلك المكان سيحل به الدمار والخراب، وساكنوه سيرحلون عنه. واليهود حالهم أشبه بالغربان، فوجودهم على أرض فلسطين يدلُّ على الدمار والخراب، فهم باحتلالهم لها، سيحل بها كل ذلك؛ لأنَّ أصحابها قد شرد الكثير منهم في كل بقاع الأرض، ومات آخرون، وسجن غيرهم.

تلك كانت بعض الرموز الموحية بالعدوان والتدمير، وهذا ما اتسم به اليهود، منذ أنْ وطأت أقدامهم أرض فلسطين. أمَّا الرموز الأخرى، التي تُشير إلى ما قام به اليهود من تزييف للتاريخ والحضارة وطمس للحقائق وتغيير للمعالم التاريخية، نرى محمود درويش قد ذكر كيف حاول اليهود تغيير معالمنا التاريخية وهويتنا العربية، في سبيل إيهام الآخرين بحقائق مزيفة بغية الوصول إلى ما يريدون، يقول الشاعر في قصيدة "المدينة المحتلة":[1]

أَنَا قَتَلْتُ القَمَر
لأَنَّهُ قَالَ لِي: .. قَالَ.. قَالَ:
أُمُّكِ لا تُشْبِهُ البُرْتُقَال
وَلا جُذُوعِ الشَّجَرِ
أُمُّكِ فِي القَبْرِ
لا فِي السَّماءِ.
الطفلةُ احْتَرَقَتْ أُمُّهَا
أَمَامَهَا..
احْتَرَقَتْ كَالمَسَاء..

رمز الشاعر لليهود الذين حاولوا أن يزيفوا التاريخ، حتى يتمكنوا من إثبات مزاعمهم الباطلة، التي تقضي بوجود حق تاريخي لهم في فلسطين، بلفظة "القمر". وجاء الشاعر برمز آخر وهو "الطفلة"؛

---

[1] انظر: محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص٢١١- ٢١٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

للتدليل على مدينة القدس التي تريد أن تقتل القمر، حتى لا يعاود الكرة من جديد، ويشكك بعروبة فلسطين وأصالتها، التي تتمثل في الكلمات الآتية: البرتقال، وجذوع الشجر[1].

لقد وظَّف الشاعر محمود درويش – كغيره من الشعراء– الرموز في خدمة موقفه وقضيته، التي يحملها للناس. وتلك الرموز – كما رأينا من خلال النماذج السابقة– مستقاة من معاناة الشعراء العرب في الداخل والخارج، ومن صلتهم بأرضهم المقدسة وقوميتهم، وتفاعلهم مع هموم الآخرين[2].

وفي قصيدة "قافلةُ الضياع" لبدر شاكر السياب، يعرض حادثة مقتل قابيل لأخيه هابيل، معتمداً على ما ورد في الكتاب المقدس، من حيث الأسلوب، الذي لجأ إليه عند عرضه لقصة "قابيل وهابيل"، يقول:[3]

كَي يَدْفِنُوا "هَابِيلَ" وَهُوَ عَلَى الصَّلِيبِ رُكَامُ طِين
"قَابِيلُ أَيْنَ أَخُوكَ؟ أَيْنَ أَخُوكَ؟"
جَمَّعتِ السَّمَاء
آمَادَهَا لِتَصِيحَ، كُوِّرت النُّجومُ إِلَى نِدَاءْ:
" قَابِيلُ، أَيْنَ أَخُوكَ؟ "
– " يَرْقُدُ فِي خِيامِ اللاجئِين "
السِّلُّ يُوهِنُ سَاعِدَيهِ، وَجِئْتُهُ أَنَا بِالدَّواءْ
والجوعُ لَعْنَةُ آدم الأُولَى وَإِرْثُ الهَالِكِين
سَاواهُ وَالحَيْوانَ ثُمَّ رَمَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِين
وَرَفَعْتُهُ أَنَا بِالرَّغِيفِ، مِنَ الحَضِيضِ إِلَى العلاءْ "

يصف الشاعر الحال الذي آل إليه أبناء الشعب الفلسطيني؛ نتيجة الظلم والاحتلال بصورة رمزية؛ حيث ذكر السياب قصة "قابيل وهابيل"، كإشارة إلى تهاون العرب في الذود عن أرض فلسطين وأهلها،

---

(1) فتحي "محمد رفيق" يوسف أبو مراد، الرمز الفني في شعر محمود درويش، ص١٧٥.

(2) المرجع نفسه، ص١٧٦.

(3) انظر: بدر شاكر السيَّاب، ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة، بيروت، ١٩٧١م، ص٢٦٨– ٢٦٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وعدم مبالاتهم بما حصل لأبنائه. ويشير إلى ذلك ما جاء في قوله: "قابيل، أين أخوك؟، يردّد في خيام اللاجئين".

لقد جعل الشاعر من قصة "قابيل وهابيل" مدخلاً للحديث عن الصراع الحاصل بين قوى الخير وقوى الشر، والذي انتهى باغتيال الشعب الفلسطيني وتشريد أبنائه في العراء، لا تأويهم سوى الخيام، أضف إلى ذلك حرمانهم من الدواء والطعام والمأوى والمستقبل، إنَّها صورة مؤثرة لما جرى للشعب الفلسطيني من تشريد وظلم، دونما احترام لمشاعره وإنسانيته[١].

فقد رمز الشاعر بـــ "قابيل" إلى قوى الشر و "هابيل" إلى قوى الخير في العلاقات الثنائية بين شخص وآخر، مستخدماً شخصية "قابيل" دائماً رمزاً للجاني، أمَّا شخصية "هابيل" فاستعملها رمزاً للضحية، فاللاجئ الفلسطيني هو هابيل، والجناة الذين شردوه من أرضه هو قابيل[٢].

ورمز الشاعر موسى شعيب لأعداء الأمة العربية بالجراد كثير العدد قليل الفعل، حيث ربط بين الصهاينة أعداء القدس وبين الجراد الذي ملأ المدينة، وجردها من بهائها ونضارتها[٣]، يقول الشاعر في قصيدة "روما.. القدس.. نيرون":[٤]

"محمدٌ ماتَ"
وأَسْرَابُ الجرادِ أَتَتْ تَسدُّ مَنَافِذَ الشمسِ
ترودُ مَنَافِذَ الأَقْصَى
تُعرِّي خضرةَ الزيتونِ في القُدْسِ
وتَنْهَشُ صورةَ العذراءِ

---

[١] انظر: الطاهر محمد بن طاهر، الرمز في الشعر العربي: دراسة تطبيقية في شعر بدر شاكر السياب، ط٢، منشورات جامعة ٧ أكتوبر، بنغازي ٢٠٠٧م، ص١٩٠-١٩١.

[٢] محسن بيشوايى، عبد الخالق محيسني، رمزية السياب واستدعاء الشخصيات القرآنية، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد الخامس، الربيع والصيف ١٣٨٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٨.

[٣] محمد أحمد محمد المجالي، المدن العربية المقاتلة في الشعر الحديث (القدس، بيروت، البصرة)، ص٣٤٩.

[٤] انظر: موسى شعيب، المجموعة الشعرية، ص٢٩١- ٢٩٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تَشْرَبُ مِنْ دمِ المصلوبِ
تُوقِدُ شَمْعَةَ العرسِ

من هنا كان الرمز أبعد من أنْ يكون وسيلةً ظاهرةً مكشوفةً يتخذها الشاعر معبَراً إلى شيء آخر، ذلك أنه قصد لذاته، وأن الشاعر يعرضه فيتيح له عمله هذا أنء يولِّد فناً يترك السامع في حال خاصة من التصور والإفادة والاستمتاع، حتى غدا الرمز وسيلةً يجد فيها الشاعر مأمناً يجنبه الوقوع في المباشرة، ويحفظ له هذه المنعطفات، بل المتاهات التي يرمي إليها في التماسه الغموض[1]. من هنا، نجد أنَّ الرمز أداة فنية واعية يجلبها الشاعر؛ ليستعين بها في إقامة علاقات دائمة التجدّد والتغير بينه وبين واقعه ومحيطه ولغته.

[1] إبراهيم السامرائي، مقدمة في لغة الشعر الحديث، مجلة أفكار، العدد٦٨، ١٩٨٤م، ص٦٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني

الصورة الشعرية

يستخدم الشاعر في أدائه الشعري طريقتين في التعبير، تتمثل الطريقة الأولى في لجوئه إلى المباشرة والتصريح في التعبير عن موقفه أو رؤيته التي تدور في مخيلته، أمَّا الطريقة الثانية فتتمثَّل بلجوئه إلى استخدام الصورة للتعبير عن ذلك الموقف أو تلك الفكرة. وتُعدُّ الكلمة الأساس الذي تبنى عليه القاعدة الأساسية للصورة الشعرية[1].

والصورة الشعرية القديمة: "صورة حسية حرفية شكلية وقد استتبع ذلك صفةً أخرى جوهريةً هي (الجمود)، ولم يكن في الصورة أي خاصة عضوية أو حركية، بل كانت عناصر جاملة، وكذلك كانت الصورة القديمة "جميلةً" دائماً، ولكنه الجمال الذي يتمثل الحس. أمَّا الصورة في الشعر الحديث فلها صفات غير ذلك، أو لنقل إنَّ لها فلسفةً جماليةً مختلفةً. فأبرز ما فيها الحيوية، وذلك راجع إلى أنَّها تتكون تكوناً عضوياً وليست مجرد حشد مرصوص من العناصر الجامدة"[2].

إنَّ المتأمل في ماهية الصورة، يجد أن لها تعريفات متنوعةً، لا بدَّ من الوقوف عليها؛ بغية التمكن من تحليلها وتحديد عناصرها. فقد عرفها دي. سي. لويس بأنها: "رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة"[3]. وهي "البنية المركزية للعمل الشعري كله تنبثق من تحويل الذات الداخلية إلى موضوع متحد متماسك، يكثف دلالات إنسانيةً جذريةً: إحساس هادئ متوتر، وفكر متجذر منتشر، وإرادة قوية نشطة،

---

[1] انظر: عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه: دراسة ونقد، ط٧، دار الفكر العربي، ١٩٧٨م، ص١٤٣- ١٤٤.

[2] المرجع نفسه، ص١٤٣.

[3] سي. دي. لويس، الصورة الشعرية، ترجمة أحمد نصيف الجناني، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٢م، ص٢١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وهدف غائم لكنه دائم الحضور والتحقيق"[١]. وقد عرف علي البطل الصورة الشعرية بـــ: "أنَّها تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، ويقف العالم المحسوس في مقدمتها"[٢].

إنَّ للصورة المقدرة على التمييز بين أداء شاعر وآخر، فعاطفة الشاعر المنتجة وإحساسه القائد هما دافعاه للابتكار والبحث عن رسم ملائم لها، وتكون الكلمات المنظومة هي وسيلته. من هنا يمكننا القول: إنَّ للصورة أهميةً كبرى في الشعر، حيث إنَّها تعتبر عنصراً أساسياً في القصيدة، فإذا فقدت فقد الشعر أهم عناصره. فالشعر تصوير، لذا يحاول الشاعر أنْ يتوسَّع في الصورة من أجل التعبير عن المشاعر والأحاسيس، ولكي يوصلها إلينا. ويستخدم الشاعر اللغة استخداماً خاصاً، ويتمثل هذا الاستخدام بأن الشاعر رسام وأدواته هي الكلمات. كما أن لها قيمة في إضفاء أبعاد حسية أو ملموسة أو تقريبية أو نفسية أو تشخيصية... إلخ، على ظلال التشكيل المستخدم في الشعر[٣].

فالرسام يملك القدرة على أن يعبئ بالأشكال والألوان التي يستخدمها لرسم لوحة ما، فهو يريد أنْ يعبئ بالأشكال والألوان دلالاته. أمَّا الشاعر فيعمد إلى أسلوب مركب ليس فيه شيء من البساطة ، فهو يستخدم صوتاً يستطيع استخدامه اللون أو الشكل بالتعبير عن المشاعر والأحاسيس. وقد عمل الشاعر عمل الرسام؛ لأنَّ عليه أن يقوم بعمل معقد، حيث يختار رموزاً معينةً. وهذه الرموز تتحول إلى أشكال وألوان، ثم تتحول الأشكال والألوان لتؤثر في المتلقي. وأخيراً، تكون الصورة الشعرية هي الشكل الفني، الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني معين ليعبر عن جانب من جوانب تجربته الشعرية الكاملة في القصيدة[٤].

---

(١) عبد القادر الربَّاعي، مقالات في الشعر ونقده، منشورات مكتبة عمان، عمان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٧٤.

(٢) انظر: علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتَّى أواخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها، ط٢، دار الأندلس للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١٥، ص٣٠.

(٣) المرجع نفسه، ص٧٧.

(٤) عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص٤٣٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وللصورة الفنية مفهومان: أحدهما قديم والآخر حديث. فالقديم يقف عند حدود الصورة البلاغية، التي تتمثل في التشبيه والمجاز. أمَّا الحديث فيضم إلى جانب الصورة البلاغية نوعين آخرين هما: "الصورة الذهنية"[1]، والصورة باعتبارها رمزاً[2]. وهذا المفهوم ينطبق على ما جاء في تلك القصائد، التي عمدت إلى عرض صور مختلفة لليهودي في كل مراحل حياته.

لقد تعددت أساليب الشعراء في تشكيل الصورة في قصائدهم وتنوعت بتنوع المواقف التي يريد الشاعر التعبير عنها، والحالة التي تكتنفه. وقد اقتضت تلك الأساليب تقسيم الصورة إلى عدة أنواع، منها على سبيل المثال، الصورة المفردة (الجزئية البسيطة)، والتي تُعدُّ من أبسط أنواع الصورة الشعرية. وتبنى تلك الصورة بأساليب متنوعة منها: التشبيه والاستعارة، التي تبنى في المقابل عن طريق التجسيد أو التشخيص أو التجريد. أمَّا النوع الآخر من أنواع الصورة، فهو الصورة الكلية، وتبنى بعدة أساليب، ألا وهي: البناء الدرامي، الذي يتمثل بالقصة والحوار، والبناء المقطعي، الذي يتمثل بتقسيم القصيدة إلى مجموعة من المقاطع (اللوحات)، وغيرها من الأنواع.

وفيما يلي تعريف بتلك الأنواع من الصور، وإيراد نماذج شعرية لكل نوع منها.

١- الصورة المفردة (الجزئية):

تُعدُّ الصورة المفردة (الجزئية) من أبسط أنواع الصور من حيث بنائها؛ لما تشتمل عليه من تصوير جزئي محدد، ولما لها من أهمية في التعبير عن المعاني والأبعاد النفسية للتجربة الشعرية، فهي

---

[1] الصورة الذهنية:" هي عودة الإحساسات في الذهن مع غياب الأشياء التي تثيرها أو تعبر عنها، وقد تكون الصورة الذهنية تشبيهاً أو استعارة. ولكن ما يميزها عن غيرها بصفة خاصة أنها لا تعتمد على علاقة ذهنية بحتة بين عبارتين متجانستين، وإنما وظيفتها الإيحاء بالملموس، وذلك بأن تصور الألوان والأشكال والحركات وغيرها من الأشياء تصويراً كلامياً يدركه القارئ مباشرة. وتنقسم إلى الصورة اللونية، الصورة الضوئية، الصورة الحركية...".

[2] علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتَّى أواخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها، ص١٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تقدِّم مضموناً نفسياً متفاعلاً مع الصور الأخرى، التي لا تستطيع الصورة المفردة أنْ تبقى منعزلةً ومنقطعةً عن غيرها من الصور[١]. وتبنى الصورة المفردة (الجزئية) بأساليب مختلفة، منها:

أ- تبادل المدركات: وهي "تبادل صفات الماديات للمعنويات، أو المعنويات للماديات"[٢]. ويتم ذلك من خلال أحد الأساليب الآتية:

التجسيد: وهو "أنْ يتم خلع الصفات المحسوسة على المعنويات"[٣]؛ بمعنى آخر أنْ تكتسب المعنويات صفات ماديةً محسوسةً مجسدةً غير حية. ومن الصور المفردة المبنية على أساس التجسيد، الصورة التي رسمها الشاعر رجا سمرين في قصيدة "قالوا: فقلت"، حيث أعلن رفضه لمفهوم السَّلام، من منظور إسرائيلي، الذي يقوم على القتل والتنكيل بأبناء الشعب الفلسطيني، وهو الطرف الآخر الذي يريد مسالمته، فيقول:[٤]

لا لِلتَفَاوضِ وَالعَدُوُّ يَمُدُّ فِي أَرْضِي ظِلالَ المَوْتِ للبُسَطَاءِ

لقد لجأ الشاعر إلى أسلوب التجسيد، فخلع على الموت صفات محسوسة غير حية، فصوَّر الموت وكأنه بذرة نثرت في الأرض ليتم زرعها. والتي كانت، بالنسبة لليهود، الطريق الأمثل لجني الثمار من وراء ذلك الزرع، حيث جعلوا من موت الآخرين سبيلاً للسيطرة على الأرض وبسط نفوذهم عليها.

ومن خلال هذا التجسيد، يقدم الشاعر للمتلقي التناقض، الذي يظهره اليهود في تعاملهم مع العرب والمسلمين، فهم يقومون بالقتل والتدمير، وبالمقابل يقولون أنَّهم -على حد زعمهم- يريدون تحقيق السَّلام مع العرب. من هنا جاء رفض الشاعر لذلك السلم الزائف، وحاول محاربته.

---

[١] خالد سنداوي، الصورة الشعرية عند فدوى طوقان، مطبعة دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر، (د.م)، ١٩٩٣م، ص٤٢.

[٢] كمال أحمد غنيم، عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٠٨.

[٣] إيمان "محمد أمين" خضر الكيلاني، بدر شاكر السياب دراسة أسلوبية، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠٠٨م، ص٢٣.

[٤] رجا سمرين، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٧٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي صورة آخرى مشابهة للصورة السابقة، حاول الشاعر ديزيره سقال في قصيدة "غضب موسى" أنْ يضع أمام أعيننا حقيقة اليهود عابدي العجل وواقعهم، فيقول:[1]

لا شَيءٌ سِوَى عُبَّادِ بَعْلٍ
يَزْرَعُونَ العَارَ فِي كُلِّ الزَّوَايا
وَتَقُومُ شِرعتهمْ عَلَى جُثَثِ بَنَتْ،
إِذْ كَدَّسَتْهَا أَذْرُعُ الطُّغْيَانِ بُرْجَاً للرَدى
سَمُّوهُ " إِسْرَائيلَ "

أكسب الشاعر العار صفات محسوسة غير حية، مشيراً إلى ما تحمله نفوس اليهود من الحقد تجاه الشعب الفلسطيني، حيث صوَّر العار بالنبات المزروع في الأرض، فيصبح متشبثا بجذور الأرض، وكذلك الأمر بالنسبة للعار والحقد، اللذين تأصلا في أعماق أعماقهم، فغدت كلُّ حياتهم موسومةً بالأعمال والأقوال المليئة بالخبث والعار والحقد والاستعلاء.

وعن ذلك الحقد وتلك العداوة – التي تشبثت في صدور اليهود، تجاه العرب والمسلمين– يقول عدنان النحوي في قصيدة "من فجرِ الصمتِ العميق":[2]

كَمْ أَبْرَمُوا عَهْداً إِليكَ فأَخْلَفُوا ورَمُوا إِليكَ عَدَاوةً وجُحُودا

جسَّد الشاعر العداوة والجحود، وخلع عليهما صفات مادية محسوسة، ناقلاً إياهما من كونهما أشياء معنوية غير محسوسة إلى مادية محسوسة؛ فجعل من تلك العداوة أشياء ترمى. وفي هذه الصورة، يحاول الشاعر أن يظهر عداوة اليهود للعرب والمسلمين، وحقدهم الأسود المتأصل في نفوسهم؛ لكي يفتح أعين الناس على غدر اليهود، وينبههم إلى عدم تصديق عهود اليهود، ورفضهم لهذا السلم الزائف.

---

(1) ديزيره سقال، الأعمال الشعرية الكاملة: الأعمال السياسية، ص٤٠٢.

(2) عدنان علي رضا النحوي، ديوان ملحمة فلسطين، ص١٦٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

التشخيص: ويتم من خلال خلع الصفات الإنسانية على المحسوسات والمعنويات[١]. فالتشخيص "يمنح الشاعر معنى حياة آدمية، ويبعث في الفكرة حركة نابضة، وتسري في الخاطرة الألوان الشاخصة، والأشكال الإنسانية، وتلتهب المواد في الطبيعة بالعواطف البشرية، وتفيض مظاهر الحياة بالوجدان المتدفق، والانفعال القوي. ويصير غير الأحياء من الناس أناساً يتعاطفون ويتجاوبون، ويعيشون ويحبون. وبذلك تتحد مظاهر الحياة"[٢]. وبهذا تنوب تلك الشخصيات التي يخلقها التشخيص عن المعاني والحالات والأفكار والعواطف الغنائية.

ومن نماذج التشخيص، الذي اعتمد عليه الشعراء في بناء صورهم الشعرية المفردة، ما جاء به الشاعر محمود درويش في قصيدة "مديحُ الظل العالي"، حيث يقول:[٣]

والموت يأتينا بكُلِّ سلاحه الجويِّ والبريِّ والبحريِّ
أَلْفُ قَذِيفَةٍ أُخْرَى وَلا يَتَقَدَّمُ الأَعْدَاءُ شِبْراً واحدا

لقد أظهر الشاعر للمتلقي عملية الاعتداء الهمجي، الذي قام به اليهود ضد الشعب الفلسطيني، موجهاً كل أسلحته تجاه هذا الشعب الآمن، وذلك من خلال التشخيص؛ حيث خلع على الموت الصفات الإنسانية، فجعله إنساناً يأتي حاملاً سلاحه ليقتل الشعب الفلسطيني.

وفي قصيدة "يا فارس الحجر الأشم" يقول الشاعر عبد الرحمن العشماوي:[٤]

سَلْ ذَلِكَ البحْرَ الَّذِي أَضْحَى لَهُمْ رَهْوَاً[٥]، فَلَمَّا جَاوَزُوهُ تَنَكَّرُوا
...
سَلْ جُرْحَ أُمَّتِنَا العَمِيقَ، أَمَا لَهُمْ فِي نَزْفِهِ القَاسي النَّصيبُ الأَوْفَرُ

---

[١] محمد بن سالم بن سعيد الصفراني، شعر غازي القصيبي: دراسة فنية، ص١٩٣.

[٢] علي علي صبح، البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، المكتبة الأزهرية للتراث، ٩درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص١٨٧.

[٣] محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الثاني، ص٣٦٢.

[٤] انظر: عبد الرحمن بن صالح العشماوي، ديوان القُدْس أنت، ص١١٩- ١٢٠.

[٥] الرَّهو: السكون.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لجأ الشاعر إلى أسلوب التشخيص، ليعبِّر عن الألم والعذاب الذي يتعرَّض له أبناء شعبه الفلسطيني، وذلك من خلال إكسابه الأشياء المعنوية المجردة صفات إنسانية، ليدلل من خلالها على كل ما يقوم به اليهود، منذ زمن موسى عليه السلام وحتى وقتنا الحاضر- فصوَّر البحر "وفيه إشارة إلى ما حدث زمن موسى عليه السلام، عندما حاول أنْ يهرب مع الذين آمنوا بالله وبه من بني إسرائيل؛ خوفاً من بطش فرعون وتجبره، حيث جعل الله ذلك البحر رهواً وطريقاً سهلاً، فكان المخرج الوحيد لهم"، فصوَّره وكأنَّه شخص آدمي استنطقه الشاعر، ليكون شاهداً على تنكر اليهود لمعجزة سيدنا موسى عليه السلام ولما قام به الله تعالى من أجلهم. وصوَّر الشاعر الجرح الدامي "جراح الشعب العربي الفلسطيني" بجراح إنسان يريد منها أنْ تعلن للعالم جرائم اليهود بحق هذا الشعب الفلسطيني، حيث تلطخت أيديهم بدماء الشهداء الأحرار من أبناء هذا الشعب المقاوم.

الصورة التشبيهية: وظف الشاعر العربي الصورة المفردة في شعره، للتعبير عن أفكاره ومواقفه ورؤيته، بالاعتماد على الصور البلاغية، التي تتمثَّل بـــ: (التشبيه والاستعارة...إلخ). والتشبيه يعني: "بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة من أدوات التشبيه من مثل الكاف، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه"[1].

فمثلاً قدَّم لنا الشاعر إبراهيم طوقان في قصيدة "ردٌّ على رئوبين شاعر اليهود"، مخاطباً ذلك الشاعر اليهودي "رئوبين"، الذي زعم أنَّ الشعب اليهودي شعب مظلوم، وأنَّهم يتصفون بالشجاعة، يقول:[2]

شَعْبُكُم كَالذُّبَابِ فِي كُلِّ أَرْضٍ مِنْهُ شَيءٌ عَلَى القُذُورِ[3] يَحُومُ

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م، ص٦٢.

[2] إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة، ص١١٥.

[3] القذور: الأوساخ.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

شبَّه الشاعر حال قدوم اليهود إلى أرض فلسطين، وانتشارهم فيها بحال الذباب، التي تحوم حول القاذورات: أي الأوساخ أينما وجدت.

ومن الصور التشبيهية الأخرى، ما جاءت به الشاعرة فدوى طوقان في قصيدة "إليهم من وراء القُضبان"، عندما وصفت حال ذلك السجَّان الذي أخذ على عاتقه مسؤولية معاقبة الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين والعرب في السجون الإسرائيلية، فجرَّب كلَّ وسائل القتل والتعذيب الجسدي والنفسي، تقول:[1]

وَيَقِفُ السجَّانُ وَجْهَهُ حَجَرْ
وَعَيْنُهُ حَجَرْ
يَسْلِبُ مِنَّا الشمسَ يَسْلِبُ القَمَرْ

شبهت الشاعرة وجه ذلك السجَّان (المشبه) بالحجر (المشبه به)، كما شبهت عينيه بالحجر أيضاً. فكان وجه الشبه الجامع بين المشبه والمشبه به هو القسوة والصلابة. وهذا ما أرادت الشاعرة أن تعبر عنه.

وقد تمثلت تلك القسوة أيضاً فيما يلاقيه هؤلاء الذين يريدون عبور الجسر، إمَّا ذهاباً إلى خارج فلسطين لملاقاة أحبائهم وأقاربهم، أو إياباً. فها هو الشاعر توفيق زيَّاد يعرض لنا لوحة تشبيهية لحالهم، وذلك بقوله:[2]

نَقْطَعُ الجسرَ حُفَاةً حَذِرِينْ
عِنْدَمَا انْقَضُّوا عَلَيْنَا فجأةً مِثْلَ الذِّئابْ
فَتَحُوا أَفْوَاهَ رَشَّاشَاتِهِمْ.. مِتْرَانِ كَانَا بَيْنَنَا

فالهيئة التركيبية التي قصد التشبيه بها هنا، وهي عرض صورة واقعية لمعاناة الشعب الفلسطيني على الجسور. فالشاعر يشبه الجنود الإسرائيليين، الذين اعتدوا على الذين حاولوا عبور الجسر، وكأنَّهم

---

[1] فدوى طوقان، ديوان فدوى طوقان، ص٦١٧.

[2] توفيق زيَّاد، ديوان توفيق زيَّاد، ص٤٥٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذئاب جائعة تنتظر مترقبة حال وصول فريسة ما لتنقض عليها وتلتهمها، لتسدَّ بعد ذلك جوعها وظمأها؛ فمتى سنحت لها الفرصة نهشت لحم الفريسة. والجامع المشترك بين الجنود الإسرائيليين (المشبه) والذئاب (المشبه به) هو العدوانية والتعطش لسفك الدماء وأكل اللحوم البشرية أو الحيوانية. وحال اليهود يشبه إلى حد كبير حال تلك الذئاب الجائعة.

وفي قصيدة "شاهد التاريخ" يقول الشاعر عبد الرحمن العشماوي:[1]

زَرَعُوا هَيْكَلَهُم قُنْبُلَةً فَاحْذَرُوا مِنْ صَوْتِهَا المُنْفَجِرِ

يشبِّه الشاعر هيكل اليهود المزعوم، الذي اتخذوه ذريعةً من أجل السيطرة على أرض فلسطين وإثبات حقهم فيها، وذلك من خلال سعي المحللين وعلماء الآثار الإسرائيليين للتنقيب تحت المسجد الأقصى، الذي بات مهدداً بالانهيار، عن آثار ذلك الهيكل الذي بناه نبي الله سليمان عليه السلام. وما كان هذا الهيكل – من وجهة نظر الشاعر– إلا كالقنبلة الموقوتة التي لا بدَّ لها أنْ تنفجر. ويجمع بين الهيكل والقنبلة جامع مشترك وهو مدى الأضرار التي سيلحقانها بمن حولهم، فالقنبلة متى انفجرت أودت بحياة من كان قريباً منها ، أما الهيكل، فحاله ليس بأقل ضرراً من حال القنبلة، فالهيكل عند انفجاره، سيؤدي إلى طرد وقتل وسجن الكثيرين من أصحاب الأرض ومالكيها. لذا حاول الشاعر أنْ يحذِّر العرب والمسلمين في فلسطين وخارجها من تصديق مزاعم اليهود وافتراءاتهم.

وعرض الشاعر نزار قباني في قصيدة "راشيل وأخواتها" لوحة شعرية معبرة لمجزرة قانا، تحمل كلَّ معاني القسوة والهمجية، التي لقيها الشعب الفلسطيني واللبناني في قانا، عندما هاجمتها قوات الاحتلال الصهيوني، يقول الشاعر:[2]

دخلُوا قَانَا.. كأفواج ذئابٍ جائعهْ..
يُشعلونَ النارَ في بيتِ المسيحْ..

---

[1] عبد الرحمن بن صالح العشماوي، ديوان القُدْس أنت، ص١٣٦.

[2] نزار قبَّاني، تنويعات نزارية على مقام العشق، ص٢٦٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويَدوسونَ على ثوب الحُسَيْنْ..
وعلى أَرضِ الجنوب الغاليَهْ..

يصف الشاعر اليهود الصهاينة، وحال دخولهم أرض قانا؛ ليقلبوها رأساً على عقب، وينسفوها عن بكرة أبيها، وكأنهم أفواج من الذئاب الجائعة، التي أحاطت بها من كلِّ الجهات، لتحاصر فريستها. فحال دخول اليهود الصهاينة أرض قانا كحال تلك الذئاب. والجامع الذي يجمع بين اليهود (المشبه) وبين الذئاب (المشبه به) هو الشراهة إلى سفك الدماء وأكل اللحوم، ومدى القسوة والعدوانية التي تكتنف كلاً منهما عندما يشعران بالجوع والعطش.

إنَّ ما حدث – وما زال يحدث- في فلسطين هو أشبه بحال الأندلس[1]، وكأنَّ الزمان يعيد نفسه من جديد، فقد أشار الشاعر خالد الفرج في قصيدة "لوزان"، إلى ذلك الشبه بقوله:[2]

فَمَا فِلَسْطِينُ إِلاَّ مِثْلُ أَنْدَلُسٍ قَضَى عَلَى أَهْلِهَا بَغْيٌ وَعِدْوَان

شبَّه الشاعر حال فلسطين، بكل ما يحيط بها من شرٍّ وعدوان، بحال الأندلس وأهلها الذين لاقوا مصيرهم؛ نتيجة الشر والعدوان الذي مارسه ضدهم الفرنجة حتى أخرجوا المسلمين منها، ووجه الشبه بين الحالتين هو القسوة وممارسة الشر والعدوان بحق كليهما.

إنَّ الشجاعة التي تظهر في الشعب اليهودي الصهيوني، ليست راجعة إلى كثرة عددهم، بل على العكس من ذلك، فاليهود في حال قلتهم أو كثرتهم، وحال ضعفهم أو شجاعتهم، لا يكونون إلا مصدراً

---

[1] "عندما فتح العرب أسبانيا (٧١٠م) رحَّب بهم يهود تلك البلاد ترحيباً حاراً. ونال يهود إسبانيا منَ الحاكمِ العربي حظوة لم ينعموا بها منْ قبل لا في ظل حاكم غير عربي ولا في ظل الحكام اليهود لما كان لهم كيان شبه مستقل في فلسطين. رُفِعَتْ كُلُّ القيود عن يهود الأندلس فازدهروا هناك ازدهاراً عظيماً وصل البارزون منهم إلى أخطر مناصب الدولة في قرطبة وأشبيله وغرناطة وسراقوسة وغيرها من العواصم الأندلسية". انظر: محمود نعناعه، تاريخ اليهود، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص٦٣٩.

[2] خالد سعود الزيد، خالد الفرج حياته وآثاره، ص٥١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للشر والعدوان وكل ما يحمله الخبث والغدر والمكر من معان ودلالات. يقول الشاعر خالد الفرج مؤكداً ذلك الأمر:[1]

إِنَّ اليهودَ إِنْ قَلُّوا وَإِنْ وَهَنُوا كَالصِّبْغِ فِي المَاءِ أَوْ كَالسُّمِّ فِي الدَّسَمِ

أكَّد الشاعر أنَّه لا القلة ولا الضعف، سيروع اليهود ويخلصهم مما تحمله أنفسهم من الحقد والاستعلاء على غيرهم. فاليهود – من وجهة نظر الشاعر– في حال قلتهم وضعفهم، لن يكونوا إلا كالصبغ في الماء، وكالسم في الأكل الدسم. وفي كلتا الحالتين سيعرضون العرب والمسلمين للتشرد والقتل والضياع؛ من أجل أن يحققوا مبتاغهم.

وهناك صورة تشبيهية أخرى في قول الشاعرة دلال الخالدي في قصيدة "مأساة عصرنا":[2]

فَشَارُونُ مَصَّاصُ الدِّمَاءِ بَرِيْئَةً وَبيغن عَدُوُّ اللهِ يَمْضِي وَيُرَوِّعُ

شبهت الشاعرة شارون "رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق" بصورة دموية، معتمدة على أسلوب التشبيه. فقد صورت شارون (رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق) مصاص دماء، اعتاد على شرب الدماء، وكأن تلك الدماء هي مصدر الحياة بالنسبة له، وإلا فحالهم سيؤول إلى زوال. وهذه الصورة تشعر المتلقي بالاشمئزاز، من خلال عرض الشاعرة لأعمال شارون الإجرامية بحق الشعب الفلسطيني. والجامع المشترك بين المشبه "شارون" وبين المشبه به "مصَّاص الدماء" هو تعطش كل منهما لشرب دماء بني البشر، وحبهم لسفكها وإزهاق الأرواح، في سبيل تحقيق شهوتهم ومآربهم.

لقد لعب التشبيه دوراً هاماً في تشكيل صور الشاعر وبنائها، حيث حاول من خلالها تقديم رؤية أو موقف ما للمتلقي تجاه شخص آخر يمثل "العدو".

---

[1] خالد سعود الزيد، خالد الفرج حياته وآثاره، ص٥٠.

[2] دلال العلمي الخالدي، ديوان الأقصى الجريح، ص٧٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الصورة الاستعارية: الأصل في الاستعارة المجازية هو "أنْ يُستعار الشيء المحسوس للشيء المعقول"[١]. كما يعرفها عبد المتعال الصعيدي بقوله: "مجاز عقلي بمعنى أنَّ التصرف فيها أمر عقلي لا لغوي؛ لأنَّها لا تطلق على المشبه إلا بعد إدعاء دخوله في جنس المشبه به، لأنَّ نقل الاسم وحده لو كان استعارة لكانت الأعلام المنقولة "كيزيد ويشكر" استعارة"[٢]. وهي نوعان: استعارة تصريحية، وهي ما "كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له وقد تفيد بالتحقيقية التحقق معناها حساً أو عقلاً"[٣]، وأخرى مكنية، وهي ما حذف فيها المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه[٤].

ومن هذه الاستعارات، التي لجأ إليها الشعراء في حديثهم عن اليهود وذكر طبائعهم وصفاتهم، ما جاء في قول الشاعر محمود درويش في قصيدة "أزهارُ الدمِ"، يقول فيها:[٥]

كَفْر قاسِم
إِنَّنِي عُدْتُ مِنَ المَوْتِ لأَحْيَا، لأُغَنِّي
فَدَعِينِي استَعِرْ صَوْتِيَ مِنْ جُرْحٍ تَوَهَّج
وَأَعِينِينِي عَلَى الحِقْدِ الَّذِي يَزْرَعُ فِي قَلْبِي عَوْسَج[٦]
إِنَّنِي مَنْدُوبُ جُرْحٍ لا يُسَاوم
عَلَّمَتْنِي ضَرْبَةُ الجَلادِ أَنْ أَمْشِي عَلَى جُرْحِي
وَأَمْشِي..
ثُمَّ أَمْشِي..
وَأُقَاوم!

---

[١] أسامة بن مرشد بن علي بن منقد (ت٥٨٤هـ)، البديع البديع في نقد الشعر، حققه وقدّم له عبد. آ. علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٧١.

[٢] عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة لآداب، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، الجزء الثالث، ص٩٩.

[٣] المرجع نفسه، ص٩٠.

[٤] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم البيان، ص١٧٥.

[٥] محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص١٠٠.

[٦] العوسج: شجر مِنْ شجر الشوك، ولَهُ ثمر أحمر مدور، وكأنَّه خرز العقيق. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء التاسع، مادة (عَسَجَ).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رسم الشاعر مشهداً من مشاهد مذبحة كفر قاسم، حيث اقترف اليهود بحقها أبشع الجرائم، وأكثرها دموية ووحشية، والتي كانت سبباً محفزاً ودافعاً قوياً لانطلاق الانتفاضة الأولى من أجل مقاومة الاحتلال، ورفض كل ما يقوم به المحتل من جرائم واعتداء على أرض فلسطين. لذا استعار الشاعر صوته المقاوم من تلك الجراح النازفة. والصورة الاستعارية هنا فيها لون من ألوان المقاومة والكفاح[1]. وفي صورة أخرى من الصور الاستعارية، التي حشدها الشاعر في قصيدته، قوله: "والحقدُ يزرعُ العوسجَ"، حيث شبه الحقد الذي ملأ صدور اليهود تجاه الشعب الفلسطيني والعربي، بإنسان يقوم بزراعة نبتة معينة، وهي العوسج. والاستعارة هنا تكمن في لفظتي "الحقد" و"يزرع"، وهي استعارة مكنية، حذف فيها الشاعر المشبه به وهو "الإنسان"، وترك شيئاً من لوازمه وهو "الزراعة".

وفي حديث الشاعر أمل دنقل عن انتزاع اليهود من الفلسطينيين أرضهم، في قصيدة "الأرضُ والجرحُ الذي لا ينفتح"، يقول:[2]

الأَرْضُ مَا زَالَتْ، بِأُذْنَيهَا دَمٌ مِنْ قِرْطِهَا المَنْزُوعِ،
فَقَهْقَهَةُ اللصوصِ تَسُوقُ هَوْدَجَهَا.. وَتَتْرُكُهَا بِلا زَادِ،
تَشُدُّ أَصَابِعَ العَطَشِ المُميتِ عَلَى الرِّمَالِ

في هذه الأسطر الشعرية صورة استعارية، تكمن في تشبيه الشاعر الأرض بصورة فتاة تضع أقراطاً في أذنيها، بجامع مشترك بينهما "الألم". فالأرض تألمت عندما اعتدى عليها اليهود وانتزعوا أصحابها وأبناءها منها، لذا تألمت ونزفت الدماء لفقدها أولادها. أمَّا الفتاة التي كانت تضع الأقراط في أذنيها، فحالها يشبه حال تلك الأرض المتألمة، فعندما قام اللصوص بالاعتداء عليها ونزع الأقراط من أذنيها، تاركينها متألمة تنزف الدماء، لشدة الانتزاع الذي قام به هؤلاء اللصوص، فالاستعارة هنا أيضاً، استعارة مكنية، ويتضح ذلك من خلال حذف الشاعر للمشبه به "الأنثى"، والإشارة إليه بشيء من لوازمه وهو "الأقراط"، وبدلاً من أن يسوق ناقتها من يحبها ويرحمها جعل قهقهة اللصوص هي التي توجه هذه

---

[1] ناصر فهد علي، بنية القصيدة في شعر محمود درويش، ص١٩٣.

[2] أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، ص١١٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الناقة التي تحمل هودجها، وذلك بعد أن سرق اللصوص زادها وتركوها بلا زاد أو ماء، حيث ألقوا بها إلى الصحراء تلاقي مصيرها حالها كحال الشعب الفلسطيني الذي ألقى به الصهاينة إلى الصحراء.

"على هذا النحو الذي يشي بما سوف يقع على هذه الأرض من كوابيس أشد، تنبني صورة الأرض العربية التي سقطت قبل السقوط، والتي انهزمت بفعل أبنائها قبل أن تنهزم بفعل أعدائها. فالفعل المضارع في الأبيات يمزج بين ما هو حادث وما سوف يحدث، ويناقل ما بين زمن المضارعة وزمن المستقبل، ملحاً على قرائن كابوسية: نهب خيرات الأرض، قهقهة اللصوص الذين ليسوا غرباء، صرخات الأرض التي تضيع وسط صوت خيولهم، بحث الأرض الظامئة عن ماء دون جدوى، فلا يبقى لها سوى الزحف في لهيب القيظ (كأنَّها تردِّد بكائيتها في لهيب الظهيرة)، وتنتهي المحاولة بالفشل"[١].

كما صور نزار قباني القدس بصورة استعارية أخرى، وذلك بقوله في قصيدة "من مفكرة عاشق دمشقي":[٢]

وخلَّفُوا القُدْسَ فوق الوحل، عاريةً تُبيحُ عزَّةَ نهديْها لمن رَغِبَا

صوَّر الشاعر القدس بفتاة استباح اليهود كرامتها وشرفها، وتركوها بعد ذلك عاريةً، ملقاة فوق الوحل، ويجعل الشاعر القدس "تُبيحُ عزَّةَ نهديْها لمن رَغِبَا"، فهي التي تقدِّم نفسها، بكلِّ رضىً، لليهود حتى ينتهكوا عزتها، وذلك إشارة إلى ذلِّ الشعب الفلسطيني وفقدانه الإرادة والكرامة.[٣].

ومن نماذج الصور الاستعارية أيضاً، قول الشاعر سميح القاسم في قصيدة "إلى جميعِ الرجالِ الأنيقين في هيئةِ الأمم المتحدة":[٤]

---

[١] جابر عصفور، الشاعر الرائي: أوراق أدبية، مجلة العربي، العدد٦٠٠، ذو القعدة ١٤٢٩هـ/ نوفمبر ٢٠٠٨م، ص٧٩.

[٢] نزار قبَّاني، الأعمال السياسية الكاملة، الجزء الثالث، ص٤٢٢.

[٣] أحمد محمد العرود، جدلية نزار قباني في النقد العربي الحديث، دار الكتاب الثقافي، اربد، ٢٠٠٦م، ص٢١٣.

[٤] سميح القاسم، الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الأول، ص١٤٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أَيُّهَا السَّادَةُ مِنْ كُلِّ مَكَان!
نَبَتَ الطحلبُ فِي قَلْبِي
وَغَطَّى كُلَّ جُدْرَانِ الزُّجَاج

فالاستعارة لدى الشاعر تكمن في قوله: "نبت الطحلب"، حيث شبه اليهود بالطحلب، والجامع الذي يجمع بين المشبه "اليهود" وبين المشبه به "الطحلب" هو الانتشار في كلِّ مكان والالتصاق بالمكان الذي يتواجد فيه. فالطحلب "وهو نبات شديد الخضرة له ساق وورق، وليس له جذور حقيقية، ينمو في الأماكن الرطبة، ويغطي غالباً مساحات كبرى"، وكذلك هم اليهود، يحاولون التواجد والانتشار في كل مكان، كما أنه ليست لهم جذور حقيقية، ولا أصل واضح فهم كالطحلب. ويتضح أيضاً في تلك الصورة الاستعارية أن الطحلب يلتصق بالصخور والشجر، وفي هذا إشارة إلى حال اليهود، الذين نبتوا في أرض الشاعر نبتاً شيطانياً غريباً وطحلبياً ليس له جذور في هذه الأرض[1].

وفي قصيدة "القدسُ تتكلمُ" للشاعر محمود حسن إسماعيل، يتحدث الشاعر عن صمود القدس أمام العدو، وعدم خضوعها له. وقد أشار الشاعر إلى أنَّ القدس على الرغم من أنَّها قد أصبحت أسيرة، إلاَّ أنَّها تأبى أنْ تصمت؛ لأنَّها لا تريد أنْ تستكين لوجود هذا الغاصب فوق ترابها، الذي تلطَّخت يداه بدماء الأبرياء، يقول الشاعر:[2]

حِينَ رَأَيْتُ ذَابِحَ التَّورَاة
وَقَاتِلَ الهَادِينَ للحياة..
وَشَارِبَ اللغةِ مِنْ آيَاتِي،
.. يَنْهَشُ نُورَ اللهِ مِنْ هَالاتِي
وَيُنْذِرُ الظلمةَ فِي سَاحَاتِي
وَيَغْرِسُ الرجسَ عَلَى رَاحَاتِي
.. تَضَرَّمَتْ فِي أُفْقِهَا ذَرَّاتِي
وَأَسْبَلَتْ أَجْفَانُهَا مَشْكَاتِي

---

[1] رقية زيدان، التغير الدلالي في شعر سميح القاسم، ص١٨٩.

[2] محمود حسن إسماعيل، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الثالث، ص١٤٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وَأَقْسَمَتْ بِأَنَّهَا صَلاتِي

مَهْمَا تَذُقْ مِنْ غَدْرِهِ وَيْلاتِي

.. لا بُدَّ أَنْ يَعُودَ لِي سُجُودِي

شبَّه الشاعر التوراة بشيء يذبح، واليهود هم القاتلون (الذَّابحون)، وفي هذه الاستعارة أراد الشاعر أن يبيِّن أنَّ التَّوراة قد حُرِّفت على يد اليهود، الذين غرسوا الرجس على راحات الشاعر، وفي هذه العبارة (وَيَغْرِسُ الرجسَ عَلَى رَاحَاتِي) استعارة، حيث جعل الشاعر الرجس كأنه شتلة أو نبتة غرسها العدو في الأرض (راحاتي).

لقد أظهرت النماذج السابقة، ما للاستعارة من أهمية ودور هام في بناء الصورة الاستعارية، وسموها على غيرها من الأشكال البلاغية الأخرى؛ لما لها من قدرة على التعبير عن الأشياء بشكل مكثف، كما أنَّها تحدث تفاعلاً دلالياً عندما يحل أحد الطرفين محل الآخر، بجامع مشترك بينهما، دون الحاجة إلى استخدام أداة من أدوات التشبيه، ومن هنا يكمن عمق الصور وكثافتها.

تلك كانت بعض النماذج الشعرية، التي شكَّلها الشاعر العربي في عرضه لصورة اليهودي وواقعه، والتي بنيت بعدة أساليب منها: التجسيد، التشخيص، التشبيه، الاستعارة.

٢- الصورة المركبة:

"هي مجموعة من الصور الجزئية المؤتلفة، والتي تستهدف تقديم عاطفة أو فكرة أو موقف على قدر من التعقيد أكبر من أن تستوعب صورة جزئية، فيلجأ الشاعر عندها إلى خلق صورة مركبة لتلك الفكرة أو العاطفة أو الموقف"[١]. وتُبنى الصورة الشعرية المركبة بعدة طرق، منها على سبيل المثال:

أ- المقابلة:

وهي "رسم صورتين مركبتين، مبنيتين على التضاد، يقابل الشاعر فيهما بين وضعين على طرفي نقيض، من خلال رؤيته الشعرية الخاصة"[٢]، ومن نماذج المقابلة في الشعر العربي، ما جاء في

---

[١] خالد سنداوي، الصورة الشعرية عند فدوى طوقان، ص٥٦.

[٢] محمد بن سالم بن سعيد الصفراني، شعر غازي القصيبي: دراسة فنية، ص٢٠٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University

شعر رجا سمرين حيث قابل في قصيدة "قالوا: فقلت" بين صورتين مركبتين، بُنيتا على أساس المقابلة والتضاد، يقول الشاعر:[1]

لا سِلْمَ إِنْ لَمْ أَجنِ مِنْ ثَمَرَاتِهِ غَيْــرَ الضَّياعِ بمهمهِ الإزراءِ[2]
إِنِّي سأَبْقَى للسَّــلامِ مُحَارِبــاً مَا عَاثَ لصٌّ في رُبَا الإِسْراءِ

...

لا للتَّفاوضِ والعَــدوُّ يَمُدُّ فِي أَرْضِـــــي المَوتَ للبُســطاءِ
لا للتَّفاوضِ والعَــدوُّ مُعَرْبِدٌ فِي القُدْسِ فِي الجُولانِ فِي سِينَاءِ

نحن أمام موقفين متناقضين من مواقف دعوة اليهود للسَّلام والاستقرار مع العرب والمسلمين في فلسطين. فالشاعر يعرض في الأبيات السابقة رفضه للسَّلام والتفاوض مع اليهود، فمن وجهة نظره، لا وجود لهذا السَّلام إن لم يكن مبنياً على الرضى بين الطرفين كما أشرنا آنفاً في صورة اليهودي عدو السلام، فالصورة الأولى جاءت معبرة عن رفض الشاعر للتفاوض مع اليهود، الذين يقولون زوراً وبهتاناً أنهم من دعاة السَّلام والساعيين له. وفي الصورة الثانية يناقض اليهود أنفسهم، فكيف يكونون محبين للسلام وهم يحاولون أن يبنوا دولتهم على أنقاض البيوت والمساجد والكنائس والمدارس المهدمة، وجثث الأطفال والنساء والرجال والشيوخ.

و قال الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدة "قولوا لهم":[3]

قُولُوا لَهُمْ.. أَيْنَ السَّلامُ الحَقُّ .. أَشْيَاعَ السَّلام؟!
والدَّاعِرُونَ.. يُمَزِّقون قَدَاسَةَ الأَرْضِ الحَرَام
الحَالِمُونَ بِدَوْلَةٍ فِي غَيْرِ مَوْطِنِهِمْ يُقَام

...

مِنْ أَيْنَ يَبْلُغُنَا السَّلامُ... وَفِي فِلَسْطِينَ اللئام
يَتَمَتَّعُونَ بِخَيْرِهَا... وَنَمُوتُ فِي لَيْلِ الخِيَام

---

[1] انظر: رجا سمرين، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٧٤- ٢٧٧.

[2] الإزْرَاء: التَّهاون بالشيء والتقصير. انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء السادس، مادة (زَرَا).

[3] انظر: هارون هاشم رشيد، ديوان هارون هاشم رشيد، ص١٣٢- ١٣٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يُقابل الشاعر بين وضعين متضادين، الأول نرى فيه أن أصحاب الأرض قد شردوا من بيوتهم وأرضهم ووطنهم، وأصبحت الخيام مأوىً لهم لا تقيهم حتى من حرِّ الشمس ولا برد الشتاء. وفي الوضع الثاني نرى أنَّ اليهود، من بعد أنْ كانوا هم المشردين في كلِّ بقاع الأرض، أصبحوا الآن هم السادة ومالكي الأرض، المسيطرين عليها، يتمتعون بخيراتها، التي جناها أصحابها، وقدمت لليهود على طبق من ذهب، دونما جهد أو تعب.

ب- المفارقة:

هي "إبراز التناقض بين موقفين متقابلين، هما طرفا المفارقة، كاشفةً عن واقع ينبغي أن يكون مكان ما هو كائن مما لا يقبله عقل في ظل الظروف الطبيعية"[١]. ويعرفها جريس بأنَّها: "لبُّ التناقض الذي يستشعره المشاهد في مقابل جهل الشخصية الغافلة في العمل الدرامي، وتصرفها بما يتوافق وهذا الجهل"[٢].

والمفارقة نوعان: النوع الأول هو المفارقة العكسية أي: "نقل الواقع بصورة معكوسة بقصد السخرية، والعكس هنا ليس لعبة مفرداتية، كما هو الحال في العكس البلاغي، الذي يعني إعادة الكلام بترتيب عكسي بغرض الزينة، ولكنه يستهدف المعنى بالدرجة الأولى، والمعنى العام الناتج عن الصورة المركبة بكل أبعادها"[٣]، أمَّا النوع الثاني فهو المفارقة الزمنية "وهي وضع الشيء في غير سياقه التاريخي، لخلق مفارقة تصويرية بأوجز عبارة، وأكثف دلالة "[٤].

ومن الأمثلة على تلك المفارقة، قول وليد الأعظمي في قصيدة " ليلة الرسول"، حيث يقول:[٥]

---

[١] محمد بن سالم بن سعيد الصفراني، شعر غازي القصيبي: دراسة فنية، ص٢٠٥.

[٢] خالد سليمان، نظرية المفارقة، مجلة أبحاث جامعة اليرموك، المجلد الأول، العدد الثاني، ١٩٩١م، ص٧٣.

[٣] المرجع نفسه، ص٢٠٧.

[٤] محمد بن سالم بن سعيد الصفراني، شعر غازي القصيبي: دراسة فنية، ص٢٠٨.

[٥] وليد الأعظمي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٥٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مَتَى اسْتَطَاعَ يَهُودٌ خَوْضَ مَعْرَكَةٍ يَا للهوانِ!! فَمِن نَحْنُ ننهْزِمُ؟

يتساءل الشاعر من خلال رسمه لصورة من صور الشخصية اليهودية المتمثلة في جبن اليهودي وضعفه في مواجهة غيره، فيستنكر عليهم قدرتهم على خوض معركة بشكل مباشر مع العرب والمسلمين. وقد أراد الشاعر من ذلك أنْ يوجِّه خطاباً مباشراً للعرب الذين انهزموا أمام اليهود الجبناء، فوضعنا أمام مفارقة عكسية بقصد السخرية من حال العرب، الذين كانوا يعرفون – تمام المعرفة– بأنَّ اليهود لولا أسلحتهم الفتاكة ودباباتهم المدرعة ما استطاعوا أنْ يقفوا على أرضنا ويسلبونا حقنا، لذا حاول الشاعر أن يخلق مفارقة تصويرية تتصف بالمعنى المكثف والقدرة على إيصال المعنى المرادف من الصورة بأوجز عبارة.

ونلمح مفارقة أخرى في قصيدة "جنديٌّ يحلمُ بالزنابق البيضاء" للشاعر محمود درويش، حيث يقول:[1]

يَحْلُمُ بِالزَّنَابِقِ البيضاءْ
بِغُصنِ زَيْتُون..
بِصَدْرِهَا المُورَق فِي المَسَاء
...
سَأَلْتُهُ: والأَرْض؟
قَالَ: لا أَعْرِفُهَا
وَلا أُحِسُّ أَنَّها جِلْدِي وَنَبْضِي
...
وَكُلُّ مَا يَرْبِطُنِي بِالأَرْضِ مِنْ أَواصر
مَقَالَةٌ نَارِيَّة.. مُحَاضَرَه !

[1] انظر: محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص٩٣– ٩٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يقول ذلك الجندي: أنَّه يحبُّ السَّلام، ولكنه مُجبر على كلِّ ما يقوم به أيضاً. ومن هنا تكمن المفارقة، فهو يقول شيئاً ويفعل النقيض منه. فالسَّلام من وجهة نظره هو ما يمارسه من القتل والتدمير، وهذا الأمر مفارق لما تحمله كلمة السَّلام من معان[١].

فكيف لمن لا يعرف معنى الأرض وأهميتها لأصحابها أنْ يحبَّ السَّلام ويسعى إلى تحقيقه. وقد أنهى الشاعر مفارقته الشعرية بذكر ما يحلم به الجندي الصهيوني بأنْ يرجع إلى وطنه؛ لأنه اكتشف أخيراً أنَّ ما قالته له تلك الحركة الصهيونية، ليس سوى حلم خادع. وما يشعر به ذلك الجندي هو ما يطلق عليه اسم "صحوة الضمير"[٢].

ويقدِّم سليمان العيسى في خطاب وجهه للجنرال الإسرائيلي، صورة مبنية على المفارقة الدرامية، حيث يقول في قصيدة "نشيد الحجارة:[٣]

يا أَيُّهَا الجِنرالُ .. يا مَنْ يَمْتَطِي دَبَّابةً،
ويَجِيءُ يَحْصُدُهُمْ..
لماذَا الذُّعْرُ؟
أَطْفَالُ الخيامِ النائمونَ عَلى الطَّوى،
مُنْذُ اغتصبتَ طَعَامَهُمْ وتُرابَهُمْ،
لا يَمْلِكُونَ سِوى الحِجَارةْ..

حاول الشاعر من خلال تلك المفارقة والتناقض لحال ذلك الجنرال الخائف، مع علمه بأن الشعب الذي يهابه لا يملك شيئاً، لا يملك أي سلاح يواجهه به، أويشهره في وجهه، إن وقف أمامه، واعتدى عليه، فعلام هذا الخوف والجبن؟! إنَّ التصرف الذي أظهره الجنرال الإسرائيلي يثبت للعالم أجمع أنه يتجاهل حقيقة الوضع الراهن الذي يعيشه أبناء الشعب الفلسطيني، وإنْ دلَّ هذا على شيء فإنما يدل على مدى ذلك الخوف والجبن المتأصلين في نفوسهم.

---

[١] ناصر فهد علي، بنية القصيدة في شعر محمود درويش، ص٢١١.

[٢] المرجع نفسه، ص٢١٢.

[٣] سليمان العيسى، نشيد الحجارة: مجموعة قصائد، ص١٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويؤكِّد أمل دنقل في قصيدة "لا تُصالح" حقيقة مزاعم اليهود وافتراءاتهم، التي تقضي بأنَّ لهم حقاً بأرض فلسطين، وذلك من خلال عرضه لمفارقة شعرية قصد من وراء تشكيلها السخرية والتهكم من تلك الشخصية المدعية بالحق الذي لا أساس له، يقول:[1]

هَذِهِ الأَرْضُ الَّتِي مَا وَعَدَ اللهُ بِهَا..
مَنْ خَرَجُوا مِنْ صُلْبِهَا
وانْغَرَسُوا فِي تُرْبِهَا
وانْطَرَحُوا فِي حُبِّهَا
مُسْتَشْهِدِين
... ...
... ...
مَا دَخَلُوهَا "بِسَلامٍ" آمِنِين!!

لقد وعد الله أنْ يُعطي الأرض لمن تمسَّك بها وبالدين الإسلامي الحنيف، وعمل من أجلها بكلِّ ما جاء فيه من مبادئ وتشريعات. ولكن هذا المقطع الشعري أظهر لنا حقيقة قاطعة تقضي بأنَّ الحق لم يكن يوماً لليهود، الذين كفروا بالله وبأنبيائه، وجحدوا بكل النعم التي أنزلها الله عليهم، لذا لم يستحقوا تلك الأرض، بل استحقها كل من اعتنق هذا الدين، وشكر الله على نعمه. ومن خلال طرح الشاعر لتلك الصورة المبنية على المفارقة، وذلك من حيث إن الذين اكتسبوا من الله هذا الحق وذاك العطاء قد طردوا من الأرض المقدسة، واستولى عليها اليهود الذين لم يحاولوا أنْ يتمسَّكوا بها، بل جعلهم غرورهم واستعلاؤهم، يجحدون بالله وبنعمه وينكرونه، فوضعوا أيديهم على تلك الأرض وكل ما فيها من خيرات. وفي قوله: "ما دخلوها "بسلام" آمنين!!"، يُظهر لنا نبرة مليئة بالسخرية والتهكم من تلك الحياة بكل ما فيها من مفارقات وتناقضات، فمن تمسك بالأرض وأحبها، ناله الضيم وعدم القدرة على التمتع بخيرات بلاده

[1] أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٣١٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

التي جناها بنفسه، وعلى العكس من ذلك يظهر لنا أنَّ من باعها وخسرها هو الذي سيدخلها بسلام وآمان وفي هذا العجب العجاب[١].

٣- الصورة الكلية:

وهي التي تمثِّل تجربة الشاعر الشعرية ولحظة انفعالاته، وهي كيان عضوي متكامل يتكون من عنصرين أساسيين هما: المادة الشعرية، بكلِّ ما تحويه من أفكار وعواطف وأحداث، والبناء الشعري، الذي ينقل المادة الشعرية إلى أشكال وقوالب متعددة[٢]. وتُبنى الصورة الكلية من خلال الأساليب الآتية:

أ- البناء الدرامي (القصصي- الحواري)

ويتم بناء تلك الصورة من خلال اعتماد الشاعر على عناصر التعبير الدرامي. وهي: الحوار بنوعيه الداخلي (مونولوج) والخارجي (ديالوج)، والسرد القصصي، وذلك لتمثيل جوهر الدراما وهو (الصراع بكلِّ أنواعه) بالإضافة إلى الحركة. ويتجلى هذا الأسلوب في القصائد المجسدة للصراع بين المتناقضات[٣].

فمَنْ يطالع شعر فدوى طوقان يرَ أنَّها قد لجأت في بعض قصائدها إلى هذا النوع من الصور الكلية، ومن بين تلك القصائد، قصيدة "حمزة"، تقول فيها:[٤]

كَانَتِ الخَمْسَةُ وَالستُّونَ عَام
صَخْرَةً صَمَّاءَ تَسْتَوْطِنُ ظَهْرَهُ
حِينَ أَلْقَى حَاكِمُ البلدةِ أَمْرَهُ:
"انْسِفُوا الدَّارَ وشُدُّوا

---

(١) عاصم "محمد أمين" بني عامر، لغة التضاد في شعر أمل دنقل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ص٩٠.

(٢) ساكب قالط أبو دلو، التشكيل الدلالي والمعرفي في شعر أمينة العدوان، دار أزمنة، عمان، ٢٠٠٩م، ص١٤٣.

(٣) المرجع نفسه، ص١٤٦.

(٤) فدوى طوقان، ديوان فدوى طوقان، ص٥٤٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ابْنَه فِي غُرْفَةِ التعذيبِ!" أَلْقَى
حَاكِمُ البلدةِ أَمْرَهُ
ثُمَّ قَامَ
يَتَغَنَّى بِمَعَانِي الحُبِّ وَالأَمْنِ –
وَإِحْلالِ السَّلام!

لقد اعتمدت الشاعرة أسلوب السرد، الذي كان له دور فعال في تجسيد تجربتها الشخصية ومعاناتها مع العدو. وبهذا الأسلوب أبرزت الشاعرة ملامح شخصية حمزة وقصته مع العدو الذي قام بهدم بيته وتعذيب أطفاله.

ومن تكرار العبارة التالية "ألقى حاكم البلدة أمره" تنبع الكثير من التساؤلات، من بينها: من نصَّب هذا الحاكم؟ وبأي حق أو سلطة يحكم؟ وبأي حق يحكم على العم حمزة الذي تمسَّك بأرضه ما يناهز الخامسة والستين عاماً وقد لقي في سبيل الحفاظ عليها الكثير من المعاناة والظلم ومن ثم يأتي ذلك الحاكم ويصدر أمره غير المقبول، والذي يقضي بإخلاء البيت وتدميره.

إنَّ للأسلوب القصصي الدرامي دوراً بارزاً في تقديم رؤية الشاعرة وتجربتها الفنية القصصية الحية، وذلك اعتماداً على بناء الصور الشعرية المليئة بالإيحاءات والإشارات.

كما بنى علي صدقي عبد القادر قصيدته "حكاية جدة لحفيد" على الأسلوب الدرامي (القصصي– الحواري) وفيها عرض لجانب من جوانب الشخصية اليهودية، التي تحمل في دواخلها الغدر والحقد تجاه الشعب الفلسطيني، وذلك من خلال قصة، يقول فيها:[1]

في ليلةِ الشِّتاء
تَقصُّ جدةٌ على حفيدِهَا حِكَايةً مِنْ دَم
عَنْ جَارةٍ كَانتْ لَهَا مِنَ اليَّهُود
...
كانتْ إِذَا أَرادتْ استعارةِ الغربال

[1] انظر: علي صدقي عبد القادر، ديوان اشتهاء مع وقف التنفيذ، ص١١١– ١١٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تَدقُّ مرةً علَى الجِدار واحدةً
ومرتين إنْ أَرادتْ عُلْبَةَ الوَقيد
وأربعاً للملحِ والتَّوابل
تقول ما تريد جارتي بدقِّها على الجدار
وعِنْدَما وضعتُ خالداً أَباك يا حفيدي
أَهدتْ إِليهِ مُصْحَفَ القرآن
...
حفيدي الصَّغير
اغْفِرْ خطيئَتي، لأَنَّني بِجَارتِي خُدِعت
لَمْ أكتشفْ بِأَنَّها أَفعى إِذَا جَنَّ الظَّلام
وبالنهار، مرأة، وجارتي القديمة

قدَّم الشاعر صورة كلية مبنية بالأسلوب الدرامي (القصصي) لغدر اليهود ونكرانهم الجميل، وذلك من خلال تقديم صوت وحيد يقوم برواية حادثة هذا الغدر وأسبابه، موحياً بعمق المأساة التي تعرض لها هذا الشعب. وقد أنهى الشاعر قصته بطلب الجدة الغفران من حفيدها الصغير، لأنَّها وثقت بذلك الضيف "الجارة"، الذي طعن من آواه وقدَّم له كلَّ احتياجاته، وكأن تلك الضيافة كانت المسوغ والممهد الأول لاحتلال اليهود لأرض فلسطين وتسلطهم عليها وعلى أبنائها.

ونهاية القصة توحي بأخذ العظة والعبرة والإفادة منها؛ علها تكون درساً قاسياً لعدم وثوق المضيف بكل من يحل عليه ضيفاً، فنحن – العرب والمسلمين– معروفون بكرمنا وجودنا عند استضافتنا دونما تدقيق بالضيف وغاياته.

وقد عمد توفيق زياد أيضاً في قصيدة "مقتلُ عواد الأمارة في كفركنا" إلى هذا الأسلوب معتمداً على "سرد القصص وتصاعد الأحداث وذروتها وحلها في النهاية، والحوار بنوعيه: الخارجي والداخلي، يقول:[1]

[1] انظر: توفيق زيَّاد، ديوان توفيق زيَّاد، ص٢٤٤– ٢٥١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الصوت الأول

عَلَى الأَسْفَلَتِ مَاتَ اليومَ (عَوَّاد الأمارة)

رَغِيفُ الخبزِ فِي يَدِهِ، وَفَوْقَ الكَتِفِ فَأْسُ

رَصَاصَاتٌ ثَلاثٌ

جِئْنَهُ يصفرنَ

مِنْ صَوْبِ البيادرْ!!

...

الصوت الثاني

كَانَ عَوَّادُ الأمارة طَيِّباً، شَهْمَاً، شُجَاعاً!

يُطْعِمِ الأَرْضَ، إِذَا جَاعَتْ،

جَبِيناً وَذِرَاعَا

كُلُّ مَا كَانَ..

رَصَاصَاتٌ ثَلاثٌ،

غِبْنَ فِيهِ..

فَتَداعَى

الصوت الثالث

كَانَ يَهْوَى الضَّحِكَ، وَالأَطْفَالَ، وَالتبغَ المُحَلَّى

كَانَ يَهْوَى الرَقصَ فِي الأَعْرَاسِ

وَالشاي الثَّقِيلِ

...

قدَّم لنا الشاعر قصته من خلال مجموعة من الأصوات أو الشخصيات. فالصوت الأول يروي حادثة مقتل عواد الأمارة، واضعاً المتلقي أمام موته وفي يده "رغيف خبز"، وفوق كتفه فأسه، يخط به على وجه الأرض قصته معها، يعبِّر لها عن حبه وحنانه. وهذا التصوير فيه " إشارة إلى عمق المأساة التي تعرض لها عواد، وإلى تمسكه بالأرض يزرعها ويأكل من خيرها، يعطيها فتعطيه، إضافةً إلى أنَّ عواد يمثِّل جزءاً من الشعب الذي يعاني معاناته.

وفي الصوت الثاني، يتحدث الشاعر عن شخصية عواد وملامحها، فيصوره بأنَّه إنسان طيب وشهم وشجاع، وقد كشف هذا الصوت عن هوية عواد وعلاقته بالأرض وأهلها. أمَّا الصوت الثالث،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فيمثِّل وصفاً لحياة عواد اليومية البسيطة، فنجده محباً للضحك والأطفال والرقص والشاي الثقيل... إلخ[١].

فكلُّ صوت هنا يصف جانباً من جوانب شخصية عواد الأمارة، الذي صرعته تقاليد الثأر، وبتلاحم تلك الأصوات الثلاثة أكد الشاعر للمتلقي أن الفاعل والقاتل هي أفعى الاحتلال "إسرائيل" التي تغذي مثل هذه النعرات الهدامة، حتى غدا كل صوت جزءاً من القصة/ القصيدة[٢].

ب- بناء الصورة الكلية من خلال المقاطع:

ويكون "من خلال وحدات شعرية متنوعة، تستقل كل وحدة عن الأخرى بأسلوب البناء من خلال التعاقب في القصيدة، والذي يجمع هذه المقاطع أو الوحدات الشكل العام للقصيدة، التي يربطها ربطاً محكماً بوحدة متكاملة نفسية أو منطقية أو عضوية أو معنوية. ويكون هذا الترابط أساساً في بناء القصيدة "الصورة الكلية"[٣].

وهي "المحصلة النهائية التي تصور الرؤيا المتكاملة للشاعر بجوانبها المختلفة في قصيدة ما، وتشكل بجملتها فناً كامل الخلقة والروح. وهي وليدة الوحدة العضوية أو النفسية التي تخلق التلاحم بين صور القصيدة المتتالية كافة"[٤].

وتأتي تلك المقاطع بعدة أشكال، منها على سبيل المثال: تكرار كلمة أو عبارة كلازمة في كل مقطع من مقاطع القصيدة، وقد يستعمل الشاعر بدلاً من ذلك أرقاماً، بمعنى أن يلجأ الشاعر إلى ترقيم كل مقطع من تلك المقاطع بأرقام أو أحرف متسلسلة، أو من خلال عنونة تلك المقاطع بعناوين مستقل بعضها عن بعض، فكل مقطع يحمل عنواناً خاصاً، لتشكل المقاطع في نهاية الأمر قصيدة متكاملة يجمعها وحدة

---

(١) انظر: إبراهيم نمر موسى، أشكال التناص الشعبي في شعر توفيق زيّاد، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، جمادى الأولى١٤٣٠هـ/ يونيه ٢٠٠٩م، ص٨٠-٨١.

(٢) انظر: فاروق مواسي، نبض المحار دراسات في الأدب العربي، مجمع القاسمي للغة العربية وآدابها، ٢٠٠٩م، ص١٠٢-١٠٣.

(٣) ساكب قالط أبو دلو، التشكيل الدلالي والمعرفي في شعر أمينة العدوان، ص١٥٣.

(٤) إيمان "محمد أمين" خضر الكيلاني، بدر شاكر السياب: دراسة أسلوبية، ص٦٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عضويةٌ. ومن بين النماذج الشعرية الممثلة لذلك الأسلوب، قصيدة "بطاقةُ هُوية" للشاعر محمود درويش، التي عبَّر الشاعر من خلالها عن فقدان الهُوية، باستخدام صيغة المتكلم المفرد، وصيغة الخطاب بلهجة الأمر (سجِّل)، والاستفهام الذي يفيد الاستفزاز والتهكم (فهل تغضب؟)، مؤكِّداً أصالة الانتماء إلى عناصر الطبيعة وغرس أوتاره في الأرض؛ لكونه فلاحاً، يقول[1]:

سَجِّلْ!
أَنَا عَرَبي
ورَقَمُ بِطَاقَتِي خَمْسُونَ أَلْفْ
وَأَطْفَالي ثَمَانيةٌ
وَتَاسِعُهُمْ.. سَيَأْتِي بَعْدَ صَيْفْ!
فَهَلْ تَغْضَبْ؟
سَجِّلْ!
أَنَا عَرَبِي
وَأَعْمَلُ مَعْ رِفَاقِ الكدحِ فِي مَحْجَرْ
وَأَطْفَالي ثَمَانِيةٌ
...
فَهَلْ تَغْضَب؟
سَجِّلْ!
أَنَا عَرَبِي
أَنَا اسْمٌ بِلا لَقَبْ
صَبُورٌ فِي بِلادٍ كُلُّ مَا فِيهَا
يَعِيضُ بِفَورَةِ الغَضَبْ
...
فَهَلْ تُرْضِيكَ مَنْزِلَتِي؟
أَنَا اسْمٌ بِلا لَقَبِ!
سَجِّلْ!
أَنَا عَرَبِي
وَلَوْنُ الشعرِ فَحْمِيٌّ

[1] انظر: محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص٣٥- ٣٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وَلَوْنُ العينِ بُنيُّ

...

فَهَلْ تَغْضَبْ؟

هكذا وظَّف محمود درويش البناء المقطعي في شعره، حيث جسَّد في تلك المقاطع عروبته ومعاناته، متخذاً من ذلك سلاحاً لمقاومة المحتل. وقد بنى الشاعر تلك القصيدة من خلال لجوئه إلى تقسيمها إلى مجموعة من المقاطع، أكد لنا ذلك تكرار العبارتين "سجِّل أنا عربي" في بداية كل مقطع، وعبارة "فهل تَغْضَبْ؟" في نهاية كل مقطع، كإشارة إلى نهاية المقطع السابق وبداية مقطع جديد لاحق.

فالشاعر يُعلن أنَّه عربي لا يكره الناس، وإنَّما يكره كلَّ من يعتدي عليه، ويحاول أَنْ يسلبه ما يملك هو وأبناء وطنه. وهذا ما حصل، فالشاعر بعد أَنْ أكل اليهود حقه، وسلبوا أرضه وبيته، وشردوا عائلته، أعلن لهذا المحتل، أنه قد يصبح آكلاً للحوم البشرية، إن أغضبه، فهو يحذر عدوه من ثورة غضبه وجراحه[1].

وقال حسني فريز في قصيدة "أهلنا.. وأهلهم والحلف القذر":[2]

١- أَهْلُنَا

هُمُو نَامُو وَهَلْ نَامُوا؟

عَلَى أَنَّاتِ جَرْحَاهِمْ

عَلَى المَفْقُودِ وَالمَطْعُونِ وَالمَقْتُولْ

عَلَى مَا سَادَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ سَقَمِ

عَلَى لَيْلٍ يُقطِّعُهُ الجُنَاةُ بَوابِلَ مِنْ نَار

عَلَى الأَطْفَالِ والنسوانِ والعَجزةْ

عَلَى مَنْ نَام مَحْمُومَاً وَمَكْسُوراً عَلَى الأَرْضِ

٢- وَأَمَّا أَهْلُهُم

كَذَلِكَ تَأْمُرُ التَّوراة

تُحَرِّمُ كُلَّ ذِي رُوح

---

[1] رجاء النقاش، محمود درويش: شاعر الأرض المحتلة، ص٢٢٩.

[2] انظر: حسني فريز، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٤٢٦- ٤٢٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وَتَأْمُرُهُم بِلا شَفَقَة
وَتَدْفَعُهُم بِلا رَحْمَةٍ، لِذَبْحِ الكلِّ
فَهُمْ أَبْنَاؤُهَا البَرَرَةْ
ونِعْمَ الدينُ والتعليمُ والحاضرُ والماضي
٣- الحِلْفُ القَذِرُ
ونِعْمَ الحلفُ والأحلافْ
نِعْمَ العالمُ الحرُّ
ونِعْمَ العالمُ الموبوءُ بِالظُّلم وبِالغدر
فَلا يَرْضَى المسيحُ بِمَا فَعَلْتُم
ولا يَرْضَى جميعُ العالمينا
فَمَا الحجةُ فِي القتلِ وفِي التنكيلِ والغدر
بِكُلِّ محلةٍ ظلمٌ وتوهينٌ وتنكيلٌ وتقتيل
يجيء الدور حيث يكون عزُّكم إلى ذلِّ

نرى الشاعر قد بنى قصيدته على أساس البناء المقطعي، حيث قسمها إلى عدة مقاطع، يدور كلُّ مقطع حول فكرة ما، يريد أنْ يوصلها مجتمعة للمتلقي. ففي المقطع الأول يتحدث الشاعر عن أهله القابعين تحت وطأة الاحتلال وتسلط المحتلين عليهم، وحال أهله وأبناء شعبه، بعد أن فقدوا أحبائهم وطعامهم ودواءهم.

وفي المقطع الثاني يتحدث عن الاحتلال وأهله، وعن الذين يعملون بما جاء في ثنايا كتبهم المقدسة، وكيف أنَّ توراتهم وتلمودهم يأمرانهم بقتل الأطفال الأبرياء، دون أية شفقة أو رحمة، حتى يتمكنوا من استرجاع ما يزعمون أنه ملكهم وحقهم.

وفي المقطع الأخير ذكر أحلاف "حلفاء" المحتل، وعالمهم الحر الذي نشأ على الظلم، سواء أكان هذا الظلم مكتسباً اكتساباً من طبيعة الحياة، أم متأصلاً في نفوسهم منذ أنْ خلقهم الله. وينهي الشاعر قصيدته بالحديث عن سيدنا عيسى عليه السلام، الذي لم يرضه أن يظلم اليهود أبناء الشعب الفلسطيني العربي، فيقول: إن الزمن يدور، فمن يتوقعون أنفسهم أعزاء، وأنَّ غيرهم أذلاء خلقوا لخدمتهم، فإنَّه سيحين

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الوقت، ويدور الزمن وينقلب كلُّ شيء رأساً على عقب، فمن ظنوا أنهم أعزاء، سيصبحون بعد ذلك أذلاء، بإذن الله عزوجل.

ومن يتأمل المقاطع الثلاثة يجد أنَّ الشاعر قد لجأ إلى عنونة تلك المقاطع، وذلك من خلال تقسيم فكرته، التي أراد أنْ يوصلها للمتلقي إلى ثلاثة أقسام، ففي القسم الأول أراد أنْ يتحدث عن أهله والظلم الذي وقع عليهم، لذلك عنون المقطع الأول بـــ (أهلنا)، وفي القسم الثاني أراد أنْ يضع صورة مقابلة لما جاء في القسم الأول، حيث تحدث عن الإحتلال وأهله، لذا عنون المقطع الثاني بـــ (أما أهلهم)، وأخيراً عنون المقطع الثالث بـــ (الحلف القذر)، مع استخدامه للأرقام إلى جانب تلك العناوين المستقلة التي يجمعها وحدة عضوية من أول القصيدة إلى آخرها، مشكلاً في النهاية صورة كلية من خلال البناء المقطعي.

ج- بناء الصورة الكلية من خلال التوازي (التناظر):

التوازي: "عنصر بنائي في الشعر، يقوم على تكرار أجزاء متساوية، فيولد نتيجةً لذلك إيقاعاً موسيقياً معيناً، وقد يشمل التوازي مستويات متعددة في النص، نحو المستوى الصوتي، والمستوى النحوي، والمستوى الدلالي، وما إلى ذلك"[1]. وهو عبارة عن "تماثل أو تعادل المباني أو المعاني في سطور متطابقة الكلمات، أو العبارات، القائمة على الازدواج الفني وترتبط ببعضها، وتسمى عندئذ بالمتطابقة أو المتعادلة أو المتوازية، سواء في الشعر أو النثر، خاصة المعروف بالنثر المقفى، أو النثر الفني، ويوجد التوازي بشكل واضح في الشعر، فينشأ بين مقطع شعري وآخر، أو بيت شعري وآخر[2].

---

[1] فتحي "محمد رفيق" يوسف أبو مراد، شعر أمل دنقل: دراسة أسلوبية، ص١٨٥.

[2] انظر: عبد الواحد حسن الشيخ، التوازي والبديع، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، سلسلة اللغة العربية، ص٧- ٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والتوازي أنواع: يكون أحياناً مترادفاً بحيث يعيد الجزء الثاني الجزء الأول في تعابير أخرى، ويكون أحياناً متضاداً، بحيث يضاد الجزء الثاني الجزء الأول، ويكون أحياناً توليفياً بحيث يحدد الجزء الثاني الجزء الأول[١]. وقد عرف د. محمد مفتاح توازي التناظر بقوله: "تقصد به الشعر الذي يكتب بكيفية معينة في فضاء الصفحة، أي الشعر الذي يدعى بالشعر ""الفضائي" أو الشعر "الكاليغرافي"[٢].

ولبناء الصورة الكلية بهذا الأسلوب، لا بدَّ للشاعر من أنْ يرسم صورتين أو شخصيتين تناظر إحداهما الأخرى وتوازيها، "لبيان المفاضلة أو التطور، أو استحالة العودة للماضي"[٣]، لذا يقوم الشاعر بتشكيل صور مفردة متعددة، ليشكِّل في النهاية صورة كلية واحدة، يقابل كل صورة مفردة صورة مفردة أخرى، وذلك في خط متواز حتى نهاية القصيدة[٤]. ومن نماذج هذا الأسلوب، ما قاله الشاعر أمل دنقل في قصيدة "لا تصالح":[٥]

لا تُصَالِحْ،
إِلَى أَنْ يَعُودَ الوجُودُ لِدَوْرَتِهِ الدائرة:
النجومُ .. لِمِيقَاتِـــهَا
والطيورُ .. لأَصْوَاتِهَا
والرِّمَالُ .. لِذَرَّاتِـــهَا

نلاحظ أنَّ الشاعر قد شكَّل تلك الأسطر الشعرية السابقة بالاعتماد على أسلوب التوازي (الصوتي والعروضي). فالتوازي الصوتي ينتج عن تكرار أصوات القافية (اتها)، التي أحدثت في القصيدة جرساً موسيقياً خاصاً. أمَّا التوازي العروضي، فقد شكله الشاعر من خلال موازاته بين تفعيلات العبارات

---

[١] محمد مفتاح، التشابه والاختلاف: نحو منهاجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٦م، ص٩٧.

[٢] المرجع نفسه، ص١٠٩.

[٣] ساكب قالط أبو دلو، التشكيل الدلالي والمعرفي في شعر أمينة العدوان، ص١٦٣.

[٤] المرجع نفسه، ص١٦٣.

[٥] أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٣٣٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الآتية: (النجوم .. لميقاتها)، (الطيور .. لأصواتها) و (الرمال .. لذراتها)[1]. ويتضح لنا ذلك التوازي بين التفعيلات من خلال التقطيع العروضي الآتي:

النجوم .. لميقاتها ←— – ب – ب ب – – ب –
الطيور .. لأصواتها ←— – ب – ب ب – – ب –
الرمال .. لذراتها ←— – ب – ب ب – – ب –

وهذه الأسطر الشعرية على وزن مجزوء المتدارك، وقد جاءت تفعيلاتها على النحو الآتي: فاعلن، فعلن، فاعلن.

وقد كثَّفت الشاعرة أمينة العدوان في قصيدة "أقيم في زنزانة" تجربة العربي في هذا الزمن، حيث حصرت وجوده ما بين أربعة جدران ضيقة، معتمدة في بنائها لصورتها الكلية على أسلوب التوازي:[2]

حِيْنَمَا أَحْرَقُوا مَسْجِداً
رَسَمْتُ مَآذِن
رَسَمْتُ الأَقْصَى، رَسَمْتُ القِيامة
...
حِيْنَ مَنَعُوا الأَنَاشِيدَ الوطنية
رَسَمْتُ عَبَاءةً، كُوفِيةً، عِقَالاً
رَسَمْتُ مُقَاتِلاً، سَيْفاً، حِصَاناً
رَسَمْتُ وَنَظَرَاتُهُمْ تُلاحِقُنِي
رَسَمْتُ وَأَقْدَامُهُمْ تُلاحِقُنِي

أدى أسلوب التوازي دوراً بارزاً في بث روح المقاومة والتحدي، ومكافحة شتى أنواع الظلم وأشكاله، وطمس معالمنا العربية والإسلامية[3]. وبإنعام النظر في المقابلة التي رسمتها الشاعرة أمينة العدوان بين الأفعال الحسية، التي تحمل معاني الشدة والعنف، على النحو الآتي:

---

[1] فتحي "محمد رفيق" يوسف أبو مراد، أمل دنقل: دراسة أسلوبية، ص١٨٧.
[2] انظر: أمينة العدوان، الأعمال الشعرية ١٩٨٢م- ١٩٨٨م، ص٤٣- ٤٤.
[3] ساكب قالط أبو دلو، التشكيل الدلالي والمعرفي في شعر أمينة العدوان، ص١٦٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أَحْرَقَ ← رَسَمَ

مَنَعَ ← رَسَمَ

أَقَامَ ← رَسَمَ

طَرَدَ ← رَسَمَ

ففي الأفعال السابقة (أحرق، منع، أقام، طرد) إيحاء بقسوة الاحتلال وظلمه الذي استهدف أناساً أبرياء. أما الفعل (رسم) وهو الفعل الموازي والمقابل للأفعال السابقة، فإنه يشير إلى روح المقاومة والكفاح ضد ذلك الإحتلال، ففي الفعل (رسم) يكمن موطن القوة: قوة الحلم، وبهذا يكون الفعل (رسم) هو ردة الفعل لكل ما يقوم به الاحتلال من ممارسات قمعية، وتوازي الشاعرة كل ذلك العنف بمنطق المثل القائل: (لا يفل الحديدَ إلا الحديدُ)[1] .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

[1] ساكب قالط أبو دلو، التشكيل الدلالي والمعرفي في شعر أمينة العدوان، ص١٦٤.

المبحث الثالث

الموسيقا الشعرية

الموسيقا في الشعر كاللغة والصورة، ترتبط بالحالة النفسية التي يحسها الشاعر، وهذا الأمر ينعكس على القصيدة التي ينظمها[1]؛ لذا سعى الباحثون والنقاد إلى دراسة الموسيقا الشعرية، وذكر أهميتها التي تنعكس على القصيدة، ويظهر أثرها في المتلقي.

لقد شكَّلت الموسيقا الشعرية دعامةً من دعامات الشعر العربي قديماً وحديثاً، كما أنَّها تشكِّل ركناً أساسياً في تذوق القصيدة الشعرية والحكم عليها. فالموسيقا، برأي عز الدين إسماعيل، تقوم في أساسها على فرضية تتمثل في أنَّ القصيدة بنية إيقاعية خاصة، ترتبط بحالة الشاعر التي تكتنفه، فتعكس هذه الحالة لا في صورتها المهوشة التي كانت عليها من قبل في نفس الشاعر، بل في الصورة الجديدة المتناسقة، التي من شأنها أنْ تساعد آخرين على الالتقاء بها وتنسيق مشاعرهم المهوشة وفقاً لنسقها[2].

إنَّ للموسيقا أهميةً في شعرنا العربي، ولها دور كبير في إحداث جرس موسيقي في القصيدة، تؤثر في نفس المتلقي؛ لكونه بطبيعته ميَّالاً إلى سماع الموسيقا وكل ما من شأنه أن يحدث انسجاماً وتناغماً من الأصوات، التي تهتز مشاعر المتلقي لها[3].

وبإزاء هذه القيمة الفنية للإيقاع الموسيقي في الشعر، كان من واجبي أنْ أتطرَّق إلى دراسة تلك الموسيقا بنوعيها: الخارجية وتتمثل في الوزن والقافية، والداخلية التي تتمثل في المحسنات البديعية (وهي جزء بسيط من الموسيقا الداخلية). وسيتم دراسة الموسيقا الداخلية والخارجية كلاً على حده في هذا المبحث.

---

(1) ساكب قالط أبو دلو، التشكيل الدلالي والمعرفي في شعر أمينة العدوان، ص٢٦٤.

(2) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص٥٦.

(3) ميرفت دهان، نزار قباني والقضية الفلسطينية، بيسان، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٦٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الموسيقا الخارجية

تأتي الموسيقا الخارجية من الوزن والقافية اللذين يشكلان قاعدتين أساسيتين، يسير وفقهما جميع الشعراء عند نظمهم للقصيدة، لذا نرى أنَّ الوزن والقافية هما الأساسان اللذان يبني عليهما الشعراء نصوصهم الشعرية.

(أ) الوزن:

الوزن هو الركن الأساسي الذي تقوم عليه القصيدة، كما أنَّه العنصر الأهم، الذي يميز بين الشعر والنثر ويفصل بينهما. والوزن من حيث الأهمية، ليس مجرد تفعيلات تبنى عليها القصيدة، بل للوزن دور في تثبيت المعنى في ذهن المتلقي[1]، لذا كان الوزن هو أساس الإيقاع في الشعر؛ "لأنَّه يضبط المستويات الصوتية للحروف والكلمات وما تكون من مقاطع وأجزاء، وينظم العلاقات التنغيمية بينها، ويبرز مختلف أنواع النبر والنقر، وينسق الاهتزازات الإيقاعية والانسجامات الصوتية والموجات الموسيقية"[2].

من هنا اعتبر الوزن هو الطريقة الأفضل التي يعتمد عليها الشاعر في فرضه لموقفه الشعري، الذي ينبغي أنْ تُعبِّر عنه تلك القصيدة التي يود نظمها؛ لشدِّ انتباه المتلقي إليها، حتى لا يحدث في ذهنه تشتيت، لذا يكون الوزن وسيلة الشاعر لتحويل المتلقي إلى تجربة جمالية[3].

ولبيان ذلك الجانب المهم في الموسيقا الشعرية، لا بدَّ من دراسة الوزن دراسةً تحليليةً تطبيقيةً على بعض النماذج الشعرية، التي عرضت صورة اليهودي بين ثناياها؛ بغية معرفة البحور الشعرية التي إرتآها الشاعر العربي في عرضه لتلك الصورة، ولمعرفة هل نظم جميع الشعراء، في هذا الجانب، على

---

(١) ميرفت الدَّهان، نزار قبَّاني والقضية الفلسطينية، ص١٦٣.

(٢) عبد الرحيم كنوان، منْ جماليات إيقاع الشعر العربي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ٢٠٠٢م، ص٢٦.

(٣) انظر: محمد بن سالم بن سعيد الصفراني، شعر غازي القصيبي: دراسة فنية، (د.ن)، الرياض، ٢٠٠٢م، ص٣٧٣-٣٧٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

بحر معين؟ أم أنه سعى إلى التنويع في البحور والأوزان، حسب الحالة النفسية التي اكتنفته وقت نظمه لقصيدته؟.

فإذا ما نظرنا مثلاً إلى شعر الشاعر الفلسطيني محمود درويش، سنجد أنَّ شعره قد مرَّ بثلاث مراحل إيقاعية، ألا وهي: مرحلة البيت الشعري ذي الشطرين المتوازيين عروضياً، ومرحلة السطر الشعري، التي جعلت البيت ينقسم إلى عدة تفعيلات، وأخيراً مرحلة الجملة الشعرية، التي تنوعت فيها الأوزان في الجملة الشعرية، ولم يلتزم فيها الشاعر بوزن واحد تقليدي[1]، ففي قصيدته "عن إنسان" سنجد، عند تقطيع هذه القصيدة عروضياً، أنَّ الشاعر قد اعتمد على أكثر من بحر شعري، حيث نوَّع في استخدامه للبحور الخليلية، ولم يلتزم ببحر معين في تلك القصيدة:[2]

وَضَعُوا عَلَى فَمِهِ السَّلاسِلْ
رَبَطُوا يَدَيْهِ بِصَخْرةِ المَوتَى،
وَقَالُوا: أَنْتَ قَاتِلْ !
أَخَذُوا طَعَامَهُ، وَالملاَبِسَ، وَالبَيَارِقْ
وَرَمَوهُ فِي زَنْزَانَةِ المَوْتَى،
وَقَالُوا: أَنْتَ سَارِقْ!
طَرَدُوهُ مِنْ كُلِّ المَرَافِئْ
أَخَذُوا حَبِيبَتَهُ الصغيرة،
ثُمَّ قَالُوا: أَنْتَ لاجِئْ!
يَا دَامِي العينينِ، وَالكفين!
إِنَّ الليلَ زَائِلْ
لا غُرْفَةَ التوقيفِ باقيةٌ
وَلا زَرَدُ السلاسِلْ!
نيرونُ مَاتَ، وَلَمْ تَمُتْ رُوما..
بِعَيْنَيهَا تُقَاتِلْ!
وَحُبوبُ سُنْبلةٍ تَمُوت

---

[1] عبد الرحيم كنوان، من جماليات إيقاع الشعر العربي، ص٢٦.

[2] انظر: محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص٨- ٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سَتَمْلأُ الوادي سَنَابِلْ..!

يمكن حصر تفعيلات القصيدة، وما طرأ عليها من زحافات وعلل على النحو الآتي:

البيت الشعري	التفعيلة/ مقاطعها	البحر	الزحافات	العلل
رَمْلُ سِينَاءَ قَبْرُنَا المَحْقُورُ وَعَلَى القَبْرِ مُنْكِـرٌ وَنَكِيرُ	- ب - -/ ب - ب -/ - - - فاعِلاتن مُتَفْعِلن فالاتُنْ ب ب - -/ ب - ب-/ ب ب - - فَعَلاتُنْ مُتَفْعِلُنْ فَعَلاتُنْ	بحر الخفيف، وتفعيلاته: فَاعِلاتُنْ - ب - - مُسْتَفْعِلُنْ - - ب - فَاعِلاتُنْ - ب - -	خبن[1]	تشعيث
كِبْرِيَاءُ الصحراء مَرَّغَهَا الذُلُّ فَغَابَ الضُّحَى وَغَارَ الزَّئِيرُ	- - -/ ب - ب -/ - - - فَعْلاتُنْ مُتَفْعِلُنْ فَعْلاتُنْ - - -/ ب - ب -/ - - - فَعْلاتُنْ مُتَفْعِلُنْ فَعْلاتُنْ		خبن إضمار	
لا شَهِيدٌ يُرْضَي الصَّحَارَى وَجَلَّى هَارِبٌ فِي رِمَـالِهَا وَأَسِيرُ	- ب - -/ - - ب -/ - ب - - فَاعِلاتُن مَسْتَفْعِلُن فَاعِلاتُن - ب - -/ ب - ب -/ ب ب - - فَاعِلاتُن مُتَفْعِلن فَعَلاتن		خبن	
أَيُّهَا المُسْتَعِيـــرُ أَلْـــفَ عَتَادٍ لأَعَادِيكَ كُـلُّ مَا تَسْتَعِيرُ	- ب - -/ ب - ب -/ب ب- - فاعلاتن مُتَفْعِلن فَعَلاتن ب ب - -/ ب - ب -/- ب - - فعَلاتن مُتَفْعلن فاعلاتن		خبن	
هَذَكَ الذُّعْرُ لا الحَدِيدُ وَلا النَّارُ وَعِبءٌ عَلَى الوَغَى المَذْعُورُ	- ب - -/ ب - ب -/ ب ب - - فاعِلاتُنْ مُتَفْعِلن فَعَلاتُن ب - -/ ب - ب -/ - - - فلاتُنْ مُتَفْعِلنْ فالاتن		خبن	
أَغُرُورٌ عَلَى الفِرَارِ؟؟ لَقَدْ ذَابَ حَيَاءٌ مِنَ الغُرُورِ الغَرُورُ!	ب ب - -/ ب - ب -/ب ب - - فَعِلاتُنْ مُتَفْعِلُنْ فَعَلاتُنْ ب ب - -/ ب - ب -/ب ب - - فَعَلاتُنْ مُتَفْعِلُنْ فَعَلاتُنْ		خبن	
القِلاعُ المُحَصَّنَاتُ - إِذَا الجُبْنُ حَمَاهَا - خَوَرنقٌ وَسَدِيرُ!	- ب - -/ ب - ب -/ ب ب- - فاعِلاتُنْ مُتَفْعِلنْ فَعَلاتُن ب - -/ ب - ب -/ ب ب - - فَلاتُنْ مُتَفْعِلنْ فَعَلاتُنْ		خبن	تشعيث

[1] الخبن: هو عبارة عن حذف الثاني الساكن من ثاني التفعيلة. انظر: أحمد كشك، الزحاف والعلة، رؤية في التجريد والأصوات والإيقاع، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٢٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وفي قصيدة بدوي الجبل العمودية وهي بعنوان "من وحي الهزيمة"، اختار بحر الخفيف في بنائه

لتلك القصيدة، حيث يقول:[1]

رَمْلُ سِينَاءَ قَبْرُنَا المَحْفُــورُ ... وَعَلَى القَبْرِ مُنْكِــرٌ وَنَكِيرُ
كِبْرِيَاءُ الصحراءِ مَرَّغَهَا الذُلُّ ... فَغَابَ الضُّحَى وَغَارَ الزَّئِيرُ
لا شَهِيدٌ يُرْضَي الصَّحَارَى وَجَلّى ... هَارِبٌ فِي رِمَــالِهَا وَأَسِيرُ
أَيُّهَا المُسْتَعِيــــرُ أَلْــــفَ عَتَادٍ ... لأَعَادِيكَ كُــلُّ مَا تَسْتَعِيرُ
هَدَّكَ الذُّعْرُ لا الحَدِيدُ وَلا النَّارُ ... وَعِبءٌ عَلَى الوَغَى المَذْعُورُ
أَغُرُورٌ عَلَى الفِرَارِ؟؟ لَقَدْ ذَابَ ... حَيَاءً مِنَ الغُرُورِ الغَرُورُ!
القِلاعُ المُحَصَّنَاتُ – إِذَا الجُبْنُ ... حَمَاهَا – خَوَرنقٌ وَسَدِيرُ!

...

لقد جاءت تفعيلات هذه الأبيات الشعرية، على النحو الآتي:

البيت الشعري	التفعيلة/ مقاطعها	البحر	الزحافات	العلل
رَمْلُ سِينَاءَ قَبْرُنَا المَحْفُورُ وَعَلَى القَبْرِ مُنْكِــرٌ وَنَكِيرُ	– ب – –/ ب – ب –/ – – – فاعِلاتن مُتَفْعِلن فالاتُنْ ب ب – –/ ب – ب–/ ب ب – – فَعَلاتُنْ مُتَفْعِلُنْ فَعَلاتُنْ	بحر الخفيف، وتفعيلاته: فَاعِلاتُنْ – ب – – مُسْتَفْعِلُنْ – – ب – فَاعِلاتُنْ – ب – –	خبن[2]	تشعيث
كِبْرِيَاءُ الصحراءِ مَرَّغَهَا الذُلُّ فَغَابَ الضُّحَى وَغَارَ الزَّئِيرُ	– – –/ ب – ب –/ – – – فَعْلاتُنْ مُتَفْعِلُنْ فَعْلاتُنْ – – –/ ب – ب –/ – – – فَعْلاتُنْ مُتَفْعِلُنْ فَعْلاتُنْ		خبن إضمار	
لا شَهِيدٌ يُرْضَي الصَّحَارَى وَجَلّى هَارِبٌ فِي رِمَــالِهَا وَأَسِيرُ	– ب – –/ – – ب –/ ب – – فَاعِلاتُن مَسْتَفْعِلُن فَاعِلاتُن – ب – –/ ب – ب –/ ب ب – – فَاعِلاتُن مُتَفْعِلن فَعَلاتن		خبن	
أَيُّهَا المُسْتَعِيــــرُ أَلْــــفَ عَتَادٍ لأَعَادِيكَ كُــلُّ مَا تَسْتَعِيرُ	– ب – –/ ب – ب –/ب ب– – فاعلاتن مُتَفْعِلن فَعَلاتن ب ب – –/ ب – ب –/– ب – – فعَلاتن مُتَفْعلن فاعلاتن		خبن	

---

[1] انظر: بدوي الجبل، ديوان بدوي الجبل، ص١٩٢– ٢٠٧.

[2] الخبن: هو عبارة عن حذف الثاني الساكن من ثاني التفعيلة. انظر: أحمد كشك، الزحاف والعلة، ص٢٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هَدَّكَ الذُّعْرُ لا الحَدِيدُ وَلا النَّارُ وَعِبءٌ عَلَى الوَغَى المَذْعُورُ	- ب - -/ ب - ب -/ ب ب - - فاعِلاتُنْ مُتَفْعِلن فَعَلاتُن ب - -/ ب - ب -/ - - - فلاتُنْ مُتَفْعِلنْ فالاتن		خبن	
أَغُرُورٌ عَلَى الفِرَارِ؟؟ لَقَدْ ذَابَ حَيَاءً مِنَ الغُرُورِ الغَرُورُ!	ب ب - -/ ب - ب -/ب ب - - فَعِلاتُنْ مُتَفْعِلُنْ فَعَلاتُنْ ب ب - -/ ب - ب -/ب ب - - فَعَلاتُنْ مُتَفْعِلُنْ فَعَلاتُنْ		خبن	
القِلاعُ المُحَصَّنَاتُ - إِذَا الجُبْنُ حَمَاهَا - خَوَرنقٌ وَسَدِيرُ!	- ب - -/ ب - ب -/ ب ب- - فاعِلاتُنْ مُتَفْعِلنْ فَعَلاتُن ب - -/ ب - ب -/ ب ب - - فَلاتُنْ مُتَفْعِلنْ فَعَلاتُنْ		خبن	تشعيث

نرى أنَّ التفعيلات قد حدث فيها الكثير من الزحافات والعلل، وقد تكرَّرت تلك الزحافات والعلل في الأبيات الشعرية كلها، ومن بينها مثلاً : الخبن والإضمار والتشعيث.

لقد استخدم الشاعر البحور الشعرية الستة عشر، سواء أكان الشعر عموديا أم حراً، مع اختلاف بسيط بين اللونين، ففي الشعر العمودي، نرى أنَّ الشاعر قد يلتزم ببحر واحد في كامل قصيدته، أمَّا الشعر الحر فنجد أنَّ الشاعر قد آثر التنويع في أوزان قصيدته، محدثاً نوعاً من التناغم والرنين الموسيقي في شعره.

كما نلاحظ أن لجوء الشاعر إلى استخدام بحر معين من البحور الشعرية الصافية "وهي التي يتألف شطراها من تكرار تفعيلة واحدة ست مرات أو أربع مرات في البيت الواحد[1]، من مثل بحر الكامل، وتفعيلاته "متفاعلن متفاعلن متفاعلن/ متفاعلن متفاعلن متفاعلن"، أو بحر الرمل وتفعيلاته هي: "فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن"، أو بحر الهزج وتفعيلاته:" مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن/ مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن"، أو بحر المتقارب وتفعيلاته:" فعولن فعولن فعولن فعولن". أما البحور الممزوجة، فهي التي يتألف الشطر فيها من أكثر من تفعيلة واحدة، بشرط أن تتكرر إحدى تلك

(1) نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨م، ص٦٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

التفعيلات[1]، وذلك على نحو ما في تفعيلات بحر الوافر وهي:" مفاعلتن مفاعلتن فعولن"، أو بحر السريع، وتفعيلاته هي:" مستفعلن مستفعلن فاعلن"، أو تنويعه في تلك الأوزان، يمكن أنْ يكون له ارتباط وثيق بالحالة الشعورية التي أحاطت بالشاعر، والمواقف التي يريد أنْ يُعبِّر عنها في تلك القصيدة. فمثلاً قد تأتي القصيدة معبرةً عن أكثر من موقف أو موضوع، لذا نرى أنَّ الشاعر يحاول أن يغير من أوزان بحوره، ليتلاءم ذلك مع الموقف. أضف إلى ذلك، ما يمكن أنْ نراه في الشعر الحر من تغيير في عدد تفعيلات السطر الشعري، تبعاً لطول ذلك السطر أو قصره؛ وذلك جاء نتيجةً لعدم التزام رواد الشعر الحر بوحدة البيت بعدد تفعيلاته المحددة في كل بحر، حيث سلموا ذلك لدفقاتهم الشعورية وأحاسيسهم، التي عمدت إلى تفريغ أعداد متنوعة من التفعيلات في السطر الشعري الواحد[2].

(ب) القافية:

تُعدُّ القافية عنصراً هاماً من العناصر المكملة للإيقاع الخارجي للشعر العربي، كما أنَّها لا تقلُّ أهميةً عن الوزن في الشعر العربي، بل إنَّها "تُعدُّ كلازمة إيقاعية، تنسجم مع الحالة النفسية التي تعتري الشاعر لحظة إبداعه لنصه الشعري، فلا يمكننا أنْ نستغني عن القافية؛ إذ إنَّ الشاعر لا تتحدد رؤياه بالكلمة والوزن، بل تحتاج إلى القافية أيضاً"[3].

فالقافية تاج الإيقاع الشعري وهي لا تقف من هذا الإيقاع موقف الحلية بل هي جزء لا ينفصم عنه؛ إذ تمثل قضاياها جزءاً من بنية الوزن الكامل تفسر من خلاله وتفسره[4].

---

(1) نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ص٦٨.

(2) إيمان "محمد أمين" خضر الكيلاني، بدر شاكر السياب: دراسة أسلوبية لشعره، ص٢٥٩.

(3) ناصر فهد علي، بنية القصيدة في شعر محمود درويش، ص٢٢٧.

(4) أحمد كشك، القافية تاج الإيقاع الشعري، (د.م)، (د.ن)، ١٩٨٣م، ص٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وللقافية من حيث المعنى الاصطلاحي تعريفان:

أ- ما قاله الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو أنّ القافية: آخر ساكن في البيت إلى أول ساكن يليه قبله مع المتحرك الذي قبل هذا الساكن.

ب- ما قاله غيره من أنّ القافية: التفعيلة الأخيرة من البيت، أي الحروف الأخيرة المقابلة للتفعيلة الأخيرة[1].

فالقافية "هي بمثابة الحد الذي يتوقف عنده (النفس) ليبدأ الشاعر (نفساً) جديداً يختلف طوله باختلاف حالته الشعورية. ولا بد أن تعد، لذلك، النهاية الحقيقة للسطر أو البيت الذي ربما وزع في الكتابة على أكثر من سطر واحد"[2]. وهي كما يقول عز الدين إسماعيل: "التنسيق الموسيقي لآخر السطر الشعري بما يتماشى وموسيقى السطر ذاته"[3]. وقد تأتي القافية بعدة أشكال، منها:

١- القافية العمودية، وتنقسم إلى نوعين من القوافي، هما:

أ- القافية المطردة، التي تتكرر فيها قافية واحدة من أول القصيدة إلى آخرها[4]. ومن نماذج تلك القافية قول الشاعر عبد الرحمن العشماوي في قصيدة "إشراقة أمل":[5]

سِتَارُ ظَــلامِ الليلِ سَوْفَ يُجَابُ ... وتُسقَى بِأَضْواءِ الصَّبَاحِ رِحَابُ
وَسَــوفَ يُبِيِّنُ الفَجْرُ مَا كَانَ خَافِياً ... وَيُفْتَــحُ مِنْ بَعْدِ التَّغَلُّقِ بَابُ
وَتَشْــدو عَصَافِيرُ المُنَى بَعْد صَمْتِهَا ... وَيَخْلَعُ ثَوْبَ الشُّؤْمِ عَنْــهُ غُرَابُ
وَتَخْلُصُ مِنْ مَعْنَــى التَّشَاؤُمِ بُومَةٌ ... لَهَا لُغَةٌ مِــنْ حُبِّهَا وخِطَابُ

---

(١) عبد الكريم الحبيب، الصافي في العروض والقوافي، منشورات جامعة البعث، دمشق، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٨٥.

(٢) أحمد بسام ساعي، حركة الشعر الحديث في سورية منْ خلال أعلامه: دراسة، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٧٨م، ص٢٧٨.

(٣) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص١٣.

(٤) عبد الرحيم كنوان، منْ جماليات إيقاع الشعر العربي، ص٦٤١.

(٥) انظر: عبد الرحمن بن صالح العشماوي، ديوان القُدْس أنت، ص٥- ٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وَمَا الشُّؤمُ إلاَّ فِي نُفُوسٍ مَرِيْضَـةٍ ... عَلَيْهَا مِـنَ اليأسِ الثقِيلِ حِجَابُ
أقول لِمَنْ زلَّ الطريقُ بخطـوهِ ... ومَنْ عَزْمُه عند الخطوبِ يُذابُ
سَيَمْنَحُنَا وَجْـهُ الهلالِ استـدارةً ... ويَفتحُ باباً في الظـلامِ شهابُ
ستُورِقُ أَشْـجارُ الوفاءِ وتَرْتَمِي ... قُشورٌ ، وَيَبْقَى للصَّبورِ لُبابُ
ستُخصب أَرْضُ الحُبِّ مِنْ بَعْدِ جَدْبِهَا ... ويُسْعِفُهَا بَعْدَ الجَفَافِ سَحَابُ
سَنَـرقَى وَنَـرقَى ثُمَّ نَـرقَى؛ لأَنَّنَا ... تحكَّـم فِينا سُنَّـةٌ وكِتَابُ
لَنَا الكَعْبَةُ الغَـرَّاءُ والمسجِـدُ الَّذِي ... بَنَاهُ الرَّسُولُ المُجْتَبَى وصِحابُ
لَنَا المَسْجِدُ الأَقْصَـى وَصَخْرَتُهُ الَّتِي ... تَحُـومُ قُرُودٌ حَوْلَهَا وَذِئَابُ
ثَلاثَـةُ أَقْطَابٍ تَكَامَـلَ حُسنُهَا ... وَعَزَّ بِهَا فِي العالمين جَنَابُ
وأَلَّفَها وحْـيُ السَّماءِ علَـى الهُـدَى ... فَطَابتْ لأَصْحَابِ اليقينِ وَطَابُوا
إِذَا سُئِلَ التاريـخُ عَنْ سَـردِ مَجْدِهِ ... فمِنَّا وفِينَا للسؤالِ جَـوابُ
وَمَا الليلُ إلاَّ رَائِدُ الفَجْـرِ، بَعْدَهُ ... تُغَرِّدُ شَمْسٌ يَسْتَبِينُ صَوابُ

لقد التزم الشاعر بقافية واحدة في القصيدة كلها، فاختار الباء المضمومة قافيةً لقصيدته، وألف المد رويّاً لها. ويمكننا، من هنا، أنْ نسعى إلى التفريق بين القافية والروي، من حيث إنَّ الأولى، كما يقول عز الدين إسماعيل: "هي أنسب صوت أو كلمة ينتهي بها السطر الشعري بحيث يمكن الوقوف عندها أو الانتقال فيها إلى السطر التالي"[1]، وأمَّا الروي، فيختلف عن القافية في أنَّ الشاعر قد يلجأ إلى جعل حرف الروي متنقلاً ومتغيراً من بيت إلى آخر أو من سطر إلى آخر، وأحياناً يأتي الروي واحداً في جميع أبيات القصيدة أو أسطرها[2]، كما رأينا في القصيدة السابقة.

ب- القافية المتعددة التي تتعدد فيها أحرف القافية بالتتابع، ومن النماذج الشعرية الممثلة لهذا النوع من القوافي، قصيدة "فلسطين المجاهدة" للشاعر علي أحمد باكثير، يقول فيها:[3]

بَنِي يَعْرِبٍ ماذَا دَهاكُمْ؟ أَجِيبُوني! ... أَلَمْ تَشْهَدُوا أَشْلاءَكُم بِفِلِسْطِينِ؟
تُرَاقُ عَلَى الأَرْضِ الحرامِ دِمَاؤكمْ ... لإِرضاءِ مُنْبُوذِ الخلائقِ مَأفونِ

...

---

[1] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص١١٣.

[2] المرجع نفسه، ص١١٣.

[3] انظر: علي أحمد باكثير، قصائد علي أحمد باكثير عن فلسطين، ص٧- ٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

إِذَا ما ظلامُ اللَّيلِ أَرْخَى سُدُولَهُ ... تُجاوبَ نَوْحُ الثاكلاتِ مِنَ الدورِ
فَكَمْ مَنْزِلٍ أودَى بكاسِيهِ الرَّدى ... لَمْ يَبْقَ فيه مِنْ طَعَامٍ ولا نُورِ

...

أَلا لَيْتَ شِعْري كيفَ تَصْبرُ يَعْرُبٌ ... عَلَى حَالَةٍ فِيهَا المَنِيَّةُ تَعْذُبُ؟
وكَيْفَ بِلادُ الضَّادِ تَغْفُو جُفُونُها ... وجَفنُ فِلَسْطِـينَ دَماً يتصبَّبُ

...

فَوِيحَ فِلَسْطِين! تُواثب قَسْوراً ... يُقِلُّ عَلَى أَكْتَافِهِ شَـرُّ تِنِّينِ
فَيَنْفُثُ هذا السمَّ وهوُ بِمَأْمنٍ ... ويَنشبُ هذا مِثْلَ حـدِّ السكَاكينِ

...

وقال الشاعر محمد الحلوي في قصيدة "أبو دُرَّة":[1]

يَا أَبو دُرَّة ! تَعَزَّ فَقَدْ أَصَـ ... ـبْتَ رَمْزَاً لِكُلِّ طِفْلٍ مُرَوَّع!
سَوْفَ يَبْقَى ابْنُكَ المُشَيَّعُ نَجْمَاً ... فِي انْتِفَاضَتِنَا المَجِيدَةِ يَلْمَع!

***

مَنْ رَأى دُرَّةَ الشَّهِيدَ يُغَطِّي ... وَجْهَهُ خَلْفَ وَالِدٍ يَتَضَرَّع!
وَرَصَاصُ العَدوِّ أَرْعَنٌ لا يَرْ ... حَمُ طِفْلاً لَمْ يَلْقَ كَالأَبِ مُفْزَع!
يَتَّقِي نَارَهُم بِجِسْمِ أَبِيهِ ... مُرْعشَاً! خَلْفَ ظَهْرِهِ يَتَقَوقَع!
مَنْ رَآهُ يَمُوتُ كَالطيرِ مَذْبُو ... حَاً وَقَدْ كَانَ فِي الخَمَائِلِ يَسْجَع!
لَمْ يُجَامِل فِي أَنَّ صَهْيُونَ شَعْبٌ ... هَمَجِيٌّ مِنَ الوَضَاعَةِ أَوْضَع!
بِقُلُوبٍ مِنَ الحِجَارَةِ أَقْسَى ... وَنُفُوسٍ للمَكْرِ وَالشرِّ تَنْزَع!
هَكَذَا يَقْتُلُ اليهودَ بَنِينَا ... بِبُـرُودٍ وَقَـــوانِينَ تَرْدَع!
إِنَّ للحَـقِّ جَوْلَةُ البَّا ... غِي وَ للمُعْتَدِينَ أَوْخَمَ مَرْتَع!
فَلْيَطُلْ مَا يَشَاءُ لَيْلُ يَهُودٍ ... فَهُوَ لا شَكَّ رَاحِلٌ لا يُوَدَّع !

***

عَبَقُ الخُلْدِ مِنْ دِمَاءِ ضَحَايَا ... نَا وَمِنْ طُهْرِ جَرْحِهَا يَتَضَوَّع!
مِنْ نُعُوشٍ مَكسـوَّةٍ بِجلالٍ ... وَوجُـوهٍ بِالفَخْرِ وَالمَجْدِ تَسْطَع!
حَمَلَتْ عَنْ بَنِـي العُرُوبَةِ مَا لا ... تَحْمِلُ الرَّاسِياتُ لَـو تَتَطوَّع!
رَبَضَتْ فِي خَنَادِقِ المَوتِ أَحقَا ... بَاً وَأَرْوَتْ دِمَاؤُها كُلَّ مصرع!
وَرَصَاصُ الغُزَاةِ لا تَتَحَاشَى ... نَارَهَ نِسْوَةٌ وَلا مَهْدُ رُضَّع !

---

[1] انظر: محمد الحلوي، الأعمال الشعرية، الجزء الأول، ص١١٦- ١١٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

صَنَعُوا مِنْ حِجَارَةِ الأَرْضِ نَصْراً زَلْزَلَ المُعْتَدِي صَدَاهَا وَرَوَّعْ!
ذَكِّرُوهُم بِخَيْبَرٍ ! إِنْ نَسُوهَا فَهِيَ ذِكْرَى لِمَنْ يَعِيهَا سَتَنْفَعْ!

...

لقد نوَّع الشاعران في قوافيهما في كلٍّ مقطع من مقاطع القصيدتين، فجاء هذا التنويع متوائماً وحالة الشاعرين ونفسيتهما؛ حيث أعطاهما هذا التنويع المجال الرحب في التعبير عن مشاعرهما وأحاسيسهما وانفعالاتهما التي تملكتهما[1]. فنرى أنَّ الشاعر علي أحمد باكثير قد اتخذ من الحروف/ الأصوات التالية: "النون، الراء، الباء، النون، الراء، النون، الألف المقصورة" قافيةً لقصيدته، مع اختلاف في حرف الروي في كلِّ بيت من أبيات تلك القصيدة، كما نرى أنَّ الشاعر قد التزم في تلك القصيدة، مع الاختلاف الواضح في القافية المتعددة، ببحر شعري واحد، وهو بحر الطويل وتفعيلاته: "فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن/ فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ".

وقد اتخذ الشاعر محمد الحلوي حرف العين قافيةً لقصيدته مع اختلاف في حرف الروي أيضاً، حيث نوَّع فيها، فحروف الروي في تلك القصيدة هي: "الواو، الميم، الراء، الزاء، الجيم، الضاد، الدال، التاء، الطاء، الفاء، النون، اللام".

٢- القافية الحرة، وتنقسم إلى:

أ- القافية المطلقة، وهي "التي تقوم على تنويع قوافي أسطر المقطع مع الالتزام بإنهاء جميع المقاطع بقافية واحدة"[2]. ومن الأمثلة عليها، ما جاء في قصيدة "إعلانات لسكان السماء" للشاعر راشد حسين، حيث يقول:[3]

إِمْلأْ إِنَاءكَ بِالدِّمَاءِ وَخُذْ الطريقَ إِلَى السَّمَاءِ
وَاكْتُبْ عَلَى وَجَنَاتِهَا الزرقاءِ مِنْ أَثَرِ البكاءِ:

---

[1] عبد الرحيم كنوان، من جماليات إيقاع الشعر العربي، ص٦٤٣.
[2] محمد بن سالم بن سعيد الصفراني، شعر غازي القصيبي: دراسة فنية، ص٤٠٠.
[3] انظر: راشد حسين، ديوان راشد حسين، ص٣٣- ٣٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

" الأرضُ تُعلَنُ عَنْ مَزَادٍ للتقايضِ والشراء"
" ستُصدرُ الأرضُ الأباليسَ الرجيمةَ إنْ تشائي"
" مَنْ كُلِّ شيطانٍ مريدٍ لابسٍ حُلَلَ الدِّمَاء"
" وسنشتري بعضَ الملائكةِ الكبار الأتقياء"

* * *

قُلْ للسَّمَاء ولا تماطل، قُلْ لَهَا، قُلْ للسَّمَاء:
قد ملَّتِ الأعشابُ شُرْبَ دمِ الصغارِ الأبرياء
فإلَى مَتَى تتفرجين بِغَيرِ أَجْرٍ أو كراء؟
هيا ادفعي حَقي وإلاَّ غادري جوَّ الفناء
وَخُذِي النجومَ إِلَى فَضاءٍ آخر، هذا فضائي!

...

اعتمد الشاعر في مقاطع قصيدته حرفي المد والهمزة قافيةً لأسطره الشعرية، حيث أولى هذين الحرفين عنايةً خاصةً بأنْ جعلهما يتكرران على طول القصيدة، مانحاً قصيدته وحدةً موسيقيةً وشعوراً بوحدة المقاطع كلها في إطار القصيدة.

ومن النماذج الشعرية الأخرى لتلك القافية قصيدة "العاصفةُ" للشاعر عبد الوهاب البيَّاتي، يقول:[1]

لَنْ تَقْتُلُوني، أَيُّهَا الأَوْغَادْ
لَنْ تَحْرِمُونِي
مِنْ ضِيَاءِ الشمسِ،
والإنشادْ
لَنْ تَنْصِبُوا الأَعْوَادْ

...

ولَنْ تَسْتَعْبِدُوا بَغْدَاد
لَنْ تَجِدُوا
يَا أَيُّهَا الفَاشَست
فِي انْتِظَارِكُم
إِلاَّ طُبُول المَوْتِ، وَالرَّمَاد

---

[1] انظر: عبد الوهاب البيَّاتي، ديوان عبد الوهاب البيَّاتي، ص٤٧٩- ٤٨٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

مَلِينَتِي
تَفْتَحُ للشمسِ ذِرَاعَيْهَا
فَعُوْدُوا!
أَيُّهَا الأَوْغَاد

التزم الشاعر بصوت "الدال" قافية لقصيدته من أولها إلى آخرها، معلناً من خلالها نهاية الجملة الشعرية في كلِّ سطر من أسطر القصيدة.

ب- القافية المقطعية، وهي "التي يتم فيها تنويع القوافي، بحيث تقف كل قافية فيها عند حدود المقطع، ثم تتغير مع كلِّ مقطع جديد، ومن أمثلتها قول الشاعر محمود درويش في قصيدة "أغنياتٌ إلى الوطنِ":[1]

١- جَبِينٌ وَغَضَب
وَطَنِي! يَا أَيُّهَا النسرُ الَّذِي يُغْمِدُ مِنْقَارَ اللهبْ
فِي عُيُونِي،
أَيْنَ تَارِيخُ العَرَب؟
كُلُّ مَا أَمْلِكُهُ فِي حَضْرَةِ المَوْت:
جَبِينٌ وَغَضَب
وَأَنَا أَوْصَيتُ أَنْ يَزْرَعَ قَلْبِي شجرهْ
وَجَبِينِي مَنْزِلاً للقُبَّرهْ.
...
٢- وَطَن
عَلِّقُونِي عَلَى جَدَائِلِ نَخْلَهْ
واسْقُونِي.. فَلَنْ أَخُونَ النَّخْلَهْ!
هَذِهِ الأَرْضُ لِي.. وَكُنْتُ قَدِيمَاً
أَحْلِبُ النوقَ رَاضِياً ومولَّهْ
وَطَنِي لَيْسَ حُزْمَةً مِنْ حَكَايَا
لَيْسَ ذِكْرَى، وَلَيْسَ حَقْل أَهِلَّهْ
...

[1] انظر: محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص١٠٩- ١١٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣- لا مَفَر

مَطَرٌ عَلَى أَشْجَارِهِ وَيَدَيَّ عَلَى
أَحْجَارِهِ، والمِلْحُ فَوْقَ شِفَاهِي
مَنْ لِي بِشُبَّاكٍ يَقِي جَمْرَ الهَوى
مِنْ نَسْمَةٍ فَوْقَ الرَّصِيفِ اللاهِي؟
وَطَنِي! عُيُونُكَ أَمْ غُيُومٌ ذُوَّبَتْ
أَوْتَارَ قَلْبِي فِي جِرَاحِ إِلهِ؟

...

٤- رَدُّ الفعل

وَطَنِي! يُعَلِّمُنِي حَدِيدُ سَلاسِلِي
عُنْفُ النُّسُورِ، وَرِقَّةُ المُتَفَائِلِ
مَا كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ تَحْتَ جُلُودِنَا
مِيلادَ عَاصِفَةٍ.. وَعُرْسَ جَداوِلِ

...

٥- المَوْعِدُ

لَمْ تَزَلْ شُرْفَةٌ.. هُنَاك
فِي بِلادِي ، مُلوحهْ
وَيَدٌ تَمْنَحُ المَلاك
أُغْنِيات، وَأَجْنِحَهْ
العَصَافِيرُ أَمْ صَدَاك

نجد أنَّ الشاعر قد عمد إلى تنويع قوافيه في كل مقطع من مقاطع القصيدة، مع التزامه قافية واحدة في كل مقطع. ففي المقطع الأول اختار الشاعر الباء قافيةً لمقطع القصيدة الأول، ثم اختار الهاء الساكنة قافيةً للمقطع الثاني، ثم اختار الياء قافيةً للمقطع الثالث، وفي المقطع الذي يليه استخدم اللام المكسورة قافيةً، وفي المقطع الأخير عمد إلى استخدام الكاف المتحركة قافيةً له.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وفي هذا التنويع للقوافي أهمية عند الشعراء المحدثين، الذين رأوا أنَّ الالتزام بقافية واحدة في كلِّ القصيدة من شأنه أَنْ يُحدث شكلاً من أشكال التكرار، الذي قد لا تكون له وظيفة في مضمون القصيدة[1].

ج- القافية المتحررة المرسلة، التي تتحرر فيها القصيدة تماماً من القافية. يقول الشاعر أمل دنقل في قصيدة "لا تُصالح":[2]

لا تُصَالِحْ!
.. ولَو مَنَحُوكَ الذَّهَبْ
أَتُرى حِيْنَ أَفْقِأُ عَيْنَيكَ،
ثُمَّ أُثَبِّتُ جَوْهَرَتَينِ مَكَانَهُمَا..
هَلْ تَرَى..؟
...
(٢)
لا تُصَالِحْ عَلَى الدَّمِ.. حَتَّى بِدَمْ!
لا تُصَالِحْ! وَلَو قِيلَ رَأْسٌ بِرَأْسِ
أَكُلُّ الرؤوسِ سَوَاءْ؟!
أَقَلْبُ الغريبِ كَقَلْبِ أَخِيكَ؟!
أَعَيْنَاهُ عَيْنَا أَخِيكَ؟!
...
لا تُصَالِحْ،
فَمَا الصلحُ إِلاَّ مُعَاهَدَةٌ بَيْنَ نِدِّينِ..
(فِي شَرَفِ القَلْبِ)
لا تَـنتَقِصْ
...

يتضح من القصيدة السابقة أنَّ الشاعر لم يلتزم بأية قافية، فقد جاءت أسطر تلك القصيدة الشعرية متحررةً من القافية بشكل مطلق، واستمرت على هذا المنوال إلى نهاية القصيدة. إلا أنَّ هذا الأمر، قد يحدث فيه نوع من التغيير، نجد في القصيدة ذات القافية المتحررة، قافية واحدة متكررة في سطرين

---

[1] ناصر فهد علي، بنية القصيدة في شعر محمود درويش، ص٢٢٩.

[2] انظر: أمل دنقل، الأعمال الشعرية، ص٣٢٤- ٣٣٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

متتاليين، وهذا يكون بشكل عرضي. ويمكننا أنْ ندلِّل على هذا القول، بما قاله الشاعر أمل دنقل في قصيدته السابقة:

أَقَلْبُ الغريبِ كَقَلْبِ أَخِيكَ؟!
أَعَيْنَاهُ عَيْنَا أَخِيكَ؟!

كما أنَّ هذا النوع من القوافي قد يبعد القصيدة عن الإيقاع والتنغيم، الذي تحدثه القافية في القصائد الشعرية، ولكن ذلك لا يحطُّ من قيمة تلك القصيدة، لأنَّ الموضوع الذي يطرحه الشاعر من خلال قصيدته، هو الذي يمنح تلك القصيدة إيقاعاً وجرساً موسيقياً يعوض عن فقدان القافية، التي من شأنها أن تحدث التنغيم والجرس الموسيقي في ثنايا القصيدة[١].

الموسيقا الداخلية

يتضمن التشكيل الموسيقي للشعر إلى جانب الإيقاع الخارجي، الذي يتمثَّل بالوزن والقافية، جرساً موسيقياً يتحقق نتيجة الانسجام الذي يكون بين الوحدات اللغوية. "فالتشكيل الصوتي هو عماد الموسيقا الشعرية ومفسرها، وهو الذي يتجاوز المقررات العروضية"[٢]، من هنا يمكننا أنْ نطلق على تلك القيم الصوتية ما يسمى بـــ "الإيقاع الداخلي".

فالإيقاع الداخلي يعني "حسن اختيار الألفاظ وجودة ترتيبها داخل العبارات بما يتلائم مع المعاني التي تدل عليها، واللحظة الشعرية التي يريد الشاعر رصدها، فإذا أحسن اختيار الألفاظ وترتيبها في نسق خاص يتلاءم مع المعاني التي تدل عليها في سياق القصيدة كان لهذا التناسق جرس موسيقي عذب يرفع من قيمتها التعبيرية والتأثيرية في آن واحد"[٣].

---

[١] نادي ساري الديك، جراحات حيفا عذابات الكرمل، ص٦٢.

[٢] عبد المنعم تليمة، مداخل إلَى الجمال الأدبي، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٨م، ص١١٩.

[٣] محمد بن سالم بن سعيد الصفراني، شعر غازي القصيبي: دراسة فنية، ص٤٠٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويرى أدونيس أنَّ الموسيقا في الشعر "لا تنبع من تناغم أجزاء خارجية وأُقيسة شكلية، بل تنبع من تناغم داخلي حركي هو أكثر من أنْ يكون مجرد قياس وراء التناغم الشكلي الحسي، تناغم حركي داخلي هو سر الموسيقا في الشعر"[١]، وهو "الانسجام الصوتي الداخلي الذي ينبع من التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالاتها حيناً، أو بين الكلمات بعضها وبعض حيناً آخر"[٢].

إنَّ الشاعر يبتكر نظاماً موسيقياً خاصاً في شعره، دون الارتكاز على قاعدة مشتركة تتحكم به وبشعره، بينما يقوم بتخير ما يوائم تجربته الخاصة، وهذا هو ما يعنيه الإيقاع الداخلي، الذي لا يتأتَّى من الوزن والقافية، وإنَّما يتحقق بفضل الأساليب والوسائل الآتية:

١- أسلوب التكرار، بجميع أنواعه التي تقوم بتأدية وظيفة دلالية.

٢- هيمنة أوزان صرفية خاصة، أو بنى نحوية من أسماء الفاعل أو المفعول به، والحال، أو الأفعال الدالة على الزمن، التي تتمثل بالماضي والحاضر والمستقبل.

٣- المحسنات البديعية، التي تتمثل بالطباق والجناس... وغيرها من المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية.

هذه هي بعض الوسائل الفنية التي يمكنها أنْ تُحدث نوعاً من الموسيقا في القصيدة الشعرية، والتي لها دور في بناء تلك القصيدة من خلال تظافرها مع باقي عناصرها. وسيتم دراسة وسائل معينةً في هذا المبحث لتوضيح ماهية الإيقاع الداخلي وأثره في القصيدة والمتلقي.

---

[١] أدونيس، زمن الشعر، ص١٤.

[٢] إبراهيم عبد الرحمن محمد، قضايا الشعر في النقد الأدبي، دار العودة، بيروت، ١٩٨١م، ص٣٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أ- التكرار:

تباينت نظرة العلماء لأسلوب التكرار، واختلفت رؤيتهم لحقيقة ذلك الأسلوب. وكانت تلك الآراء التي توصلوا إليها متقاربةً فيما بينها إلى حد بعيد. فابن الأثير (ت٦٣٧هـ) يقول إنَّ: "الغرض بتكرير الأمر، أَنْ يتكرَّر في نفس المأمور أنَّه مراد منه، وليس الغرض الحث على المبادرة إلى امتثال الأمر"[١]. وتحدثت نازك الملائكة في كتابها "قضايا الشعر المعاصر" عن هذا الأسلوب، فقالت: "إنَّ أسلوب التكرار يحتوي على كلِّ ما يتضمنه أي أسلوب آخر من إمكانيات تعبيرية. إنَّه في الشعر مثله في لغة الكلام، يستطيع أَنْ يغني المعنى ويرفعه إلى مرتبة الأصالة، ذلك إِنْ استطاع الشاعر أَنْ يسيطر عليه سيطرةً كاملةً، ويستخدمه في موضعه، وإلا فليس أيسر من أَنْ يتحول هذا التكرار نفسه بالشعر إلى اللفظية المبتذلة التي يمكن أن يقع بها أولئك الشعراء الذين ينقصهم الحس اللغوي والموهبة والأصالة"[٢].

وللتكرار أشكال متنوعة، فقد يكون، كما أشار ابن الأثير، منقسماً إلى قسمين اثنين "تكرير في اللفظ والمعنى جميعاً، وتكرير في المعنى دون اللفظ"[٣]. من هنا يشمل التكرار في الشعر ما يلي:

١- تكرار الأصوات/ الحروف.

٢- تكرار الألفاظ.

٣- تكرار الجمل.

٤- تكرار مقطع شعري.

٥- تكرار اللازمة.

---

[١] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، حققه وقدَّم لَهُ بدوي طبانه، ط٢، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، الجزء الرابع، ص٢٨٧.

[٢] انظر، نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ص٢٣٠-٢٣١.

[٣] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، الجزء الرابع، ص٢٨٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فالتكرار الصوتي، يعد وسيلةً من وسائل إثراء الإيقاع الموسيقي الداخلي في القصيدة، وذلك من خلال ترديد حرف معين في أحد شطري البيت، أو البيت بكامله، أو في السطر الشعري، وهذا بدوره يعكس الحالة الشعورية للمبدع وقدرته على تطويع ذلك الحرف المتكرِّر، الذي يؤدي وظيفة التنغيم والإيقاع إضافةً إلى المعنى والدلالة[١].

ومن الحروف التي يعمد الشاعر إلى تكرارها في درج قصائده:

١- الدواخل: كحروف الجر، وأدوات الشرط والنداء.
٢- السوابق: كحروف المضارعة، والعطف والضمائر المنفصلة، وأدوات الاستفهام.
٣- اللواحق: كالضمائر المنفصلة. ٤- الخوالف: كالتعجب، والاستغاثة.

ومن النماذج الشعرية على التكرار الصوتي:

قال الشاعر إدريس الجائي في إحدى قصائده، التي نظمها بمناسبة إغاثة منكوبي فلسطين، حيث دعا فيها إلى العودة لفلسطين، وحاول أنْ يبعث الأمل بتحقيقها ويشجع عليها:[٢]

لا تَرْعَكِ الدِّماءُ والأشلاءُ يا فِلَسْطِين فالفداءُ بقاء
لا تَهَابِي وإنْ تَكَاثَر صَرْعَاكِ وإنْ أُرجفت بِكِ الأعداء
لا يثبطكِ عن جِهادِكِ بؤسٌ وعذابٌ ومِحنةٌ وشقاء
لا تَهابِي وإنْ غدوتِ أتونا تترامى بجوفةِ الأشلاء
لا تَهابِي وإنْ ثكلت الوفا مِنْ بَنيكِ الأولى حداهم وفاء

وفي قصيدة "لا تُرجعوا، مأساةَ أندلس لكم" للشاعر حسني زيد الكيلاني كرَّر الضمير المتصل "واو الجماعة"، الذي جاء متناسباً مع صيغة الخطاب، حيث يوجِّه الشاعر خطابه إلى العرب والمسلمين، يستثيرهم، ويستنهض هممهم؛ من أجل نصرة الحق، واسترداد الأرض من الغاصبين، فيقول:[٣]

---

[١] عبد الخالق محمد العف، تشكيل البنية الإيقاعية في الشعر الفلسطيني المقاوم، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، ٢٠٠١م، ص٥.

[٢] عباس الجرادي، قضية فلسطين في الشعر المغربي، المناهل، السنة٢، العدد٤، ١٩٧٥م، ص٣٠.

[٣] انظر: حسني زيد الكيلاني، ديوان أطياف وأغاريد، ص٢٩- ٣٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قُومُوا ابْعَثُوهَا فِي الجَزِيرَةِ صَيْحَةً حَمْرَاءَ تُقْصَفُ بِالرُّعُـودِ وَتُنْذِرُ
لا تَعْبَأُوا بِوعُـودِهِم وَوَعِيدِهِم إِنْ شِئْتُم يَا قَـوم أَنْ تَتَحَرَّرُوا
هُـم يَمْلِكُونَ قَنَابِلاً ذَرِيَّـةً وَاللهُ مِنْ تِلكَ القَنَابِلِ أَكْبَرُ

...

لا تَأْخُذُوا الأَفْعَى بِنَاعِمِ جِلْدِهَا فَالنَّابُ فِي تِلْكَ النُّعُومَةِ أَخْبَرُ
يَا قَوم جَدَّ الجِدُّ وَانْضَحَتْ لَكُم نِيَّاتُهُم إِنْ أَفْصَحُوا أَو أَضْمَرُوا
لا تَرْجِعُوا مَأْسَاةَ أَندَلُـسٍ لَكُم وَتَصَوَّرُوا الشبحَ الرَّهِيبَ وأَبْصِرُوا

ومن الأمثلة على ظاهرة التكرار الصوتي أيضاً، ما نراه في قصيدة "قالوا: فقلت" للشاعر رجا سمرين، يقول فيها:[1]

إِنِّـــي سَأَبْقَى شَوْكَةً بِعُيُونِهِمْ تُدْمِي مَحَاجِرَهُمْ لَدَى الإِغْفَاءِ
إِنِّي سَأَسْرِي فِي عُرُوقِ دِمَائِهِمْ كَالسُّمِّ كَالوِسْوَاسِ كَالأَدْوَاءِ
إِنِّـــي سَأَطْلَعُ فِي دُرُوبِ حَيَاتِهِمْ كَالمَوْتِ كَالأَشْبَاحِ كَالأَنْوَاءِ

استغل الشاعر ما لحرف "السين" من جرس خاص ومن دلالة موسيقية، وهو حرف مهموس مرقق، و "يطلق عليه حرف تنفيس، ويشترك معه في ذلك (سوف) وذلك لتخليص الفعل المضارع للاستقبال، بمعنى أنَّها تقلب معنى الفعل المضارع من الحال إلى المستقبل"[2]، كما أننا نرى أنَّ الشاعر قد عمد من خلال هذا الحرف إلى إنشاء إيقاع يحمل دلالات الحزن الهادئ، الذي ينسجم مع ما يكتنفه من الأسى العميق في داخله في محاولته لمخاطبة أحد الأسرى المعتقلين، وذلك من خلال الترديد الصوتي المتمثل بـــ "حرف السين".

وكرَّرت الشاعرة فدوى طوقان في قصيدة "نداء الأرض" الهمزة الاستفهامية، في قولها:[3]

أَتُغْصَبُ أَرْضِي؟ أَيُسْلَبُ حَقِّي وَأَبْقَى أَنَا
حَلِيفَ التشرُّدِ أَصْحَبُ ذِلَّةَ عَارِي هُنَا
أَأَبْقَى هُنَا لأَمُوتَ غَرِيباً بِأَرْضٍ غَرِيبَة

---

(1) رجا سمرين، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٨٠.

(2) يوسف عطا الطريفي، معاني الحروف ومخارجها وأصواتها في اللغة العربية، ص٩٤.

(3) انظر: فدوى طوقان، ديوان فدوى طوقان، ص١٥٤- ١٥٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أَأَبْقَى؟ وَمَنْ قَالَهَا؟ سَأَعُودُ لأَرْضِي الحَبِيبةْ
بَلَى سَأَعُودُ، هُنَاكَ سَيُطوى كِتَابُ حَيَاتِي
سَيَحْنُو عَلَيَّ ثَرَاهَا الكَرِيمِ وَيَؤْوِي رُفَاتِي
سَأَرْجِعُ لا بُدَّ مِنْ عَوْدَتِي
سَأَرْجِعُ مَهْمَا بَدَتْ مِحْنَتِي
وَقِصَّةُ عَارِي بِغَيْرِ نِهَايَة
سَأُنْهِي بِنَفْسِيَ هَذِي الرِّوَايَة

وقالت الشاعرة عاتكة الخزرجي في قصيدة "وذُقَّ عنقُ إسرائيلَ دُقَّ":[1]

مَتَى كَانَ اليهودُ لَهُم دِيَارٌ وَقَدْ لَفَظَتْهُم فِي التيهِ طُرْقُ؟
مَتَى كَانَ اليهودُ جُنُودَ حَرْبٍ لَهُم فِي سَوْحِهَا رَكْضٌ وَسَبْقُ؟
مَتَى كَانُوا لِكَـــي يُمْلُوا عَلَيْنَا أَوَامِرَ حَشْوهَا حِقْدٌ وَحُمْقُ؟

تأتي همزة الاستفهام للدلالة على أن المستفهم عنه أمر منكر عرفاً أو شرعاً، وقد دل تكرار الهمزة في قصيدة "نداء الأرض" على الإنكار التوبيخي، وهو معنى بلاغي للاستفهام خرج عن المعنى الحقيقي له[2]. وإلى جانب تكرار همزة الاستفهام الدالة على التوبيخ، نجد الشاعرة تسعى إلى تكرار الصوت "السين"، الذي يدل على ما تحمله الشاعرة للعدو في نفسها، وما تنتظر أنْ يحدث بهذا العدو في المستقبل. فالسين يفيد توكيد الوعد والوعيد[3]، وقد تجلى ذلك في قولها: "سأعود، سيحنو، سأرجع، سأنهي". وكذلك الأمر بالنسبة لأداة الاستفهام "متى"، التي أفادت في الأبيات الشعرية السابقة النفي والاستنكار، فالشاعرة ترى أنَّه من المستحيل أنْ تكون فلسطين أرض اليهود، وأنَّهم أسود يستطيعون مواجهة غيرهم في أية معركة.

---

[1] عاتكة الخزرجي، شعر الدكتورة عاتكة الخزرجي: المجموعة الشعرية الكاملة (ستة دواوين ومسرحية)، مطبعة حكومة الكويت، (د.م)، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص١٠٣.

[2] يوسف عطا الطريفي، معاني الحروف ومخارجها وأصواتها في اللغة العربية، ص٢٨.

[3] المرجع نفسه، ص٩٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي تكرار الشاعر نزار قباني للحرف "لو" إشارة إلى أنَّ الشيء الذي يرد بعد هذا الحرف لن يحصل ما دام هؤلاء اليهود الصهاينة يعربدون في أرضنا المقدسة، وقد تجلى ذلك بقوله في قصيدة "هوامش على دفتر النكسة":[1]

لَوْ أَنَّنا لَمْ نَدْفِنَ الوحْدَةَ فِي التُّرَابْ
لَوْ لَمْ نُمزِّقْ جِسْمَهَا الطرِيَّ بِالحِرَابْ
لَوْ بقيتْ فِي دَاخِلِ العُيُونِ وَالأَهْدَابْ
لَمَا اسْتَبَاحَتْ لَحْمَنَا الكِلابْ

فحرف "لو" هو حرف امتناع، أي امتناع الشرط لامتناع جوابه[2]، وهو يتجلَّى بقوله: "لما استباحت لحمنا الكلاب"، وفي هذا الحرف معنى الشرط. فالشاعر يريد أَنْ يؤكِّد أنَّه لولا "دفن العرب للوحدة، وتمزيق جسم الأرض، ولعدم وجودها في عيوننا وأهدابنا، لما استطاعت الكلاب "رمز اليهود" أَنْ تعتدي علينا، وأن تتجرأ على سلبنا حقنا في تلك الأرض؛ لذا امتنع ما يفيد الفعل "استطاع" من دلالات بامتناع ما تلى الحرف "لو" من أفعال.

وفي قول الشاعر هارون هاشم رشيد في قصيدة "النشيد الأول":[3]

بِالمَالِ.. قَالُوا.. سَوْفَ نَحْكُمُ.. سَوْفَ نَمْتَهِنُ البَشَر
سَنُذَلِّلُ.. الدُّنْيَا.. سَنَحْكُمُهَا.. سَنَمْلأُهَا.. شَرَر..
سَنَقُودُهَا نَحْوَ الدَّمَارِ إِلَى الفَنَاءِ.. إِلَى الخَطَر
وَنَكُونُ نَحْنُ الرَّابِحِينَ النَّاجِحِينَ.. لَنَا الظَّفَرُ
سَنَدُوسُ أَشْلاءَ الضَّحَايَا فِي الخَبَايَا.. وَالحُفَر
بِالمَالِ سَوْفَ نُذَلِّلُ، الدُّنْيَا جَمِيعاً وَالبَشَر،
(يَاهوه) شَاءَ بَأَنْ يَكُونَ النَّاسُ خُدَّاماً لَنَا
وَبِأَنْ تَكُونَ الأَرْضُ، كُلُّ الأَرْضِ، مِنْ أَمْلاكِنَا..
وَبِأَنْ نُتَوِّجَ فِي فِلَسْطِـينَ البَعِيدَةِ.. مِلْكُنَا

---

[1] نزار قبَّاني، الأعمال السياسية الشعرية، الجزء الثالث، ص٩٤.

[2] يوسف عطا الطريفي، معاني الحروف ومخارجها وأصواتها في اللغة العربية، ص١٢٧.

[3] انظر: هارون هاشم رشيد، ديوان هارون هاشم رشيد، ص٢٩٦- ٢٩٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وَبِأَنْ يَجُوعَ النَّاسُ.. كَيْ يَرْضَى.. وَيَهْنَأَ شَعْبُنَا
وَبِأَنْ يَذُوقَ الذلَّ كُلُّ الكَـوْنِ إِلاَّ قَـوْمَنَا
(يَاهوه) شَاءَ وَسَوْفَ، نَبْلُغُ مَا أَرَادَ بِعَزْمِنَا
بِالمَالِ بِالإِرْهَابِ.. بِالإِفْسَادِ فِي كُلِّ الدُّنَى
بِالفَتْكِ بِالتدمِيرِ نَبْلُغُ مَا نُرِيدُ.. وَبِالخَنَا
سَنَبِيعُ فِي سُوقِ الرَّذِيلَةِ، كُلَّ شَيءٍ.. عِنْدَنَا

حاول الشاعر أَنْ يؤكِّد الوسيلة التي اعتمد عليها اليهود الصهاينة؛ بغية الحصول على ما يطمحون إلى تحقيقه من سيطرة واستعباد، فسيتم كل ذلك بالوسائل التي ارتضوها لأنفسهم، وهي: "المال، الإرهاب، الفتك، التدمير، والإفساد". وقد جاء التأكيد على تلك الوسائل، من خلال تكرار الشاعر لحرف الجر "الباء"، وهو حرف مجهور شديد، مخرجه من بين الشفتين[1]، وقد أتى للتدليل والإشارة إلى الكلمة التي بعده، والتي يريد الشاعر أن يلفت انتباهنا إليها.

وقد أفاد هذا الحرف في الأسطر الشعرية السابقة معنى الاستعانة، فجاء ما بعده آلةً لحصول هذا المعنى. فكأننا نريد أَنْ نقول: سافرت بالطائرة. والمقصود هنا هو أنَّ فاعل الفعل "سافر" قد استعان بالطائرة كوسيلة لحدوث الفعل "سافر". وكذلك الأمر بالنسبة لليهود، حيث استعانوا بالوسائل السابقة – آنفة الذكر– بكلِّ ما تحمله تلك الوسائل من معان ودلالات موحيةً بالقتل والعدوان، كوسيلتين أساسيتين، وركيزتين هامتين من ركائزهم الثابتة، وسلماً يصعدون عليه للتمكن من الوصول إلى الهدف المنشود تحقيقه.

وفي قصيدة "قيامةُ الثأر" للشاعر محمود حسن إسماعيل يؤكِّد أنَّ العدو قد بسط نفوذه على أرض الوطن (فلسطين)، وأنَّ الأحرار من العرب قد هبوا للذود والدفاع عن أرضهم المغتصبة، مشيراً من خلال تكراره حرف الجر (في)، الذي أفاد معنى الظرفية المكانية، إلى أن هؤلاء الأحرار سيخرجون لملاقاة العدو في كل أرض وطئت أقدام العدو ترابها: من المسجد الأقصى ومحرابه، من ضفاف دجلة، وثرى

---

[1] يوسف عطا الطريفي، معاني الحروف ومخارجها وأصواتها في اللغة العربية، ص٧٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القدس، وحمى النيل، وغيرها من الأراضي التي دنسها العدو، وأنَّهم سيرجعون ليتيهوا في الصحراء من جديد ويضيعون، يقول الشاعر:[1]

وَأَنْتُم فِي كُلِّ أَرْضٍ سِيرَةُ القَلاقِلِ
وَالغَدْرِ، وَالضَّيَاعِ، وَالشُّرُورِ، وَالمَبَاذِلِ..
عَلَى سَمَاءِ المَسْجِدِ الأَقْصَى وَفِي مِحْرَابِه
وَفِي سُفُوحِ جَبَلِ النَّارِ وَفِي هِضَابِه
وَفِي ضِفَافِ دِجْلَةَ وَالبأْسُ فِي عِبَابِه
وَفِي ثَرَى دِمَشْقَ فِي زَمْجَرَةِ لُعَابِه
وَفِي حِمَى النيلِ وَهَوْلِ النَّارِ فِي سِبَابِه
فَي ثَوْرَةٍ دَكَّتْ ظَلامَ الرَّقِ مِنْ قِبَابِه
.. قِيَامَةُ الأَحْرَارِ هَبَّتْ للفِدَا
لِتَدْفِنَ اللصوصَ فِي غَيَاهِبِ الرَّدَى
فَيَرْجِعُونَ للمَدَى
مُشَتَّتِينَ أَبَدَا
مُضَيَّعِين

ومن الأمثلة الأخرى على هذا النوع من التكرار، قول الشاعر محمود درويش في قصيدة "طوبى لشيء لم يصل":[2]

إنَّ الجَّدَاوِلَ بَاقِيَةٌ فِي عُرُوقِي
وَإنَّ السَّنَابِلَ تَنْضُجُ تَحْتَ ثِيَابِي
وَإنَّ المَنَازِلَ مَهْجُورَةٌ فِي تَجَاعِيدِ كَفِّي
وَإنَّ السَّلاسِلَ تَلْتَفُّ حَوْلَ دَمِي

أراد الشاعر أنْ يؤكِّد ما للوطن من أهمية، بالنسبة له ولأبناء شعبه، وأنَّ البعد والمنفى لم ينسياه أرضه وشعبه، بل على العكس من ذلك، فالوطن ما يزال حاضراً في ذاكرته، بكلِّ ما فيه من سنابل وجداول ومنازل، حتى عذابات السجن والاعتقال المتمثلة بقوله: السلاسل، لم تنسه أرضه.

---

[1] انظر: محمود حسن إسماعيل، الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٩- ٢٠.

[2] محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص٢٥٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ومن يتأمل الجمل الشعرية السابقة، يرى ما قدمه الشاعر من محاولة لتأكيد ما هو مؤكد أصلاً في حقيقته. فحرف النصب "إن" المشبه بالفعل يفيد التوكيد وإزالة الشك عما يليه [١]. ومن خلال هذا التأكيد زاد الشاعر تأكيده وثبوته في نفسه وعقله.

وهناك نوع آخر من أنواع التكرار، وهو تكرار الألفاظ، وهو أنْ يعمد الشاعر إلى تكرار لفظة بعينها. ويعد من أبسط أنواع التكرار، وأكثره شيوعاً وانتشاراً في الشعر. وقد أطلق على هذا النوع من التكرار اسم "التكرار اللفظي"، ويظهر التكرار اللفظي في كثير من النماذج والنصوص الشعرية، ومنها على سبيل المثال، قول الشاعر علي أحمد باكثير:[٢]

إلى الجِهَادِ فالجِهادُ قَدْ وَجَبْ

لقد أيقظ الشاعر من خلال تلك الكلمة المكررة العرب والمسلمين من سباتهم العميق، مؤكِّداً بها على ضرورة الثورة والنضال في سبيل استرجاع ما سلب منهم. فلن يكون الحل لتحقيق ذلك إلاَّ بالجهاد. ففي الكلمة الأولى دعوة من الشاعر إلى ضرورة مواصلة الجهاد والقتال والذود عن الأرض المقدسة، أرض الإسراء والمعراج، أمَّا الكلمة الثانية، فقد جاءت من أجل التأكيد على أنَّ الوقت قد حان للجهاد، وبأنه واجب على كل المسلمين والعرب.

ومن نماذجه الشعرية أيضاً قصيدة "الغزاة" للشاعر أحمد مطر، يقول فيها:[٣]

واحدٌ ...يقرأُ في المسجدِ خُطبةْ!
واحدٌ ... يشرحُ بالقرآنِ قلبه!
واحدٌ ..يعبدُ ربّهْ!
واحدٌ يحملُ مِسواكاً مُريباً!
واحدٌ ... يلبسُ جُبَّةْ!

---

[١] يوسف عطا الطريفي، معاني الحروف ومخارجها وأصواتها في اللغة العربية، ص٦٢.

[٢] علي أحمد باكثير، قصائد علي أحمد باكثير عن فلسطين، ص٤٧.

[٣] أحمد مطر، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٣٢٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فتكرار لفظة "واحد" مع الحركة الإعرابية نفسها، قد أحدث تجانساً صوتياً وإيقاعاً حركياً وجرساً تتلذذ الأذن لسماعه، وفيه إيحاء بأنَّ إرهاب اليهود الصهاينة، وكلُّ ما يمارسونه على أرض فلسطين لا يميز بين أحد من البشر، فكل العرب والمسلمين، من وجهة نظرهم، هم أعداء لهم.

ومن يتأمل قصيدة "عاشق من فلسطين" للشاعر محمود درويش، يرَ أنَّه قد كرَّر لفظة "فلسطينية" في قصيدته سبع مرات بشكل متتال، مؤكِّداً انتماءه، وعروبته وفلسطينيته، يقول:[1]

فِلَسْطِينِيَّةُ العَيْنَينِ وَالوَشْمِ
فِلَسْطِينِيَّةُ الاسْمِ
فِلَسْطِينِيَّةُ الأَحْلامِ وَالهَمِّ
فِلَسْطِينِيَّةُ المِنْدِيلِ وَالقَدَمينِ وَالجِسْمِ
فِلَسْطِينِيَّةُ الكَلِمَاتِ وَالصمتِ
فِلَسْطِينِيَّةُ الصوتِ
فِلَسْطِينِيَّةُ الميلادِ وَالمَوْتِ

حرص الشاعر من خلال التكرار الذي عمد إليه في النص السابق على التأكيد على هُوية أرض فلسطين، فهي أرض عربية، ولم تكن في يوم من الأيام لليهود. وفي هذا إيحاء من الشاعر على تمسُّك أهل فلسطين بهويتهم وبعروبتهم وبأرضهم، وبعشقهم اللامحدود لها[2]. ولقد نجح الشاعر في إضفاء إيقاع صوتي على جو القصيدة، من خلال تكرار تلك الكلمة، وهيمنتها على النص، حتى غدت رمزاً مشعاً، موحياً بالثورة والمقاومة والتحدي.

---

[1] محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، المجلد الأول، ص٤٤

[2] عبد الخالق محمد العف، تشكيل البنية الإيقاعية في الشعر الفلسطيني المقاوم، ص١٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وفي قصيدة "بضع كلمات وقسم" للشاعر سليمان العيسى، نرى أنَّه قد اهتزت مشاعره وأحاسيسه، لمقتل الشهيد المجاهد أبي جهاد على يد اليهود الصهاينة، فلجأ إلى ترديد لفظة "الرصاص" بشكل متتابع، يقول:[1]

كُلُّ الرَّصاصِ.. ليقتُلوكْ
كُلُّ الرَّصاصِ.. ليُسْكِتوكْ
كُلُّ الرَّصاصِ.. ليُطفِئوا شررا
كُلُّ الرَّصاصِ.. ليُخمِدوا حَجَرا
كُلُّ الرَّصاصِ..
وراحلونَ كما أَتَوْا..

هنا تظهر القيمة الموسيقية التي أحدثها تكرار تلك اللفظة "الرصاص"، حيث يُشير الشاعر من خلالها إلى أنَّ اليهود المعتدين قد استخدموا السلاح الفتاك من أجل تحقيق مآربهم، وإسكات كلّ من يحاول أنْ يقف في وجههم، وفي طريقهم. ولو تم حذف تلك الكلمة، لاختل الوزن الشعري والمعنى المستفاد منها، فالمبتدأ في النص خدم فكرة الشاعر، التي أراد أنْ يضعها أمام المتلقي، لمعرفة من هو عدوه؟ وكيف يعمد إلى القتل للتخلص من العرب والمسلمين وإسكات المقاومين، وإطفاء شرارة الثورة، التي اعترت نفوس الأحرار منهم، والتي تأججت في صدورهم؛ نتيجة ذلك الاحتلال والعدوان، وحتى لا يستطيع أحد منهم رفع حجر في وجههم، ذلك الحجر الذي لطالما اعتبر رمزاً وسلاحاً، موحياً بالتحدي والثورة[2]، استخدمه أبناء تلك الأرض المغتصبة؛ لرد الظلم والعدوان عنها وعن أبنائها.

وهناك نوع آخر من أنواع التكرار، يتمثَّل بتكرار العبارة، وهذا النوع لم يكن مستخدماً، أو بالأحرى لم يكن ينظر إليه البلاغيون القدماء إلى أنَّه تكرار ذو فائدة، بل يرونه عيباً لا فائدة منه، ولا يضيف شيئاً إلى المعنى. ولكن هذا الأمر لم يبق على ما هو عليه عند القدماء، بل أصبح تكرار العبارة

---

[1] انظر: سليمان العيسى، نشيد الحجارة: مجموعة قصائد، ص٢٥- ٢٦.

[2] عبد الخالق محمد العف، تشكيل البنية الإيقاعية في الشعر الفلسطيني المقاوم، ص١٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مظهراً أساسياً في هيكل القصيدة، ومرآةً تعكس كثافة الشعور المتعالي في نفس الشاعر وإضاءةً معينةً للقارئ على تتبع المعاني والأفكار والصور"[١].

ومثال هذا التكرار ما جاءت به الشاعرة زينب حبش، في قصيدتها " أنخابُ النصر"، تقول فيها:[٢]

اصْرُخْ مَعِي يَا شَاعِرَ النِّضَال
اصْرُخْ مَعِي
فَالدَّمُ يَمْلأُ الشَّوارِعَ العَتِيقَة
وَالدَّمُ يَمْلأُ الكُؤوس

إنَّ تكرار عبارة "اصرخ معي" يعكس ما في صدر الشاعرة وغيرها من الثورة والتحدي، والذي من شأنه أَنْ يُحدث إيقاعاً منتظماً، زاد من النبرة النغمية وعبارات الحماسة والهتافات، التي تدعو إلى النهوض وتحدي الصعاب. وفي تكرار الشاعرة للجملة الأسمية "الدمُ يملأُ" إشارة واضحة إلى ما تحمل تلك اللفظة من دلالة رمزية للقتل وسفك الدماء على تلك الأرض، الذي غدا بالنسبة لليهود الصهاينة شرابهم المستساغ، الذي يتلذذون في شربه.

قال الشاعر رجا سمرين في قصيدة "أرفض العودة":[٣]

أَرْفُضُ العَوْدَةَ للقُدْسِ بِتَصْرِيحٍ يَهُودِي
فِيهِ أَنَّ القُدْسَ لَيْسَتْ وَطَنَاً لِي عَنْ جُدُودِي
فِيهِ أَنِّي لَسْتُ إِلاَّ سَائِحَاً عَبَرَ الحُدُود
...
أَرْفُضُ العَوْدَةَ للقُدْسِ بِلا طَبْلٍ يُدَوِّي
مُعْلِناً نَصْرِي عَلَى الأَعْدَاءِ فِي أَرْضِي وَجَوِّي
شَارِباً نَخْبَ الَّذِينَ اسْتُشْهِدُوا مِنْ أَلْفِ عَام
فِي سَبِيلِ اللهِ وَالقُدْسِ وَمِنْ أَجْلِ السَّلام

---

[١] فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدرسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤م، ص١٠١.
[٢] زينب حبش، الجرح الفلسطيني وبراعم الدم (شعر)، ص١٨.
[٣] انظر: رجا سمرين، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٦١- ٦٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أَرْفُضُ العَوْدَةَ لِلقُدْسِ وَقَالُونيَا أَسِيرَة

* * *

فَهِيَ عِنْدِي أَقْدَسُ الأَقْدَاس،
أَسْمَى مِنْ جَمِيعِ المُدُنِ الغَرَّاءِ
فِي قَلْبِي أَمِيرَة
لَيْسَ يَحْلُو العَيْشُ إِلاَّ فِي حِمَاهَا
أَوْ تُقِرُّ الرُّوحُ فِي غَيْرِ سَمَاهَا

يُعبِّر الشاعر عن إلحاحه على الرفض: رفض العودة للقدس، ما دام اليهود هم من يملكون زمام الأمور، ويسيطرون على الدولة، ويتحكمون بها وبأهلها، وما دامت الأرض أسيرةً بين أيديهم، فإنَّ الشاعر يرفض أن يعود إلى وطنه. فالشاعر كغيره من أصحاب تلك الأرض يحلم بالعودة إلى وطنه مع ارتفاع الصوت والطبل، الذي يدلُّ على نصر العرب والمسلمين على اليهود الصهاينة. تلك كانت أمنية الشاعر وشرطه للعودة إلى أرضه، حتى تكون العودة أجمل وأكثر بهجةً وفرحاً.

وفي تكرار الشاعر للعبارة التالية: "أرفض العودة للقدس"، تأكيد على رفضه العودة إلى وطنه، في ظل هذا الاحتلال والعدوان. فقد أحدث هذا التكرار نوعاً من الإيقاع والتنغيم، الذي أثرى النص وأغناه، وأكد رؤية الشاعر فيه.

ويقول غازي القصيبي:[1]

يَا طُغْمَة " الليكُودْ " !
يَا مَنْ تَتَلمذتُم عَلَى هِتلرَ..
في صِناعَةِ الإِجْرَامْ
...
نَحْنُ مَع السَّلامْ!
وذبَّحوا أَطْفَالَنَا!
نَحْنُ مَع السَّلامْ!

[1] انظر: غازي القصيبي، ديوان للشهداء، ص٤١– ٤٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَمَزِّقُوا أَوْصالَنا!
نَحْنُ مَع السَّلامْ!

إنَّ السَّلام في عرف اليهود هو أنْ تصبح الأمة لقمةً سائغةً في أفواههم، ودميةً طيعةً بين أيديهم، يلعبون بها كيف شاءوا. لذا كان من السخف والغباء أن يتقنع اليهود بقناع السَّلام أمام العالم برمته، ويظهر نفسه وكأنه الحمل الوديع، وهو في مقابل ذلك، يوجِّه أسلحته الفتاكة إلى صدور الأطفال، لقتل طفولتهم وضحكتهم البرئية، ويمزق أوصالهم وأوصال شعبهم. لذا كرر الشاعر العبارة الآتية: "نحن مع السَّلام!"؛ بهدف السخرية والإستنكار من هذا الأمر ومن اليهود أنفسهم.

وأخيراً هناك نوع من التكرار يسمى " تكرار اللازمة"، فاللازمة هي "مظهر إيقاعي يكشف عن الفكرة المسيطرة على الشاعر والحالة الشعرية الطاغية على مضمون النص، كما أن اللازمة مظهر من مظاهر الإيقاع لا يمكن تطويرها، فيما يبدو، إلا من خلال الانتقال بها من مستوى البنية التكرارية إلى مستوى الوظيفة الإيقاعية التي تتجاوز طور التكرار التعاقبي فطور الترابط والتركيب"[١].

ومن الأمثلة الشعرية على تكرار اللازمة، قول الشاعر سميح القاسم في قصيدة "في القرنِ العشرين":[٢]

أَنَا قَبْلَ قُرُون
لَمْ أَتَعَوَّد أَنْ أَكْرَه
لَكِنِّي مُكْرَه
أَنْ أُشْرِعَ رُمْحَاً لا يَعْيَى
فِي وَجْهِ التنين
أَنْ أُشْهِرَ سَيفاً مِنْ نَار
فِي وَجْهِ البَعْلِ المَأْفُون
أَنْ أُصْبِحَ إِيليّا
فِي القَرْنِ العِشْرِين

---

[١] علوي الهاشمي، السكون المتحرك، منشورات اتحاد أدباء الإمارات، ١٩٩٢م، ص٣٨٠.

[٢] انظر: سميح القاسم، الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الأول، ص٢٦- ٢٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أَنَا .. قَبْلَ قُرُون
لَمْ أَتَعَوَّد أَنْ أُلحِدْ
لَكِنِّي أُجْلَدْ
آلهةً.. كَانَتْ فِي قَلْبِي
آلهةٌ بَاعَتْ شَعْبِي
فِي القَرْنِ العِشْرِين!
أَنَا قَبْلَ قُرُون
لَمْ أَطْرُد مِنْ بَابِي زَائِر
وفَتَحْتُ عُيونِي ذَاتَ صَبَاح
فَإِذَا غَلاَّتِي مَسْرُوقَه
ورفِيقَةُ عمري مَشْنُوقَه
وَإِذَا فِي ظَهْرِ صَغِيري.. حَقْلُ جِرَاح
وَعَرَفْتُ ضُيوفِي الغَدَّارِين
فَزَرَعْتُ بِبَابِي أَلْغَاماً وَخَنَاجِر
وَحَلَفْتُ بِآثَارِ السكين
لَنْ يَدْخُلَ بَيْتِي مِنْهُم زَائِر
فِي القَرْنِ العِشْرِين!
أَنَا قَبْلَ قُرُون
مَا كُنْتُ سِوى شَاعِر
فِي حَلَقَاتِ الصُّوفِيين
لَكِنِّي بُرْكَانٌ ثَائِر
فِي القَرْنِ العِشْرِين!!

تردد في القصيدة السابقة العبارتان الآتيتان "أنا قبل قرون" و" في القرن العشرين!!"، جاءت العبارة الأولى كلازمة شعرية تكررت في بداية كل مقطع من القصيدة، أمَّا الأخرى فتكررت في ختام كلِّ مقطع من القصيدة، وكان الهدف من ذلك تقسيم القصيدة إلى وحدات صغيرة داخل النص الكامل[1].

---

[1] عبد الرحمن إبراهيم المهوس، الشعر السعودي المعاصر: دراسة في انزياح الإيقاع، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، ٢٠٠٣م، ص١٤٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن يتأمل العبارتين، يجد أنَّ الشاعر قد وضعنا أمام نمطين متضادين: الأول وقع في الزمن الماضي، والثاني يحدث في القرن العشرين، ذلك القرن الذي شهد غدر اليهود بأبناء الشعب الفلسطيني، وتجبرهم في الأرض، وإفسادهم وتسلطهم على مقدرات الشعوب. فجاء التكرار وسيلةً استرسل فيها الشاعر باستعراض أحزانه وتمزقه الداخلي، وشحن التكرار الجمل بإيحاءات جديدة وتعميق الصورة والمشاعر. وفي تكرار اللازمة تأكيد على أهمية العبارة نفسها، وكأنها تعد نقطة الارتكاز والإنطلاق، التي انطلق منها الشاعر لعرض مشاعره وأحاسيسه، وكأن اللازمة هي الموضوع كله.

ب- الطباق:

نوع من أنواع المحسنات البديعية المعنوية، وهو "أنْ تضع شيئين في مواجهة بعضهما دون أنْ نجد أي اختلاف بارز بينهما. هذا هو المعنى الذي كان سائداً ومعمولاً به منذ البداية، إلى جانب المعنى الجديد الذي اكتسبته "المطابقة" حديثاً بمعنى "المقابلة" أي تقارب الأضداد..."[1].

ويكون الطباق إما بلفظين من نوع واحد، أي أن يكون اللفظان اسمين، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2]، أو فعلين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[3]، أو حرفين ﴿ لا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[4]. فالمطابقة في الآية الكريمة الأولى تتمثل في الاسمين: الليل والنهار، وفي الآية الثانية كانت

---

[1] إ. ج. كراتشكوفسكي، علم البديع والبلاغة عند العرب، ترجمه وقدَّم لَهُ محمد الحجيري، ط٢، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٨٦م، ص٤٣.

[2] سورة الأنعام، آية١٣.

[3] سورة البقرة، آية٦.

[4] سورة البقرة، مِنَ الآية٢٨٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المطابقة بين الفعلين: أنذرتهم، لم تنذرهم، أما الآية الثالثة، فقد حدثت مطابقة بين حرفي الجر: اللام وعلى، حيث أن حرف الجر (اللام)، يتضمن هنا معنى المنفعة، ويتضمن (على) معنى المضرة[1]. وقد تأتي المطابقة بين لفظين ليسا من نفس النوع، أي بين اسم وفعل، كقول الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[2].

والطباق نوعان هما:

١- طباق الإيجاب: وهو ما صرِّح فيه بإظهار الضدين، أو هو ما لم يختلف فيه الضدان إيجاباً أو سلباً[3]، كقول الله عزوجل: ﴿فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[4]. فالمطابقة هنا بين (تُمسون) و(تُصبحون).

ومن النماذج الشعرية التي يستخدم فيها الشاعر طباق الإيجاب لإظهار التضاد والتقابل بين شيئين، ما ورد في قول الشاعر سليم الزعنون، حيث قابل بين أمتين- كما أشرنا آنفاً- يقول:[5]

يَا رَبُّ هَلْ تَرْقَى وَتَحْيَا أُمَّةٌ ... بِتَحَكُّمِ الجُهَلاءِ بِالعُقَلاءِ
يَا رَبُّ هَلْ تَرْقَى وَتَحْيَا أُمَّةٌ ... بِتَخَالُطِ الأَمْرَاضِ بِالأَدْوَاءِ
يَا رَبُّ هَلْ تَرْقَى وَتَحْيَا أُمَّةٌ ... تُبْنَى عَلَى جُثَثٍ مِنَ الأَحْيَاءِ
يَا رَبُّ هَلْ تَرْقَى وَتَحْيَا أُمَّةٌ ... بِتَعَادُلِ الأَنْصَارِ بِالأَعْدَاءِ

طابق الشاعر في الأبيات الشعرية السابقة بين الألفاظ الآتية: (الجهلاء والعقلاء) و (الأنصار والأعداء)، و(الأمراض والأدواء) و(الجثث والأحياء)، وهو من طباق الإيجاب.

---

[1] محمد أحمد حسن المراغي، في البلاغة العربية: علم البديع، دار العلوم العربية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٦٧.

[2] سورة الأنعام، مِنَ الآية١٢٣.

[3] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية: علم البديع، ص٦٩.

[4] سورة الروم، مِنَ الآية١٧.

[5] سليم الزعنون، ديوان يا أُمَّة القدس، ص١٦٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي قول الشاعر علي صدقي عبد القادر في قصيدة "حكايةُ جدةٌ لحفيد" عمد إلى طباق الإيجاب، حيث طابق بين (جن الظلام)، أي الليل و(النهار):[1]

لَمْ أكتشفْ بِأَنَّها أَفعى إِذَا جَنَّ الظَّلام
وبِالنهارِ، مَرْأَةٌ، وجَارَتِي القديمة

٢- طباق السلب: وهو المطابقة التي يختلف فيها اللفظان إيجاباً وسلباً[2]، كأن نجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت أو منفي أو أمر ونهي. وهناك صورة يبرز فيها التضاد بين الألفاظ، في قول الشاعرة أمينة العدوان، مشيرةً إلى ما يجب القيام به بعد أن دمر اليهود الصهاينة بيوتهم وأحرقوا زرعهم، وهدموا مساجدهم وكنائسهم ومدارسهم، وقتلوا أبناء تلك الأرض واحداً تلو الآخر، تقول:[3]

اذْهَبْ إِلَى الأَمَاكِنِ الَّتِي غَادَرَهَا
وابْنِ البُيوتَ الَّتِي هَدَّمَهَا
واسْتَرِدْ أَشْجَارَ الزيتونِ الَّتِي اقْتَلَعَهَا
وَغَنِّ الأُغْنِيَةَ الَّتِي مَنَعَهَا
وَاكْتُبِ الأَسْمَاءَ الَّتِي مَحَاهَا

فإذا تأملنا قول الشاعرة، وجدنا أن في كلِّ سطر من الأسطر الشعرية مثالاً على الشيء وضده. فالمثال الأول اشتمل على الكلمتين "اذهب وغادر"، والمثال الثاني اشتمل على "ابن واهدم" ثم "ازرع واقتلع" و "غن ومنع"، وأخيراً "اكتب ومحا". ويدعى الطباق هنا طباق السلب، حيث جاء بين الأفعال بصيغة الأمر والأفعال بصيغة الماضي. من هنا نرى أنَّ الشاعرة قد قابلت بين صورتين واقعيتين، الأولى حدثت في الماضي، والثانية ستحدث في المستقبل القريب، وهو الأمر الأهم في هذا النص، والتي أرادت الشاعرة أن تنبه المتلقي إليه.

---

[1] علي صدقي عبد القادر، ديوان اشتهاء مع وقف التنفيذ، ص١١٣.

[2] محمد أحمد حسن المراغي، في البلاغة العربية: علم البديع، ص٦٨.

[3] انظر: أمينة العدوان، ديوان من يموت، ص٦٨- ٦٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وطابق الشاعر هارون هاشم رشيد بين الفعل المثبت والفعل المنفي، حيث قال:[1]

هُوَ لَمْ يَرْعَ.. لَهَا حُرْمَتَـــــهَا كَيْفَ يَرْعَاهَا خَسِيسُ الأَصْـــــلِ آثم

جاءت المطابقة في البيت السابق بين الفعل المنفي (لَمْ يرعَ) والفعل (يرعى).

وفي قول الشاعر إيليا أبي ماضي في قصيدة "اليهودي التائه" طابق بين الفعل المثبت (تستحوا) والفعل المنفي (لا يستحي):[2]

إِنْ تَسْتَحُوا لا يَسْتَحِي كَـذَا الإِلَهُ خَلَقَـهُ

ج- الجناس:

نوع من أنواع المحسنات البديعية اللفظية ويسمى: التجنيس والتجانس والمجانسة. وهو أن يحدث تجانس أي تشابه بين كلمتين في اللفظ ويكون معناهما مختلفان[3]. يرى أبو هلال العسكري أنَّ التجنيس هو أنْ يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها، فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظاً واشتقاق معنى، ومن التجنيس ضرب آخر وهو أن تأتي الحروف إلا أن في حروفها تقديماً وتأخيراً، كأن نقول: (صفائح) أي: السيف العريض وهي جمع صفيحة، و(صحائف) أي: الورق وهي جمع صحيفة[4]. ويجد أسامة بن منقذ: "أن التجانس يقابل معنى الاشتقاق. وهو تركيب مشتق من

---

[1] هارون هاشم رشيد، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٨٣.

[2] إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص١٠١٦.

[3] محمد أحمد حسن المراغي، في البلاغة العربية: علم البديع، ص١٠٩.

[4] انظر: العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م، ص٣٢١، ص٣٣١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجذر نفسه أو الأصل. ويكمن في العمل الذي يظهر كلمة قريبة من كلمة أخرى شعراً أو نثراً"[١]، ويعرفه ف. ر. بالمر: "هو وجود عدة كلمات بالشكل نفسه، وتكون مختلفةً في المعاني"[٢].

من هنا نرى أنَّ الجناس هو أنْ يتشابه لفظان في النطق ويختلفان في المعنى. والتجنيس أو الجناس نوعان هما: الجناس التام وهو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي: أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها[٣]. ومن أمثلة الجناس التام قول الشاعر المتوكل طه:[٤]

إِنِّي أُرِيدُ السَّلامَ.. ولَكِنْ
سَلاماً يُعِيدُ لأُمَّتِنَا قُدْسَهَا الكَاسِفَة..
سَلامٌ، بِدُونِ السَّلامِ، سَلامٌ عَلَيهِ

فكلمة (سلام) الأولى (في السطر الأخير) تعني: الإتفاق السلمي الذي ينتج عن المفاوضات بين الطرف الفلسطيني والآخر الإسرائيلي. أما كلمة (سلام) الثانية، فهي بمعنى: اليأس من هذا السلام (الإتفاق) وفقدان الأمل من تحقيقه.

ومن نماذجه أيضاً قول الشاعر سليم الزعنون في قصيدة "يا رب":[٥]

يَا رَبُّ هَلْ تَرْقَى وَتَحْيَا أُمَّةٌ بِتَبَدُّلِ الإِنْشَـــاءِ بِالإِنْشَاءِ

جاءت الكلمة الأولى (الإنشاء) بمعنى البناء، أما الكلمة الثانية فتعني المقال الإنشائي.

---

(١) أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ (ت٥٨٤هـ)، البديع البديع في نقد الشعر، ص٤٢.

(٢) ف. ر. بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة صبري إبراهيم السيِّد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م، ص١١٧.

(٣) عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية: علم البديع، ص١٨٨.

(٤) انظر: المتوكل طه، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٤٣٧- ٤٣٨.

(٥) سليم الزعنون، ديوان يا أُمَّة القدس، ص١٦٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والجناس الناقص، هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة السابقة[١]. ومثال ذلك النوع من المحسنات البديعية، ما جاء في قول معروف الرصافي في قصيدة "إلى هربر صموئيل":[٢]

وَإِنِّي أَرَى العُرْبِيَّ للعُرْبِ يَنْتَمِي قَرِيباً مِنَ العِبْرِيِّ يُنمَى إِلَى العِبْر

الجناس هنا يكمن في الكلمتين" العربي والعبري"، وبين" العرب والعبر". وهو جناس غير تام "ناقص"، يختلف في أحد الأمور الأربعة، وهو ترتيب الحروف وتشكيلها "الحركات والسكنات". فالكلمة الأولى صفة للشخص الذي ينتمي إلى العرب، والثانية صفة للشخص الذي ينتمي إلى العبرانيين اليهود.

وإذا تأملنا قول الشاعر محمود عبد الحميد الأفغاني، نجد أنَّه قد عمد إلى الجناس الناقص في قوله:[٣]

لا تَسَلْهُ، لِمَ يَبْكِي؟ لا تَسَلْ! دَمْعَةٌ سَالَتْ، عَلَى خَدِّ البَطَلْ

في البيت جناس بين كلمتي "تسل" و"سالت". والسبب في عدم تمامه اختلاف الكلمتين في عدد الحروف وترتيبها، وهذا أدى إلى الاختلاف في المعنى، فجاءت الأولى بمعنى الاستفسار والسؤال، والثانية بمعنى النزول والسيلان.

وعلى سبيل المثال أيضاً يقول الشاعر عبد الفتاح عبد العال في قصيدة "حرمان وفداء":[٤]

لا بُدَّ أَنْ يَجُودَ.. لا بُدَّ أَنْ يَعُودَ
مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسُودَ الفِدَاءُ وَيَذُودَ
لا بُدَّ أَنْ يَذُودَ .. لا بُدَّ أَنْ يَسُودَ
مِنْ أَجْلِ أَنْ يَطُودَ النِّدَاءُ وَيَقُودَ
لا بُدَّ أَنْ يَقُودَ.. لا بُدَّ أَنْ يَطُودَ
مِنْ أَجْلِ أَنْ يَبُورَ الإِيذَاءُ وَيَغُورَ

---

[١] انظر: صلاح الدين الصفدي، جناس الجناس في علم البديع، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ١٢٩٩م، ص٢٠-٢٢.

[٢] معروف الرصافي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٥٦١.

[٣] محمود عبد الحميد الأفغاني، ديوان الأفغاني: شاعر شباب فلسطين، ص٨٠.

[٤] عبد الفتاح رمضان عبد العال، ديوان نداء الأقصى، ص٤٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لا بُدَّ أَنْ يَغُورَ .. لا بُدَّ أَنْ يَبُورَ
مِنْ أَجْلِ أَنْ يَفُوزَ البَّلاءُ وَيَخُورَ
لا بُدَّ أَنْ يَخُورَ .. لا بُدَّ أَنْ يَفُورَ
مِنْ أَجْلِ أَنْ يَمُورَ العِدَاءُ وَيَكُورَ
لا بُدَّ أَنْ يَكُورَ .. لا بُدَّ أَنْ يَمُورَ

في هذه الأسطر الشعرية جناس في عدة ألفاظ، فهناك جناس بين كلمتي "يجود" و"يعود"، وبين كلمتي "يسود" و"يذود"، وبين كلمتي "يطود" و"يقود"، وبين كلمتي "يغور" و"يبور"، وبين كلمتي "يمور" و"يكور".

والجناس هنا غير تام؛ وذلك لاختلاف في نوع الحروف، حيث إنَّ كلمة "يجور" تختلف في نوع الحرف عن كلمة "يعود". فالحرف الثاني في الكلمتين مختلف، الأول "جيم" والآخر "عين". وفي الموضع الثاني كان الاختلاف بين حرفي" السين والدال"، ثم بين "الطاء والقاف"، ثم بين "الغين والباء"، وأخيراً بين "الميم والكاف". ومن هذا الاختلاف حدث اختلاف في المعنى بين الكلمة وما يجانسها.

وفي قصيدة "إلى السيد المسيح في عيده" للشاعرة فدوى طوقان، تقول:[1]

قَتَلَ الكَرَّامُونَ الوَارِثَ يا سَيِّدُ–
واغْتَصَبُوا الكَرْمَ
وخُطَاةُ العَالَمِ رَيَّشَ فِيهِمْ طَيْرُ –
الإِثْمِ
وانْطَلَقَ يُدَنِّسُ طُهْرَ القُدْسْ
شَيْطَاناً مَلْعُوناً، يَمْقُتُهُ حَتَّى الشيطَان

جانست الشاعرة في السطر الأخير بين كلمة (الشيطان) الأولى والثانية، ونرى أنَّ الجناس هنا جناس غير تام (الجناس الناقص)، وذلك لاختلاف في عدد الحروف وفي الحركة، كما أن بين الكلمتين

[1] فدوى طوقان، ديوان فدوى طوقان، ص٥٠١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

اختلاف في المعنى، فالكلمة الأولى، تشير إلى اليهود أنفسهم، أمَّا الكلمة الثانية، فتشير إلى الروح الشريرة، وكلِّ عاتٍ متمرد من إنس أو جن.

تلك كانت بعض الوسائل الفنية التي عمد إليها الشاعر العربي في رسمه لصورة اليهودي وشخصيته المتقلبة، من أجل أنْ يُحدث نوعاً من الإيقاع الداخلي الموسيقي في القصيدة، ونبرةً نغميةً خطابيةً مرتفعةً، تعبر عن شدة المعاناة التي يعانيها من وطأة الظلم الذي يمارسه اليهودي عليه وعلى شعبه في فلسطين.

تمّ بحمد الله

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الخاتمة

نستطيع القول: إنَّ الصراع العربيّ الإسرائيليّ حظي باهتمامٍ كبيرٍ عند الشعراء العرب في القرن العشرين؛ حيثُ كانت القضية الفلسطينية هي السبب الرئيسي لتناول الشعراء لصورة اليهوديّ في درج قصائدهم، بكلّ ما فيها منْ صراعات ونزاعات بين قوى الخير وقوى الشرّ، واحتلالٍ للأرض العربية الفلسطينية، وتشريد الشعب الفلسطينيّ منْ أرضه وديارِه، بالإضافة إلى تعذيبهم واضطهادهم بشتّى الوسائل الهمجية القاسية. منْ هنا شكّلت هذه القضية الهاجس الأكبر والأهم لدى الشعراء في الوطن العربيّ.

ومنْ تأمّل القصائد الشعرية، التي عبّرت عن شخصية اليهوديّ، وجد أنَّ فيها الكثير من الصور التي تنوعت بتنوّع مواقف الشعراء؛ لذا جاءت نظرة الشاعر العربي لليهودي متراوحةً بين الصور السلبية الكثيرة والصور الإيجابية القليلة، حيثُ إنَّ هذه النظرة قد تختلف منْ شاعرٍ إلى آخر، بلْ قد تختلف لدى الشاعر الواحد بحسب الموقف النفسيّ والظرف الموضوعي، فنرى الشاعر في بعض قصائده يحاول أنْ يُعبّر عن نظرته الناقمة تجاه اليهودي، فيصوِّره بأنَّه هو منْ سلب حقوقه وحقوق أبناء شعبه العربيّ الفلسطيني، وفي البعض الآخر يُعبّر عن نظرة مسالمة، يُحاول أنْ يبديها تجاه مُحيطه، بالإضافة إلى أنّ مأساة فلسطين قد طبعت القصائد الشعرية بطابع قاتم، فالشاعر- في تلك القصائد التي حاولت أنْ تلقي الضوء على شخصية اليهودي- دائم الحزن ودائم الغربة، ويعيش في واقع مرير، لا يمكن أنْ يتصوّره جميلاً إلاّ منْ كان ساذجاً.

ومن الناحية الفنية، نجد أنَّ اللغة قد كانت الوعاء الذي استوعب عناصر العمل الأدبي كلِّها، والذي منْ خلاله قدّم الشاعر نصّه بالصورة التي يراها المتلقي ويتقبّلها، إلاّ أنّ لكُلِّ شاعرٍ طريقته الخاصة في اختيار ألفاظه وتشكيله لنصّه وتمكنُّه من اللغة، التي تبرز منْ خلالها عناصر العمل الأدبي.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لقد جاء الشعر مُعبِّراً عن حقيقة مشاعر صاحبه وأحاسيسه الجيَّاشة، ومن يتأمل الألفاظ التي اختارها الشاعر العربي، في تعبيره عن الشخصية اليهودية، يجد أنّها جاءت مناسبة لموضوع القصيدة العام.

وللقافية في الشعر مساهمة مهمة في إيجاد نغمة موسيقية تتكرر مع الأبيات؛ حيثُ إنَّها أصبحت لدى الشاعر عبارة عن محطَّة يتوقف عندها، منْ أجل استرداد النفس، واستئناف السير منْ جديد، كي يتمكّن منْ استيعاب دلالة كُلّ مفردة على حده[1]. والشاعر البارع هو الذي يُحْسن استعمال القافية ويُشْعر المتلقي بتلاحم القافية مع كلمات البيت التي تسبقها منْ حيثُ المعنى والصياغة، فتصبح السطور أو الأبيات متوالية يعزفها الشاعر بمهارته وبراعته في اختيار كلماته وقوافيه وأوزانه. فلولا الوزن والقافية في الشعر لما استطاع المتلقي أنْ يُحسّ الفرق بين النثر والشعر منْ حيثُ التأثير والجمال.

أودُّ في الختام أنْ أُشير إلى أنَّني لمْ أعرض لكُلِّ الصور التي رسمت اليهودي وشخصيته في الشعر العربي في القرن العشرين، بلْ حاولت أنْ أُسلِّط الضوء على البعض منْها، علَّي أكون قد كشفت منْ خلال تلك الصور عن شخصية اليهودي وملامحه، كما صوَّرها الشاعر العربيُّ في هذا القرن.

---

[1] أحمد قاسم الزمر، ظواهر أسلوبية في الشعر الحديث في اليمن، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٣٢٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثَبْتُ المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

* الحديث النبوي الشريف.

* الكتاب المقدس (العهدين العتيق والجديد)، دار المشرق، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١- إ. ج. كراتشكوفسكي، علم البديع والبلاغة عند العرب، ترجمه وقدَّم لَهُ محمد الحجيري، ط٢، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٨٦م.

٢- أ. يو. يكوبوسفكي، تيمور لنك وصف موجز لسيرة حياته، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، مجلة دراسات الجامعة الأردنية، مجلد١٥، عدد٧، ١٩٨٨م.

٣- إبراهيم أبو عواد، صورة اليهود في القرآن والسنة والأناجيل، دار اليازوري، عمان، ٢٠٠٨.

٤- إبراهيم السامرائي، مقدمة في لغة الشعر الحديث، مجلة أفكار، العدد٦٨، ١٩٨٤م.

٥- إبراهيم خليل، البعد اللغوي في الشعر الأردني الحديث (البعد الدلالي)، مجلة أفكار، وزارة الثقافة والإعلام، عمان، العدد (٨٩-٩٠).

٦- إبراهيم خليل، تناسُل النصوص، جريدة الرأي (الملحق الثقافي)، عمّان، العدد (١٤٤٠٤)، السنة التاسعة والثلاثون، الجمعة ٣ ربيع الثاني ١٤٣١هـ/ ١٩ آذار ٢٠١٠م.

٧- إبراهيم طوقان، الأعمال الشعرية الكاملة لإبراهيم طوقان، نظرة في شعره إحسان عباس، مقدمة فدوى طوقان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣م.

٨- إبراهيم عبد الرحمن محمد، قضايا الشعر في النقد الأدبي، دار العودة، بيروت، ١٩٨١م.

٩- إبراهيم نمر موسى، أشكال التناص الشعبي في شعر توفيق زيّاد، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، جمادى الأولى١٤٣٠هـ/ يونيه٢٠٠٩م.

١٠- ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، رسائل ابن حزم الاندلسي، تحقيق إحسان عباس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧م.

١١- ابن كثير: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٢- ابن منظور (ت٧١١هـ)، لسان العرب، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

١٣- ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية، تقديم طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، المجلدان الأول (١٩٧٠م) والثاني١٣٩٤هـ/١٩٧٥م).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

١٤- ابن وهب: أبو محمد عبد الله بن محمد (ت٣٠٨هـ)، تفسير ابن وهب المسمَّى الواضح في تفسير القرآن الكريم، تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٥- أبو إسحاق الإلبيري، ديوان أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق محمد رضوان الداية، ط٢، دار قتيبة، (د.م)، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، سلسلة دراسات أندلسية، عدد٧.

١٦- أبو الحسين مسلم بن الحجاج القُشيري النيسابوري (٢٠٦هـ/٢٦١هـ)، صحيح مسلم، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٧- أبو داود: سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢هـ - ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود المسمَّى السنن، قيَّم كتبه وأبوابه هيثم بن كزار تميم، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٨- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م.

١٩- إحسان عباس، فن الشعر، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

٢٠- إحسان مرتضى، فلسفة العنف كضرورة حتمية في السياسة الإسرائيلية، مجلة الدفاع الوطني، عدد٤٤، ١/٤/٢٠٠٣.

٢١- أحلام مستغانمي، كلمات في لحظة عري، دار الآداب، بيروت، شباط (فبراير) ١٩٧٦م.

٢٢- أحمد الدوسري، أمل دنقل شاعر على خطوط النار، ط٢، دار الفارس، عمان، ٢٠٠٤م، سلسلة دراسات أدب.

٢٣- أحمد بسام ساعي، حركة الشعر الحديث في سورية من خلال أعلامه دراسة، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٧٨م.

٢٤- أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة الشطر الأول منْ رسائل العصر العباسي الأول، وهي تحوي رسائل العباسيين من أول خلافة السفاح إِلَى آخر خلافة المأمون، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٣٧م.

٢٥- أحمد سليمان الأحمد، دراسات في المسرح المعاصر، دار الأجيال، دمشق، ١٩٧٢م.

٢٦- أحمد شلبي، مقارنة الأديان: اليهودية، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٧- أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ط٣، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٨م.

٢٨- أحمد قاسم الزمر، ظواهر أسلوبية في الشعر الحديث في اليمن، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢٩- أحمد كشك، الزحاف والعلة: رؤية في التجريد والأصوات والإيقاع، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٣٠- ـــــــــ، القافية تاج الإيقاع الشعري، (د.م)، (د.ن)، ١٩٨٣م.
٣١- أحمد محرم، ديوان الأقصى الحزين، تحقيق محمود أحمد محرم، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٤م.
٣٢- أحمد محمد العرود، جدلية نزار قباني في النقد العربي الحديث، دار الكتاب الثقافي، اربد، ٢٠٠٦م.
٣٣- أحمد مختار البزرة، الأسر والسجن في شعر العرب: تاريخ ودراسة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٣٤- أحمد مطر، الأعمال الشعرية الكاملة، ط٢، (د.ن)، لندن، ٢٠٠١م.
٣٥- أحمد مطلوب، القروي شاعر العروبة في المهجر، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٥م.
٣٦- أحمد نوفل، الحرب النفسية بيننا وبين العدو الإسرائيلي (الكتاب الثالث)، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، سلسلة الحرب النفسية، عدد٤.
٣٧- أحمد ياسين السليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، إشراف جابر أحمد عصفور، رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراة في النقد الأدبي، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٩م.
٣٨- أحمد يوسف داود، لغة الشعر بحث في المنهج والتطبيق بغرض الكشف عن مدى تأثير الصيرورة التاريخية للمجتمع على العلاقات الداخلية للقصيدة العربية وعلى تجليات القيم الجمالية المنبثقة عن "الحاجة" فيها، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠.
٣٩- إدريس الجائي، السوانح، المطبعة الملكية، الرباط، (د.ت).
٤٠- أدونيس، زمن الشعر، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨م.
٤١- أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ (ت٥٨٤هـ)، البديع البديع في نقد الشعر، حققه وقدّم له عبد.آ.علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٤٢- الأعشى الكبير، ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس ت ٧هـ)، شرح محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٤٣- إلياس فرحات، ديوان مطلع الشتاء، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٦م.
٤٤- امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس (ت١٣٠ ق.هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٨م، سلسلة ذخائر العرب، عدد٢٤.
٤٥- أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٨٥م.
٤٦- إميل ناصيف، مجنون ليلى، منشورات جروس برس، طرابلس- لبنان، ١٩٩٢م، سلسلة العشاق العرب.
٤٧- أمينة العدوان، الأعمال الشعرية (١٩٨٨م-١٩٩٣م)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٤٨- أمينة العدوان، الأعمال الشعرية الكاملة (١٩٨٢م-١٩٨٨م)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٩م.
٤٩- أمينة العدوان، ديوان من يموت، ط٢، دار الكرمل، عمان، ١٩٩١م.
٥٠- إي. إي. فينوغرادوف، مشكلات المضمون والشكل في العمل الأدبي، ترجمة هشام الدجاني، (د.ن)، (د.م)، ١٩٠٠م.
٥١- إيليا أبو ماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، جمع الشعر وقدَّم له عبد الكريم الأشتر، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري، الكويت، ٢٠٠٨م.
٥٢- إيمان "محمد أمين" خضر الكيلاني، بدر شاكر السياب دراسة أسلوبية، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠٠٨م.
٥٣- بدر شاكر السياب، ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة، بيروت، ١٩٧١م.
٥٤- بدوي الجبل، ديوان بدوي الجبل، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة-إيران، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٥٥- برهان الدين العبوشي، فارس السيف والقلم: الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر المجاهد الراحل برهان الدين العبوشي (١٩١١- ١٩٩٥م)، إعداد سماك العبوشي وحسن العبوشي، مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
٥٦- بروين حبيب، تقنيات التعبير في شعر نزار قباني دراسة أدبية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩م.
٥٧- البوصيري: أبو عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد (ت ٦٩٦هـ)، ديوان البوصيري، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، بيروت، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
٥٨- البوصيري: أبو عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد (ت ٦٩٦هـ)، قصيدة أم القرى في مدح خير الورى ﷺ، تعليق يوسف النبهاني، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.
٥٩- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميديا، القاهرة، ١٩٩٧م.
٦٠- تهاني شاكر، محمود درويش ناثراً، (د.ن)، (د.م)، ٢٠٠٤م.
٦١- توفيق زيَّاد، ديوان توفيق زيَّاد، دار العودة، بيروت، ٢٠٠٠م.
٦٢- ثقافة المقاومة في الآداب والفنون: أوراق مؤتمر فيلادلفيا الدولي العاشر: المؤتمر العلمي لكلية الآداب والفنون (٢٥-٢٨ إبريل (نيسان) ٢٠٠٥م)، تحرير ومراجعة صالح أبو أصبع وعز الدين المناصرة ومحمد عبيدالله، جامعة فيلادلفيا، جرش، ٢٠٠٦م.
١- جابر عصفور، الشاعر الرائي: أوراق أدبية، مجلة العربي، العدد٦٠٠، ذو القعدة ١٤٢٩هـ/ نوفمبر ٢٠٠٨م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٦٣- جابر قميحة، التراث الإنساني في شعر أمل دنقل، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٦٤- جابر قميحة، لا تصالح على الدم حتى بدم، رابطة أدباء الشام، لندن، ٨/١٠/٢٠٠٥م.
٦٥- الجاحظ: عمرو بن بحر، أبو عثمان (ت٢٥٥هـ)، رسائل الجاحظ: الرسائل الكلامية كشاف آثار الجاحظ، شرح علي أبو ملحم، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧م.
٦٦- جان كوهين، بناء لغة الشعر، ترجمة أحمد درويش، الهيئة المصرية لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٠م.
٦٧- أكرم جميل قنبس، بدوي الجبل شاعر العربية والعرب، دار المعرفة، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٦٨- جهاد هديب، محمود درويش يروي قصة جندي يحلم بالزنابق البيضاء، جريدة الاتحاد، الخميس ١٥ ذي القعدة ١٤٣٠هـ/ ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٩.
٦٩- جودت السعد، الصهيونية وتشويه التراث العربي، مجلة الفكر السياسي، العدد الثامن، السنة الثالثة، شتاء ٢٠٠٠م.
٧٠- جوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، دراسة وتعليق وتقديم محمود البحيري، مكتبة النافذة، الجيزة- مصر، ٢٠٠٩م.
٧١- جيل دلوز، المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٨٧م.
٧٢- حامد كساب عياط، رسالة قاضي سرقسطة إلَى أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين: تحقيق ودراسة فنية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد٢، العدد٤، رمضان ١٤٢٧هـ/ تشرين أول ٢٠٠٦م.
٧٣- حاييم وايزمن، مذكرات حاييم وايزمن (أول رئيس لدولة إسرائيل) بقلمه ١٩٥٢م، منشورات دار الفنون، بيروت، ٢٠٠٦م.
٧٤- حسان بن ثابت الأنصاري، ديوان حسان بن ثابت الأنصاري (ت ٥٠ هـ)، تقديم وشرح وتعليق أحمد الفاضل، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، سلسلة دواوين العرب.
٧٥- حسن عبد الله، النتاجات الأدبية الاعتقالية، مركز الزهراء، القدس، ١٩٩٣م.
٧٦- حسني زيد الكيلاني، ديوان أطياف وأغاريد، دار الرائد للدعاية والنشر، عمان، ١٩٤٦م.
٧٧- حسني فريز، الأعمال الشعرية الكاملة، إعداد راشد عيسى ومعاذ الحياري، منشورات أمانة عمان، عمان، ٢٠٠٢م.
٧٨- حسني محمود، راشد حسين الشاعر من الرومانسية إلى الواقعية، الوكالة العربية للتوزيع والنشر، الزرقاء، ١٩٨٤م، سلسلة الإعلام (مكتبة الآداب والثقافة الفلسطينية)، عدد١.
٧٩- الحفريات الإسرائيلية تنذر بانهيار المسجد، جريدة الرؤية، العدد (١٠٣)، السنة الأولى، ١٨ جمادي الأول ١٤٢٩هـ/٢٣ مايو ٢٠٠٨م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٨٠- حموده زلوم، الشخصية اليهودية في الأدب الفلسطيني الحديث، (د.ن)، (د.م)، ١٩٨٢م.
٨١- حيدر محمود، الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١م.
٨٢- خالد سعود الزيد، خالد الفرج حياته وأثاره، ط٢، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٠م.
٨٣- خالد سليمان، نظرية المفارقة، مجلة أبحاث جامعة اليرموك، المجلد الأول، العدد الثاني، ١٩٩١م.
٨٤- خالد سنداوي، الصورة الشعرية عند فدوى طوقان، مطبعة دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر، (د.م)، ١٩٩٣م.
٨٥- خليل أحمد السهارنفوري (ت١٣٤٦هـ)، بذل المجهود في حل أبي داود، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٢م.
٨٦- خليل السواحري، اليهودي البشع في نماذج مِنَ الأدب الإسرائيلي الحديث، مجلة المواقف، السنة الأولى، العدد الثاني، ربيع الثاني ١٤٠٨هـ/ كانون الأول ١٩٨٧م.
٨٧- خليل الهنداوي، تيسير الإنشاء، ط١٠، دار الشروق العربي، بيروت، (د.ت).
٨٨- درويش ناصر، الفاشية الإسرائيلية، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٩٠م.
٨٩- دلال العلمي الخالدي، ديوان الأقصى الجريح، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
٩٠- ديزيره سقال، الأعمال الشعرية الكاملة الأعمال السياسية، الدار الصحفية العربية للأبحاث والنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨م.
٩١- رائف يوسف نجم، الحفريات الأثرية في القدس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، العبدلي، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
٩٢- راشد حسين، ديوان راشد حسين، دار العودة، بيروت، ١٩٩٩م.
٩٣- راضي صدوق، موسوعة أعلام الشعر العربي الحديث، ط٢، الدار السعودية، الدمام، ٢٠٠٠م.
٩٤- رامي نوفل سليمية، لا بُدَّ أن تشرق الشمس، مركز أحرار لدراسات الأسرى وحقوق الإنسان، ٢٠٠٨/٣/١٢م.
٩٥- رايو يحياوي، شعر ادونيس البنية والدلالة: دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٨م، سلسلة الدراسات ١.
٩٦- رجا سمرين، الأعمال الشعرية الكاملة (١٩٥٠م-٢٠٠٢م)، دار اليراع للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٩٧- رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، ط٢، دار الهلال، ١٩٧١م.
٩٨- رقية زيدان، التغير الدلالي في شعر سميح القاسم، مؤسسة الأسوار، عكا، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٩٩- رولان بارت (١٩١٥م-١٩٨٠م)، الدرجة الصفر للكتابة، ترجمة محمد برادة، ط٣، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، ١٩٨٥م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٠٠- الزمخشري: أبو القاسم جار الله بن محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، عمان، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
١٠١- زينب حبش، الجرح الفلسطيني وبراعم الدم (شعر)، مطبعة دار الكتاب، (د.م)، ١٩٩٤م.
١٠٢- س. ناجي، المفسدون في الأرض جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ، ط٢، العربي للإعلان والنشر والطباعة، دمشق، ١٩٧٣م.
١٠٣- ساكب قالط أبو دلو، التشكيل الدلالي والمعرفي في شعر أمينة العدوان، دار أزمنة، عمان، ٢٠٠٩م.
١٠٤- سامح راوشدة، أثر التراث في شعر نزار قباني، مؤتة للبحوث والدراسات، مجلد١٤، عدد٥، ١٩٩٩م، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية.
١٠٥- سامح راوشدة، ظواهر في لغة الشعر العربي الحديث وإشكالية التأويل، مؤتة للبحوث والدراسات: سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد١٢، العدد٢، ١٩٩٧م.
١٠٦- السلطة الوطنية الفلسطينية، فلسطين: إنهاء احتلال وإقامة دولة، برنامج الحكومة الثالثة عشر، آب٢٠٠٩م.
١٠٧- سليم الزعنون، ديوان يا أُمَّة القُدْس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ١٩٩٥م.
١٠٨- سليمان العيسى، ديوان أعاصير في السلاسل، ط٣، دار العِلم للملايين، بيروت، ١٩٦٣م.
١٠٩- ---------، نشيد الحجارة: مجموعة قصائد، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٨٨م.
١١٠- سميح القاسم، الأعمال الشعرية الكاملة، دار سعاد الصباح، القاهرة، ١٩٩٣م.
١١١- سمير جريس، القدس: المخططات الصهيونية الاحتلال، التهويد، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨١م.
١١٢- سمير قطامي، الحركة الأدبية في شرقي الأردن مُنْذُ عام ١٩٢١م حتَّى عام ١٩٤٨م، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٩م.
١١٣- سي. دي. لويس، الصورة الشعرية، ترجمة أحمد نصيف الجناني، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٢م.
١١٤- سيد قطب (ت١٩٦٦م)، في ظلال القرآن، ط١٢، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
١١٥- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
١١٦- شهلا خليل الكيالي، ديوان كلمات في الجرح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥م.
١١٧- صالح حسين الرقب، ليس لليهود حقٌّ ديني في فلسطين، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، المجلد السادس، العدد الأول، يناير ١٩٩٨م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

١١٨- ----------، نقض المزاعم الصهيونية في هيكل سليمان، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، المجلد١٠، العدد١، ٢٠٠٢م.
١١٩- صراع في الظلام كيفية المواجهة في أقبية التحقيق، مركز ابن اليمان الإعلامي للتوعية الأمنية حركة المقاومة الإسلامية حماس: سجون الاحتلال، سلسلة الدراسات الأمنية.
١٢٠- صلاح الدين الصفدي، جناس الجناس في علم البديع، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ١٢٩٩م.
١٢١- صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن تاريخ وسمات ومصير، دار القلم، دمشق، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، سلسلة من كنوز القرآن.
١٢٢- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، حققه وقدَّم لَهُ بدوي طبانه، ط٢، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
١٢٣- الطاهر محمد بن طاهر، الرمز في الشعر العربي دراسة تطبيقية في شعر بدر شاكر السياب، ط٢، منشورات جامعة ٧ أكتوبر، بنغازي ٢٠٠٧م.
١٢٤- الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٤٥٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي وفضل الله الطباطبائي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
١٢٥- عائشة الخواجا الرازم، الأعمال الشعرية الكاملة، دار الخواجا للدراسات والنشر، عمان، ١٩٩٨م.
١٢٦- عاتكة الخزرجي، شعر الدكتورة عاتكة الخزرجي: المجموعة الشعرية الكاملة (ستة دواوين ومسرحية)، مطبعة حكومة الكويت، (د.م)، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
١٢٧- عادل الأسطة، اليهود في الأدب الفلسطيني بين ١٩١٣-١٩٨٧م، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، نابلس، ١٩٩٢م.
١٢٨- عادل محمد أبو عمشة، الاتجاه السياسي في شعر إيليا أبو ماضي، (د.ن)، (د.م)، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
١٢٩- عاصم "محمد أمين" بني عامر، لغة التضاد في شعر أمل دنقل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥.
١٣٠- عباس الجرادي، قضية فلسطين في الشعر المغربي، المناهل، السنة٢، العدد٤، ١٩٧٥م.
١٣١- عباس محمود العقاد، عبقرية الصديق، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٩م.
١٣٢- عبد الحكيم الزبيدي، اليهود في مسرح علي أحمد باكثير، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٩م.
١٣٣- عبد الخالق محمد العف، تشكيل البنية الإيقاعية في الشعر الفلسطيني المقاوم، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، ٢٠٠١م.
١٣٤- عبد الرازق متاني، علم الآثار وصناعة التاريخ، مركز الدراسات المعاصرة، أم الفحم، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
١٣٥- عبد الرحمن إبراهيم المهوس، الشعر السعودي المعاصر دراسة في انزياح الإيقاع، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، ٢٠٠٣م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٣٦- عبد الرحمن الكيالي، الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٥م.
١٣٧- عبد الرحمن بن صالح العشماوي، ديوان القُدْس أنت، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١٣٨- عبد الرحمن محمد الوصيفي، نزار قباني شاعراً سياسياً، ط٢، دار الفكر الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢م.
١٣٩- عبد الرحيم حمدان حمدان، التناص في مختارات منْ شعر الانتفاضة المباركة، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد الأول، العدد الثالث، رمضان ١٤٢٧هـ/ أكتوبر ٢٠٠٦م.
١٤٠- عبد الرحيم كنوان، من جماليات إيقاع الشعر العربي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ٢٠٠٢م.
١٤١- عبد الرحيم محمود، الأعمال الكاملة الديوان والمقالات النقدية، جمع وتحقيق عز الدين المناصرة، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
١٤٢- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م.
١٤٣- ----------، في البلاغة العربية: علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م.
١٤٤- عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (ت ١١٤٣هـ/١٧٣١م)، ديوان الحقائق ومجموع الرّقائق، تعليق محمد عبد الخالق الزناتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
١٤٥- عبد الفتاح رمضان عبد العال، ديوان نداء الأقصى، منشورات العال، عمان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
١٤٦- عبد القادر الرباعي، مقالات في الشعر ونقده، منشورات مكتبة عمان، عمان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
١٤٧- عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٨م.
١٤٨- عبد القادر زيدان، قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.
١٤٩- عبد الكريم الحبيب وإبراهيم جودت، الصافي في العروض والقوافي، منشورات جامعة البعث، دمشق، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
١٥٠- عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، ديوان أبي سلمى (عبد الكريم الكرمي)، دار العودة، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
١٥١- عبد الكريم حسن، قضية الأرض في شعر محمود درويش، إشراف البروفسور Andre Miguel، رسالة ماجستير، جامعة السوربون، دمشق، (د.ن)، ١٩٧٥م.
١٥٢- عبد الله ركيبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، معهد البحوث والدراسات العربية، الجزائر، ١٩٧٠م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

١٥٣- عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة لآداب، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
١٥٤- عبد المنعم تليمة، مداخل إلَى الجمال الأدبي، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٨م.
١٥٥- عبد الواحد حسن الشيخ، التوازي والبديع، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، سلسلة اللغة العربية.
١٥٦- عبد الوهاب البياتي، الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢م.
١٥٧- ----------، ديوان عبد الوهاب البيَّاتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٥م.
١٥٨- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.
١٥٩- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط٥، دار الشروق، (د.م)، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
١٦٠- عدنان الصائغ، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤م.
١٦١- عدنان علي رضا النحوي، ديوان جراح على الدرب، ط٣، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
١٦٢- ----------، ديوان ملحمة فلسطين، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
١٦٣- عروة بن الورد، ديوان عروة بن الورد (ت٣٠ ق.هـ)، شرحه وضبط نصوصه وقدم له عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
١٦٤- عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، ط٧، دار الفكر العربي، ١٩٧٨م.
١٦٥- ----------، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢م.
١٦٦- العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
١٦٧- عفيف عبد الفتاح طبّارة، اليهود في القرآن تحليل علمي لنصوص القرآن في اليهود على ضوء الأحداث المعاصرة مع قصص أنبياء الله إبراهيم ويوسف عليهما السلام، ط٩، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م.
١٦٨- علاء المشهراوي، الاحتلال يُخفي تقريراً عن كوارث الحفر تحت المسجد الأقصى، جريدة الشبيبة، العدد٥٤١٥، ٣ أغسطس ٢٠١٠م.
١٦٩- علوي الهاشمي، السكون المتحرك، منشورات اتحاد أدباء الإمارات، ١٩٩٢م.
١٧٠- علي أحمد باكثير، قصائد علي أحمد باكثير عن فلسطين. على الموقع الإلكتروني:- www.bakateer.com.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

١٧١- علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتَّى أواخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها، ط٢، دار الأندلس للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
١٧٢- علي صدقي عبد القادر، الكلمة لها عينان (مِنَ الشعر الثوري الليبي)، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٧٠م.
١٧٣- ----------، ديوان اشتهاء مع وقف التنفيذ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٠م.
١٧٤- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس/ ليبيا، ١٩٨٧م.
١٧٥- علي علي صبح، البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، المكتبة الأزهرية للتراث، ٩درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
١٧٦- علي محمود طه، ديوان علي محمود طه، دراسة وتقديم وتحقيق سمير بسيوني، مكتبة جزيرة الورد، شارع محمد عبده أمام الباب الخلفي لجامعة الأزهر، ٢٠٠٩م.
١٧٧- عمر أحمد الربيحات، الأثر التوراتي في شعر محمود درويش، دار اليازوري، عمان، ٢٠٠٦م.
١٧٨- عمر يوسف القادري، التجربة الشعرية عند فدوى طوقان بين الشكل والمضمون، دار هومة، الجزائر، ١٩٩٠م.
١٧٩- غادة فريد بدر، أسرانا في سجون الاحتلال الإسرائيلي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦م.
١٨٠- غازي عبد الرحمن القصيبي، ديوان للشهداء، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١م.
١٨١- ----------، ديوان معركة بلا راية، مطابع دار الكتب، بيروت، ١٩٧١م.
١٨٢- غسان كنفاني، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال (١٩٤٨م- ١٩٦٨م)، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٧م.
١٨٣- ف. ر. بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، ١٩٩٥م.
١٨٤- فاروق مواسي، الأعمال الشعرية الكاملة، مكتبة كُلِّ شيء، حيفا، (د.ت).
١٨٥- --------، نبض المحار دراسات في الأدب العربي، مجمع القاسمي للغة العربية وآدابها، ٢٠٠٩م.
١٨٦- --------، هدي النجمة دراسات وأبحاث في الأدب العربي، مطبعة فينوس، الناصرة، ٢٠٠١م.
١٨٧- فايز أبو شمالة، السجن في الشعر الفسطيني (١٩٦٧-٢٠٠١م)، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله، ٢٠٠٣م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

١٨٨- فتحي "محمد رفيق" يوسف أبو مراد، شعر أمل دنقل دراسة أسلوبية، عالم الكتب الحديث، اربد، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١٨٩- فدوى طوقان، ديوان فدوى طوقان، ط٥، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧م.
١٩٠- فراس أبو هلال، معاناة الأسير الفلسطيني في سجون الاحتلال الإسرائيلي، تحرير محسن صالح ومريم عيتاني، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، سلسلة أولست إنساناً، عدد٤.
١٩١- الفرزدق: همام بن غالب (ت ١١٠هـ)، ديوان الفرزدق، شرح عمر فاروق الطبّاع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
١٩٢- فريد جحا، العروبة في شعر المهجر، مكتبة رأس بيروت، بيروت، ١٩٦٥م.
١٩٣- فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدرسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤م.
١٩٤- فوزي معروف، في المواجهة الثقافية، مجلة الفكر السياسي، العدد الثالث عشر والرابع عشر، ربيع وصيف ٢٠٠١م.
١٩٥- القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، المجلد الرابع، ص١٤٣.
١٩٦- القروي: رشيد سليم الخوري، ديوان الشاعر القروي (رشيد سليم الخوري)، دار المسيرة، بيروت، حزيران ١٩٨١م.
١٩٧- كامب ديفيد أعلى مراحل التآمر على الشعب الفلسطيني، إعداد قسم الدراسات، منشورات فلسطين المحتلة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
١٩٨- كعب بن مالك الأنصاري، ديوان كعب بن مالك الأنصاري (ت ٥٠هـ)، دراسة وتحقيق سامي مكي العاني، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.
١٩٩- كمال أحمد غنيم، عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م.
٢٠٠- كمال عبد الرحمن رشيد، القدس في العيون، ط٢، دار بلال للنشر والتوزيع، عمان، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٢٠١- كمال قاسم فرهود، موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، ط٣، مكتبة كل شيء، حيفا، ١٩٩٨م.
٢٠٢- ماجد أحمد السامرائي، التيار القومي في الشعر العراقي الحديث مُنْذُ الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م حتَّى نكسة حزيران ١٩٦٧م، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٣م، سلسلة الدراسات، عدد٣٤٤.
٢٠٣- المتوكل طه، إبراهيم طوقان دراسة في شعره، دار اللوتس للنشر، عمان، ١٩٩٢م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢٠٤- ---------، أسئلة الثقافة في القدس والمقاومة والتطبيع، تعقيب صالح أبو أصبع ولؤي عبده، منشورات اتحاد كتاب فلسطين، رام الله، ٢٠٠٩م.
٢٠٥- ---------، الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م.
٢٠٦- ---------، صورة الآخر في الشعر الفلسطيني (١٩٩٤م-٢٠٠٤م)، المركز الفلسطيني للدراسات والنشر، رام الله، ٢٠٠٦م.
٢٠٧- المجازر الصهيونية المرتكبة بحق الشعب العربي الفلسطيني خلال القرن العشرين، إدارة التوجيه المعنوي والسياسي في جيش التحرير الفلسطيني، دمشق، (د.ت).
٢٠٨- مجموعة منَ المؤلفين، المجتمع العربي والقضية الفلسطينية، تقديم حسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣م.
٢٠٩- محسن بيشوايى، عبد الخالق محيسني، رمزية السياب واستدعاء الشخصيات القرآنية، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد الخامس، الربيع والصيف ١٣٨٥هـ/٢٠٠٤م.
٢١٠- محمد إبراهيم حُوّر، فلسطين في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج العربي، ط٢، دار القلم، دبي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٢١١- محمد أبو زيد أبو زيد، أرض الميعاد نظرة قرآنية في العهود التوراتية، مجلة التراث العربي، عدد٨٥، ١٦ سبتمبر ٢٠٠٣م.
٢١٢- محمد أحمد المجالي، أثر القرآن الكريم في شعر إبراهيم طوقان، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد١١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٢١٣- محمد أحمد حسن المراغي، في البلاغة العربية: علم البديع، دار العلوم العربية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
١- محمد أحمد محمد المجالي، المدن العربية المقاتلة (القدس، بيروت، البصرة) ١٩٤٨م-١٩٨٨م، إشراف الأستاذ الدكتور محمود السمرة، رسالة دكتوراة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
٢- ----------، قضية فلسطين في الشعر المغربي (١٩٣٠-١٩٨٠م) تونس، الجزائر، مراكش، إشراف الدكتور محمود السمرة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٢١٤- محمد الحلوي، الأعمال الشعرية، منشورات وزارة الثقافة، المملكة المغربية، ٢٠٠٦م.
٢١٥- محمد العلمي، أينَ صلاح الدين، دعوة الحق، عدد٦-١٠، عدد٨، سنة ١٤، ١٩٧١م-١٩٧٢م.
٢١٦- محمد العيد بن محمد علي بن خليفة، ديوان محمد العيد آل خليفة، ط٢، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٩م.
٢١٧- محمد القيسي، الأعمال الشعرية، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩م.
٢١٨- محمد بن سالم بن سعيد الصفراني، شعر غازي القصيبي: دراسة فنية، (د.ن)، الرياض، ٢٠٠٢م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٢١٩- محمد توفيق الصواف، الانتفاضة في أدب الوطن المحتل قراءة في القصة القصيرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٧م.
٢٢٠- محمد جميل شلش، ديوان محمد جميل شلش، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨م.
٢٢١- محمد جواد مغنيّة، التفسير الكاشف، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٢٢٢- محمد حماسة عبد اللطيف، الجملة في الشعر العربي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٢٢٣- محمد خليفة التونسي، بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة عباس محمود العقاد، مكتبة مرزوق، (د.م)، (د.ت).
٢٢٤- محمد سعيد مضيه، الإرهاب وأيديولجيا الصهيونية، مجلة المواقف، السنة الأولى، العدد الثاني، ربيع الثاني ١٤٠٨هـ/ كانون الأول ١٩٨٧م.
٢٢٥- محمد سيد طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ط٢، دار مكتبة الأندلس، بنغازي- ليبيا، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
٢٢٦- محمد عبد السلام أبو النيل، بنو إسرائيل في القرآن الكريم، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٢٢٧- محمد عبد عبدالله عطوات، الاتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر من ١٩١٨م إلى١٩٦٨م، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٢٢٨- محمد فؤاد ديب السلطان، صورة النكبة في شعر محمود درويش، مجلة الجامعة الإسلامية، مجلد١٠، عدد١، الجزء١، ٢٠٠٢م.
٢٢٩- محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ط٣، دار المعارف بالقاهرة، ١٩٨٤م.
٢٣٠- محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، ط٦، دار الجيل، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.
٢٣١- محمد مفتاح، التشابه والاختلاف: نحو منهاجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٦م.
٢٣٢- محمد مهدي الجواهري، الأعمال الشعرية الكاملة: المجموعة الكاملة (١-٧)، ط٢، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٠١م.
٢٣٣- محمود إسماعيل عمار، صورة الحجر الفلسطيني في الشعر السعودي، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٣م.
٢٣٤- محمود حسن إسماعيل، الأعمال الشعرية الكاملة: الدواوين (٨-١٤)، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكُتَّاب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٢٣٥- محمود درويش، الأعمال الشعرية الكاملة، ط٢، دار الحرية، بغداد، ٢٠٠٠م.
٢٣٦- محمود عبد الحميد الأفغاني، ديوان الأفغاني شاعر شباب فلسطين، مطابع الدستور التجارية، عمان، (د.ت).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢٣٧- محمود نعناعه، تاريخ اليهود، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
٢٣٨- محي الدين السفرجلاني، مِنْ وحي الأيام، المطبعة العمومية، دمشق، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.
٢٣٩- المرقشين الأكبر والأصغر، ديوان المرقشين: المرقش الأكبر (عمرو بن سعد المتوفى عام ٥٧ ق.هـ) والمرقش الأصغر (عمرو بن حَرمَلَه المتوفى عام ٥٠ ق.هـ)، تحقيق كارين صادر، دار صادر، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٢٤٠- مريد البرغوثي، الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧م.
٢٤١- مصطفى سعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٧م.
٢٤٢- مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، ط٢، دار الأندلس للطباعة والنشر، (د.م)، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٤م.
٢٤٣- مظفر النواب، الأعمال الشعرية الكاملة الشاعر العربي المناضل مظفر النواب، دار قنبر، لندن، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٢٤٤- المعري: أبو العلاء (ت٤٤٩هـ)، لزوم ما لا يلزم، شرح نديم عَدِي، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٦م.
٢٤٥- مفدي زكريا، ديوان اللهب المقدس، دار الشعب، الجزائر، ١٩٧٣م.
٢٤٦- المقاومة في الآداب والفنون أوراق مؤتمر فيلادلفيا الدولي العاشر: المؤتمر العلمي لكلية الآداب والفنون (٢٥-٢٨ إبريل (نيسان) ٢٠٠٥م)، تحرير ومراجعة صالح أبو أصبع وعز الدين المناصرة ومحمد عبيد الله، جامعة فيلادلفيا، جرش، ٢٠٠٦م.
٢٤٧- مناحيم بيجن، يوميات الإرهابي مناحيم بيجن، ترجمة معين أحمد محمود، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٨م.
٢٤٨- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٢٤٩- موسى شعيب، المجموعة الشعرية، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨١م.
٢٥٠- ميرفت دهان، نزار قباني والقضية الفلسطينية، بيسان، بيروت، ٢٠٠٢م.
٢٥١- ميشال غريب، حريق المسجد الأقصى، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٧٠م.
٢٥٢- نادي ساري الديك، جراحات حيفا عذابات الكرمل (الشكل والمضمون في شعر محمود درويش ١٩٦٠م- ١٩٧١م): دراسة، مؤسسة الأسوار، عكا، ٢٠٠٣م.
٢٥٣- نازك الملائكة، الشاعر واللغة، مجلة الآداب، العدد الأول، تشرين الأول ١٩٧١م.
٢٥٤- --------، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨م.
٢٥٥- ناصر فهد علي، بنية القصيدة في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٢٥٦- نبض القدس، إصدار مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية، العدد٢، ٢٧ صفر ١٤٢٩هـ/ ٥ آذار ٢٠٠٨م.
٢٥٧- نجلاء عبد ربه، إسرائيل تخطط للقيام بزلزال إصطناعي لهدم المسجد الأقصى، نبض القدس، إصدار مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية، العدد٢، ٢٧ صفر ١٤٢٩هـ/ ٥ آذار ٢٠٠٨م.
٢٥٨- نزار قبّاني، الأعمال السياسية الشعرية، منشورات نزار قباني، بيروت، (د.ت).
٢٥٩- -------، تنويعات نزارية على مقام العشق، ط٢، منشورات نزار قباني، بيروت، فبراير ١٩٩٨م.
٢٦٠- هارون هاشم رشيد، ديوان هارون هاشم رشيد، دار العودة، بيروت، ١٩٨١م.
٢٦١- هاشم الرفاعي، ديوان هاشم الرفاعي المجموعة الكاملة، جمع وتحقيق محمد حسن بريُغش، ط٢، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٢٦٢- هاشم صالح مناع، القضايا القومية في شعر المرأة الفلسطينية من سنة ١٩٤٨م إلى ١٩٧٤م دراسة موضوعية وفنية، ١٩٨٠م.
٢٦٣- هيام رمزي الدردنجي، الأعمال الشعرية ١٩٦٦م-١٩٩٦م، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥م.
٢٦٤- وجدان الصائغ، الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث رؤية بلاغية لشعرية الأخطل الصغير، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ٢٠٠٣م.
٢٦٥- وحيد الدين بهاء الدين، عبد الله كنون شاعراً، مجلة المناهل، عدد٦، سنة٣، ١٩٧٦م.
٢٦٦- وليد الأعظمي، الأعمال الشعرية الكاملة، تقديم عبد الله العقيل، ط٣، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٤م.
٢٦٧- وليم الخازن، الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية من مطلع النهضة إلى عام ١٩٣٩م، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م.
٢٦٨- وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٢٦٩- ي. أ. كيتشانوف، حياة تيمو تشجين (جنكيز خان) الذي فكر في السيطرة على العالم: الشخصية والعصر، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، السلسلة المشتركة للبحوث والمصادر في تاريخ الجزيرة العربية وبلدان الخليج، رقم٢.
٢٧٠- يحيى عبابنة، الالتزام ودلالات الضمائر في شعر توفيق زيّاد، وقائع ندوة إحياء ذكرى رحيل الشاعر توفيق زيّاد، مجلة أوراق مجلة فصلية ثقافية تصدر عن رابطة الكتّاب الأردنيين، حزيران ٢٠٠٥.
٢٧١- يوسف العظم، الأعمال الشعرية الكاملة، دار الضياء، عمان، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
٢٧٢- يوسف أيوب حداد، الصهيونية اليهودية، مجلة كنعان، العدد١١٥، تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٣م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

٢٧٣- يوسف بكار، فدوى طوقان دراسة ومختارات، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، سلسلة الشعراء الأعلام، ٢٠٠٤م.
٢٧٤- يوسف رشاد، التوراة العدو اللدود للسامية، راجعه وقدَّم له عبد العظيم المطعني، دار الكتاب العربي، حلب، ٢٠٠٨م.
٢٧٥- يوسف شحدة الكحلوت، مشروع السلام برؤية شعراء انتفاضة الأقصى المباركة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، يونيه ٢٠٠٨.
٢٧٦- يوسف عطا الطريفي، معاني الحروف ومخارجها وأصواتها في اللغة العربية، ط٢، وزارة الثقافة، عمان، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

Abstract

The image of the Jew in the Arabic poetry in the 20th century

Prepared by:

Khawla Fayez Raslan Dayekh

Supervised by:

D. Hamed Kassab Ayat

This study deals with a Jew as reflected in Arabic poetry in the twentieth century, has been included on preface and two chapters, has been dealt with in the preface and a summary of four key issues to enter the heart of the matter. Spoke in, the first case the names of the Jews they have made themselves, or fired by others they, and then talked about their image in the Covenants: the Old Testament (Torah), and the new (the Bible), and in case the third image was Jews, as contained in the Quran, and dealt with in the latter case a Jew in Arabic literature, since pre-Islamic era until the late nineteenth century.

The first chapter dealt with him as the Jew in Arabic poetry in the twentieth century: an objective study, and was divided into seven topics, namely:-
The first topic: image of the aggressive and treacherous Jew.
Topic II: image of the cowardly Jew.
Topic III: image of the Jewish mammon and the calf.
Topic IV: image of the Jewish enemy of peace.
Topic V: image of the Jew who is a forger of history.
Topic VI: image of the jailer Jew.
Topic VII: positive image of the Jew.

The second chapter dealt with it: the image of the Jew in the Arab poetry in the twentieth century: a technical study, and featured the three issues, namely:
- Poetic language.
- Poetic image.
- Music of poetry.

And proved at the end of the study shows the summary conclusion of research and outputs.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University